بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): خالد العربي محمد مدرك كلية: الدعوة وأصول الدين قسم: العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الماجستير في تخصص: العقيدة

عنوان الأطروحة: ((كتاب "القول المنبي عن ترجمة ابن العربي" للحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي تحقيق ودراسة من بداية المخطوط إلى ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٤٢٢هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ.د/ محمود محمد مزروعة	الاسم: أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح	الاسم: أ.د/ محمد جميل غازي
التوقيع: [signature]	التوقيع: [signature]	التوقيع: [signature]

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم: د/ عبد الله القرني

التوقيع: [signature]

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
فرع العقيدة




القول المُنْبِي عن ترجمة ابن العربي

تأليف:

الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي

(٨٣١هـ - ٩٠٢هـ)

تحقيق ودراسة:

القسم الأول من بداية المخطوط إلى اللوحة ٣٠/ب

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:

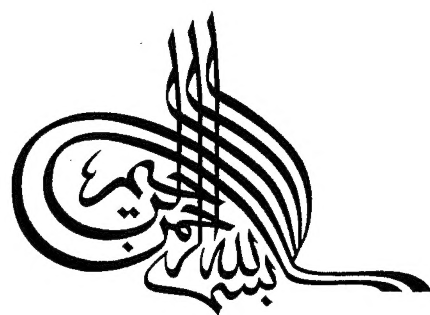
خالد بن العربي مُدرك

إشراف:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود محمد مزروعة

الجزء الأول

١٤٢١هـ - ١٤٢٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عالجت الرسالة مذهب ابن العربي الصوفي، وموقف العلماء منه، من خلال كتاب الحافظ السخاوي **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي** دراسة وتحقيقا. تكفل القسم الدراسي منها بدرس شخصية المؤلف، فشمل عصر الحافظ السخاوي، وترجمته وحياته العلمية الحافلة، وقد ظهر فيها تمكنه من العلم والتحصيل، وقدمه الراسخ في عدة فنون بَزَّ بها أقرانه في عصره، وشهد له بذلك علماء زمانه. وفي الباب الثاني جاءت دراسة موضوع الكتاب المحقق ابن العربي الحاتمي، لتكشف عن طبيعة مذهب هذه الشخصية الفلسفية الصوفية، وتحدثت عن ترجمته وحياته العلمية، ثم انتقلت إلى درس اعتقاد ابن العربي؛ بالكشف عن جذور فكره ومذهبه التي اعتمد عليها في صياغة فلسفته الصوفية، وهي جذور متعددة تكونت من الفكر الصوفي الأندلسي والمشرقي، ومن الفلسفات القديمة، ومن الاتجاه الباطني الرمزي في تفسير النصوص، وتطرقت الدراسة إلى أهم أصول مذهبه من قضايا التأويل، والرمز، وتفسيره لنصوص الوحي، وتنظيره لقضية الوحدة والكثرة في الخلق، وربطها بالنسب والاعتبارت، وهي خلاصة مذهبه في وحدة الوجود. وخُصِّص الباب الثالث لدراسة الكتاب ومناقشة مسائله، وبيان منهج المؤلف فيه. أما قسم التحقيق والذي اضطلع بتحقيق الكتاب، فقد قام على ركيزتين أساسيتين؛ ضَبطِ نَص الكتاب وتقويمه من جهة، وخِدمةِ مادته ونصوصه من جهة أخرى. كما عالج كتابُ القول المنبي عدةَ قضايا في مذهب ابن العربي، واجتهد في حسم موقف العلماء منه، وبيان اجتماع فتاواهم وأحكامهم على رد اعتقاده وفلسفته، واعتبارها مخالفة للإسلام، و قد عني السخاوي رحمه الله بجمع هذه الفتاوى والأحكام المفقودة في مصنفه النفيس. وتوصلت إلى نتائج مهمة؛ من أبرزها أن خدمة تراث الأمة واجب حضاري وعلمي، وأن السخاوي مثال للعالم الذي يغار على اعتقاد أمته، وأن إنكار مذهب ابن العربي في التصوف موقف اجتمعت عليه كلمة علماء المسلمين منذ القديم مغربا ومشرقا، شاما ويمنا، فقهاء ومحدثين، لغويين ومفسرين، ولم ينفرد به علماء الاعتقاد دون غيرهم.

الباحث	المشرف	عميد الكلية
خالد بن العربي مدرك	أ.د/ محمود محمد مزروعة	أ.د/ عبد الله الدميجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عَظُمت آلاؤه، وتَقَدَّست أسماؤُه، وحَسُنت أوصافُه، وجَمُلت ألطافُه، تَفَضل على عباده فَأنزَلَ خَاتِمَةَ كُتُبِه، واصطفى خَيرَ خلقه، وبَعَث أفضَلَ رُسُلِه، وأكمل لنا أسمى شَرَائِعِه، فَعَرَفَه بذلك أولياؤه، وجَهِلَها بالإعراض عنها أعداؤُه، سُبحانَه أحدٌ مُتَّصفٌ بِتَمامِ الجلال والكمال، مترّه عن الشبيه والمثال بكل حال، وعن دعوى الحلول والاتحاد والاتصال، منشئ الخلق وخالق الأعمال، ومقدر الفلاح والشقاء على من شاء في الآزال، مدبر الكون حكمة منه بالزوال والاعتدال، غني عن الخلائق كلها وهي مفتقرة إليه أجمعها في البداية والمآل.

والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبد الله مَن سعد ببعثته الثقلان، وعلى أزواجه وذريته السادة الأشراف، والصحب والتابعين لهم باقتداء واعتدال وإنصاف.

أما بعد:

فقد عاش الرعيل الأول من الصحابة والتابعين حياة عامرة بالورع والخشية من الله تعالى، والاشتغال بطلب العمل الصالح الذي يقرب العبد من ربه، ويرفعه خالصا إلى خالقه، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر/١٠]، فشهد الزهدُ بينهم أرفع صوره، وبلغ معهم منتهى أمده، فأثمر العلم والعمل، والصدق والجهاد، و لم يكن زهد هذا الجيل العظيم اتكالا ولا انزواء، ولا كان علمهم بطرا ورِياء؛ بل هو اشتغال بعلم السنة والكتاب، وتركا لما قد يورث عند العبد أي شك أو ارتياب، وحصل لهم بالوحي الإلهي الغنية والاكتفاء، وارتووا من معينه الصافي كل ارتواء.

ومع نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجريين فتح على اعتقاد الأمة الإسلامية باب الثقافات الدخيلة بترجمة كتب اليونان والفلسفة القديمة، فبرزت أفكار وافدة على المحيط العلمي بقوة، وأدلى كُلٌّ بدلوه في التعامل معها، واختلفت المناهج في ذلك، وكان من شأن هذا الباب أن أطل على نوافذ خطيرة لم تَنسَدَّ إلى يومنا هذا؛ وهي الفلسفة والأصول الكلامية والتصوف.

وبدأت تنشأ مصطلحات التصوف كعلم مستقل، ومنحى جديد في فهم نصوص الوحي مع الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ)، والجنيد (٢٩٧هـ)، وأبي سليمان الداراني (٢١٥هـ)، وظهرت

تلك الاصطلاحات في بعض مصنفاتهم كرسالة المسترشدين للمحاسبي. والحق أن تصوف هذه الطبقة وإن كان قد أحدث في فهم الأمة مصطلحا لم يكن معهودا عند الصحابة والتابعين، أنكرها عليهم بعض الأئمة كالإمام أحمد، إلا أن أصحابه تقيدوا فيه بحدود الوحي، ولم يبتعدوا عن مسلك الأثر قدرا كبيرا، كما تصوره لنا مقولة الجنيد: "الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته، ولزم طريقته"[1]، وقولة أبي سليمان الداراني: "ربما يقع في قلبي النُّكتةُ من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه بشاهدين عدلين: الكتابِ والسنةِ".[2]

واستُبدِل منذ هذا الوقت اسمُ النُّساك عند السلف، بالتصوف والفقراء،[3] وبقي تصوف مشايخ هذه الطبقة دائرا حول نصوص الوحي إجمالا، كما يقرر ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: "والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف، وهذا هو الذي كان يجب أن يذكر".[4]

إلا أن التصوف سيعرف منعرجا خطيرا بعد هذه الطبقة، بمولد تصوف من نوع آخر يحمل بين طياته مزيجا من الأفكار الباطنية، والثقافة الهندية القديمة، ومذاهب الفلسفة الإشراقية، إنه التصوف الفلسفي الذي رَفَع به عقيرته الحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ) ببلاد المشرق، وجهر فيه بمحالات العقول، وخالف فيه أصول الإسلام التي أفنى الأعمار في شرحها الأئمة الفحول، فانتهى أمره بالقتل حكما بردته من قضاة الإسلام العدول.

ومن أَسَفٍ أن قضية التصوف الفلسفي لم يقضى عليها بقتل الحلاج، بل وجدت من يحمل لواءها في الغرب الإسلامي بقوة في القرنين السادس والسابع الهجريين.

فالتصوف الفلسفي بلغته الغامضة المعقدة، التي تجمع بين نوعين من المعرفة؛ بين الذوق والوجد الصوفي، وبين الفكر الفلسفي العقلي المجرد، يختلف تمام الاختلاف عن تصوف المشايخ المتقدمين الذي عرفته الأمة؛ لامتزاج الأذواق الصوفية فيه بالنظر العقلي الفلسفي.

---

(1) طبقات الصوفية للسلمي ص: (١٥٩).

(2) المصدر نفسه ص: (٧٨).

(3) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص: (١٢٩).

(4) الاستقامة لابن تيمية ٨٢/١.

وكان ممن حمل لواء هذا اللون مِن الفلسفة الصوفية رَجُلٌ عاش في بيئة شهدت تحولا كبيرا بدخول كتب الفلسفة الشرقية إلى الأندلس مع ابن رشد الفيلسوف، وترجمته لكتب أرسطو بعد أن كانت محذورة بالغرب الإسلامي، كما وجد رصيدا قويا من تراث فلسفي صوفي متقدم مع ابن دَهَّاق، وابنِ أَحْلَى، وأبي عبد الله الشوذي،(٥) فعمل جاهدا على الإفادة منه، وتوظيفه بمزج هذه الثقافات الدخيلة المختلفة والمعقدة في وقت واحد، لصياغة مذهب فلسفي صوفي غريب؛ إنه محيي الدين محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي المولود عام ٥٦٠هـ والمتوفى سنة ٦٣٨هـ بمدينة مُرْسِية الأندلسية، والذي أنشأ في فكر الأمة الإسلامية تصوفا فلسفيا خطيرا عانت من تبعاته ولا تزال تعاني إلى اليوم.

وقد جعله الصوفية في وقته وبعد موته قبلتهم في الفهم والتفكير، والاستدلال والتنظير، واحتل كتابه الفتوحات المكية في علم التصوف مكانة ركيزة، لم يكن الصوفية والفلاسفة يستغنون عنه بحال، فهو عند القوم بمثابة كتاب الموافقات للشاطبي في الأصول، وأسرار البلاغة للجرجاني في البلاغة، وكتاب سيبويهِ في النحو، ومقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع والتأريخ للأمم، حتى عَدَّه بعض الصوفية دائرة معارفٌ صوفية.

وبلغ من شهرة ابن العربي الحاتمي عند الصوفية أن كل كتاب لا يعرف له مؤلف، ينسب إليه على أنه هو مؤلفه، وحظي مذهبه باهتمام كبير لدى سلاطين العثمانيين، فشيدوا قبره بدمشق، وبنوا بجواره مدرسة باسمه، وأوقفوا عليه أوقافا تُصرف عليه صيانةً وحفظاً.

هذا وقد ظن بعض بسطاء الناس اليوم أن مذهب ابن العربي الحاتمي في وحدة الوجود قد انتهى أمره، ولم يعد له في الأمة ذكر، وأنه لا حاجة بنا إلى إعادة دراسة مذهبه لكونه مات ودُفِن؛ وما ذلك إلا لقلة معرفتهم بأحوال الأمور، وما يجري في ساحات العلم والفكر بالجامعات الأوربية، ومراكز الدراسات والبحوث من اهتمام وإشادة بفكر ابن العربي وفلسفته، وسعيهم في تقديمه للأمة والناشئة على أنه تراث صوفي مهم ينبغي إحياؤه من جديد، والاعتماد عليه في الفهم، فخصصوا مؤسسات علمية مختصة لدرس تراث ابن العربي الحاتمي تحقيقاً، وبحثا في قضاياه، فكان من ذلك أن أنشئ مركز خاص لدراسة تراث محيي الدين ابن العربي الفكري

---

(٥) راجع تراجم جميع هؤلاء عند موضعها من النص المحقق.

والعقدي والفلسفي بمدينة مُرْسِية Murcia بإسبانيا، تابعا لجامعة مرسية بها، وأقيم معهد للبحوث والدراسات الحاتمية مثيل له في بريطانيا، وعُقِد أول مؤتمر حول ابن العربي الحاتمي في إسبانيا قبل عدة سنوات دُعي له عدد من كبار الشخصيات العلمية العربية، والمستعربين الأوربيين، من المشتغلين بدراسة مذهبه، وقبل هذا كان الاحتفال بالذكرى المئوية الثامنة لميلاده سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، قدمت فيه أوراق دراسة عن ابن العربي من قبل عدد من الدارسين،وفي بلد عربي قررت ندوة عن ابن العربي تحت عنوان "الندوة الحاتمية علوم ومعارف الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي" وكان ذلك في عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، قدمت فيها عروض وأوراق عمل وبحوث عن مذهب ابن العربي، ناهيك عن حضور المستعربين الذين بلغ اهتمامهم بهذا الفيلسوف الصوفي، قدرا جعلهم يخصصون له حيزا من بحوثهم في مؤتمراتهم الإستشراقية، كما حصل في المؤتمر الرابع عشر على سبيل المثال. وقبل شهر واحد من هذا التاريخ، أعني محرم الماضي من هذا العام أسدل الستار عن ندوة كبيرة حول التصوف بعنوان "الندوة الثامنة حول الفن والتصوف" ببلاد الشام، نظمها الملحق الثقافي الإسباني بها، استمرت فعالياتها زهاء ثلاث أيام، وكان لابن العربي منها نصيب الأسد، بحضور عدد من المهتمين بفكر ابن العربي والدارسين له من العالم.

كل هذا وذاك لتأكيد مدى الاهتمام البالغ بمذهب ابن العربي، والسعي الحثيث لإحياء فكره وتراثه، ولا تزال دراساتهم جارية حول ابن العربي الحاتمي بقوة، يرثون هذا الاهتمام به جيلا بعد جيل، فبعد طبقة المستعرب الإسباني أسين بلاثيوس، والمستعرب الإنكليزي نيكلسون، والمستعرب الفرنسي عاشق الحلاج ماسنيون، تأتي طبقة الفرنسي علي شودكيفيتش، وكلولوس فارونة، وغيرهم من أضراب المستعربين في كل من ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا، والذين لا تزال تصدر عنهم دراسات وبحوث بعدة لغات حول مذهب محيي الدين ابن العربي، تنشر بين جميع الشرائح الفكرية للاطلاع عليها، وهم بذلك يهدفون إلى تلميع هذا الفيلسوف الصوفي، وتصوير مذهبه للناس على أنه جهد معرفي بشري يستحق المطالعة والدرس.

وقد ساهم في هذه الغاية بعض أبناء جلدتنا من الباحثين المسلمين فتخصصوا في درس فكر ومذهب ابن العربي، وتحقيق ونشر كتبه وتراثه من أمثال د. أبو العلا عفيفي، ود. عثمان يحيى

عاشق ابن العربي، ود. سعاد حكيم، ومحمود الغراب، وغيرهم كثير وأصدروا لأجل هذه الغاية دراسات وبحوثا لها قيمتها عند الدارسين لهذا المذهب.

ومن الغرابة في الغرابة أن بعض من يحسبون على العلم والفكر والثقافة ممن هداهم الله تعالى للإسلام، وتوسَّم الناس فيهم خيرا بالدفاع عن قضايا الإسلام بلسان قومهم، يرفعون شعار الدعوة إلى مذهب ابن العربي، والاعتزاز بفكره وتصوفه الفلسفي، أعني بهذا المفكر روجيه جارودي، الذي فاجأ الساحة العلمية قبل سنوات بكتابه "ما يَعِدُ به الإسلام" يقرر فيه تمجيد فكر رموز التصوف الغالي كالحلاج والجلال الرومي ومن على شاكلته، ويدعو فيه الفكر الأوربي إلى العودة لفلسفة ابن العربي، والانطلاق منها لأنها _ حسب قوله _ تعبر عن جوهر الإسلام.

أقول هكذا يقدم جارودي الإسلام إلى الإنسان الأوربي بثوب مُشَوه، يمزج فيه جميع الأديان والمذاهب والعقائد في إطار وحدة مشؤومة، ويجعل قضايا ابن العربي الوجودية التي أزعجت المسلمين ردحا من الزمن هي سبيل النهوض الحضاري، ومواجهة المادية الفكرية، وكان الأجدر به وهو ذو وزن ثقافي بين الأوربيين أن يصور الإسلام لبني جلدته انطلاقا من صور الصحابة والتابعين المشرقة، والتي انطلقت من الكتاب والسنة، بعيدة عن مذهب وحدة الوجود المظلم.

كل هذه الأرقام والمعلومات تُنْبِيك عن أهمية قضايا ابن العربي الحاتمي في نظر كثير من الأوساط العلمية في عصرنا، مما يجعل واجب صدور بحوث علمية أكاديمية تدرس مذهبه، وتكشف عن مخالفته لأصول الإسلام واجبا محتما، وبخاصة إذا كانت نابعة من مؤسسات علمية رشيدة مبنية على أصول أهل السنة والجماعة.

وقد كنت أتشوف منذ دراستي الجامعية إلى الكتابة في موضوع التصوف، لما وجدته من اهتمام من حاملي فكره من العمل على إحيائه وإعادة بعثه، ولم أكن أعلم أن الأقدار ستدفعني إلى كبير القوم، ومقدم الطائفة_ أعني ابن العربي _، حتى أفاء الله تعالى عليَّ بالاطلاع على علق نفيس من أعلاق تراثنا المجيد، وسفر عظيم يغني الدارس لموضوعه عن حمل الأسفار في الأسفار، إنه كتاب **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي**، لعالم محدث كبير، ومجتهد ناقد بصير،

وضابط متقن طُلَعة نحرير، للحافظ أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي القاهري نزيل الحرمين الشريفين، المولود سنة ٨٣٢هـ، والمتوفى عام ٩٠٢هـ، والذي أثنى عليه جمع من الحفاظ والعلماء، فقال فيه شيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني: "الشيخ الفاضل المبارك، الفاضل المحدث، البارع النبيه المفنن، الأوحد المكثر المفيد، المحصل المجيد في الطلب الطلب الجميل"، وأثنى عليه صاحبه الحافظ النجم عمر بن فهد الهاشمي بقوله: "وهو والله بقية من رأيت من المشايخ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية، وسائر بلاد الإسلام عيال عليه، والله ما له في الوجود نظير"، واعترف له بالتمكن عَصريُّه الحافظ البقاعي ووصفه بالمحدث البارع الأوحد، والمفيد الحافظ الأمجد، وأقر له بمثل ذلك التمكن في علم الحديث، والضبط في سماعه الحافظ السيوطي رغم ما كان بينهم من المشاحنة والمنازعة، وأطراه العلامة الشوكاني بوصفه قائلا: "ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته".

ومختصر القول أن الحافظ السخاوي رحمه الله صفحة مشرقة من صفحات العلماء في العلم والتحصيل، لما رُزِق من التمكن والضبط والتفنن.

ولم يكن يجول بخاطري البتة أن الحافظ السخاوي الذي أفنى عمره في درس الحديث والتاريخ، أن يهتم بقضية على درجة من الأهمية عند المشتغلين بمسائل الاعتقاد، وهي مذهب وفكر ابن العربي الحاتمي؛ إذ لم يعرف عنه هذا المَنْزَع والاهتمام، وزورت في نفسي: ما عسى الحافظ السخاوي أن يأتي به من جديد في هذا الباب؟ ألا يكون مرددا لما كتب قبله في نقد ابن العربي؟

فاستجلبت نسخة خطية من الكتاب، وهي النسخة الآصفية الهندية، وبدأت في جردها قراءة وتأملا، فما كدت أنتهي من قراءة الكتاب حتى أدركت أنه سِفر نفيس من تراث أمتنا اليتيم الذي اكتنفه الضياع والإفساد، وعلمت بحق أن كتاب الحافظ السخاوي القول المنبي وثيقة تاريخية بالغة الأهمية في درس ابن العربي الحاتمي، والفصل في موضوع موقف العلماء منه قديما بلا رَجْعَة، وأنه لا ينبغي التفريط في تحقيقها وخدمتها، لتقدم إلى الباحثين والقراء من المهتمين بتراث هذه الأمة المجيدة، أكلا شهيا صِحاً غَدَقاً، وسرعان ما أدركت أن أمر الكتاب بين جميع

ما أُلِّف في هذا الباب كما قال حافظ بلاد المغرب ابن رُشَيد السبتي في وصف كتاب مقدمة ابن الصلاح في الحديث:

لِكُل أُنَاسٍ جَوهَرٌ مُتَنَافِس   وأنت طِرَازِ الآنِسَاتِ الملائِحُ

وبدأت في استشارة مشايخي وأساتذتي الحُذَّاق من نُجُب الرجال، وإخواني الباحثين من ذوي البصيرة والقريعة، فأشاروا عليَّ بعدم التردد لحظة في التقدم به موضوعا لرسالة الماجستير بفرع العقيدة، وتمت بالفعل موافقة مجلس القسم الموقر عليه، ثم مجلس الكلية المحترم في جلسته الحادية عشر بتاريخ ١٤١٨/١/٢٨هـ، فسُررت غَايَةً، وحمدت الله غايَةً.

أهمية الموضوع والباعث على اختياره:

أهمية دراسة مذهب ابن العربي الحاتمي لا تحتاج إلى بيان أو توضيح، وبخاصة عندما نعلم خطر انتشار هذا المذهب بين المسلمين، وتأثر عدد من أصحاب الأقلام والتوجيه في الأمة بهذا المذهب، وأثر ذلك السيئ على العقيدة والفكر، وحاجة أهل العلم إلى دراسات عقدية جيدة مبنية على أصول السلف حول مذهب محيي الدين ابن العربي تمكنهم من الدفاع عن الحق، وحماية اعتقاد المسلمين من هذا المترلق الخطير، والهاوية السحيقة، وقد دعم هذا الاختيار بتحقيق كتاب الحافظ السخاوي في ابن العربي ما يلي:

١- تعيش الأمة الإسلامية هجوما عنيفا على اعتقادها وفكرها، يتمثل في زرع الشبهات بين أهل الإسلام، وإحياء فكر بعض الرموز الباطنية والفلسفية من تاريخ الأمة، والسعي في نشر هذه المذاهب، حتى ينشغل المسلمون وأصحاب الفكر والأقلام بموضوعات تصرفهم عن أصول الوحي القرآن والسنة، وعن الاهتمام بمنهج سلف الأمة.

٢- يشهد الفكر الصوفي في عصرنا اهتماما كبيرا من قبل دعاته لإحيائه من جديد، وصرف المسلمين عن الكتاب والسنة، ومن ذلك مذهب ابن العربي الحاتمي؛ بتدريس كتبه في بعض المساجد على عوام الناس، وتحقيق تراثه، ودرس قضاياه. مما يدعو أهل العلم من أهل السنة والجماعة إلى الاجتهاد في درس قضاياه دراسة تغني المسلمين عن الرجوع إلى غيرهم لمعرفتها.

٣- خطورة القضايا العقدية التي طرحها ابن العربي في مصنفاته، من الوحدة الإلهية، وتصويب جميع الاعتقادات والأديان والمذاهب، ومذهبه في الولاية القائم على تفضيلها على النبوة، وإنكار العذاب الأخروي الذي توعد الرب تعالى به الكفار والعصاة من خلقه، وتقريره الخطير والمعقد في نفس الوقت لمذهبه في وحدة الوجود، بتلاعبه بالألفاظ والاصطلاحات، وإشعار الناظر في مذهبه بالتناقض والاختلاف في تقريره لهذا المذهب، إذا لم يفهم أصل مذهبه في التفريق بين النسب والاعتبارات، ومجلى الأحدية والواحدية.

٤- يزعم كثير من أصحاب الفكر الصوفي أن رد مذهب ابن العربي الحاتمي، لم يكن سوى نزعة مغرضة من تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، ورثها لتلاميذه وأصحابه كابن القيم، وابن كثير، والذهبي ونحوهم، وأن قول أكثر العلماء والفقهاء بالتماس التأويل لكلامه المشكل، وقبول كثير من أصوله الصوفية، بينما يجد ابن تيمية نفسه مع تلاميذه وحيدا في الإنكار على ابن العربي الحاتمي.

وهذه بلا ريب مغالطة نابعة عن تعصب، أو قلة دراية بنصوص العلماء في مذهب ابن العربي، فقد أثبت الحافظ السخاوي الذي لم يكن أبدا محسوبا على أصحاب ابن تيمية، ولا عُرف عنه الاشتغال بالتصنيف في القضايا العقدية، بغيرة العالم البصير على اعتقاد أمته، لما رآه من فتنة الناس بمذهب ابن العربي أن من الواجب عليه التصنيف في بيان حال مذهب محيي الدين الحاتمي عند العلماء، فأورد ما يربو عن مائة وخمسين ١٥٠ فتوى لعلماء محدثين وفقهاء وأصوليين ونحويين ومفسرين، ومن مختلف المذاهب حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية، مشرقا ومغربا، وشاما ويمنا، ومصرا وحجازا، كُلهم أجمعون أكْتَعون ينصون على رد مذهبه، واعتباره فلسفة صوفية دخيلة على اعتقاد الأمة الإسلامية، بعيدة عن أصول الأنبياء والمرسلين التي أرسلهم الله تعالى لدعوة الناس إليها.

وهذا لعمري من أهم المقاصد التي اضطلع كتاب الحافظ السخاوي بها، وجعلته ينص على أن كتابه القول المنبي، جامع في بابه، حافل لا مزيد عليه.

٥ – مكانة الحافظ السخاوي العلمية، فهو بحق عالم متقن، وحافظ متفنن، امتازت مصنفاته بجودة في التحرير والضبط، وعرفت بالغاية في الإتقان، والإتقان في الاستدلال بالنصوص، والتنوع في المصادر مما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك تنوع رصيده المعرفي.

٦_ جمع الحافظ السخاوي في مصنفه الحافل عن ابن العربي القول المنبي، قدرا كبيرا من نصوص العلماء والحفاظ، والتي تعد اليوم في ذاكرة الفقدان، وطي النسيان، من كراريس ومعاجم وفتاوى، ونقول من كتب أمهات، ومصادر أصول، تَظهر لمطالع هذا الكتاب جليا من خلال الفهرس الذي صنعته للكتب الوارد ذكرها في نص الكتاب. فإخراج سفر نفيس مثل هذا حفظ لنا تراثا علميا مهما، ونصوصا من كتب مفقودة، يُعد بلا ريب إحياء لتراث الأمة، وحفظا لكنز معرفي عظيم من كنوزها الضائعة.

٧– كتاب الحافظ السخاوي في ابن العربي الحاتمي القول المنبي، أضخم وأتقن وأشمل مصنف زخرت به خزانة العلماء الأقدمين في ابن العربي الحاتمي، جمع كَمًّا هائلا من النصوص التاريخية، والفتاوى والأحكام في موضوعه وبابه، لا يمكن مقارنته بأي حال مع كتاب آخر مصنف في ابن العربي الحاتمي، لما امتاز به من جودة التصنيف، والجمع المتقن لمادته العلمية، والسبك الرائع لأفكاره، والطرق الجيد لمسائله.

٨– الاهتمام بالنقل عن علماء اشتهروا بالدفاع عن السنة، وأبلوا البلاء الحسن في الرد على الطائفة الوجودية، وبيان عورها، في المشرق والمغرب، فمن علماء المغرب الحافظ ابن الزبير الغرناطي الذي صنف في الرد عليهم ثلاثة مصنفات نفيسة لم يصلنا إلى الآن شيء عنها، واستفاض في حكاية أحوالهم الحافظ أبو حيان الغرناطي في كتابه النفيس الذي أسماه "النُّضار في المَسْلاة عن نِضَار" لا نعلم عن وجوده شيئا، والحافظ ابن الدراج السبتي بكتابه العظيم المفقود عن الطائفة الشوذية، ومن علماء المشرق الحافظ ابن نقطة البغدادي، ومن مصر الحافظ ابن حجر العسقلاني، والسراج البُلقيني، والتقي السبكي، وزين الدين العراقي، ومن الشام الحافظ تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وشمس الدين الذهبي، ومن الحجاز تقي الدين الفاسي، ومن اليمن الحسين الأهدل، وابن المقري، وابن نور الدين.

واللائحة طويلة جدا يتنقل فيها السخاوي رحمه الله بين أرجاء العالم الإسلامي، وبين العلماء وأهل الفنون، في نقول تاريخية مهمة، واستقصاء في النصوص عجيب، يَنِم عن ذوق علمي عال.

٩- تناول الحافظ السخاوي في هذا المجلد الحافل بعض القضايا المهمة في مذهب ابن العربي الحاتمي، كقضية التأويل وهل يصح مذهب الصوفية في تأويل كلامه؟ وتكلم عن حال كتب ابن العربي بين القضاة والعلماء والأمراء في مختلف الحواضر والبقاع، وتطرق إلى بيان أحوال الناس في ابن العربي الحاتمي، وتناول قضية ثناء بعض العلماء الأفاضل على ابن العربي، أو توقفهم عن الكلام فيه، ودرس هذه المسألة درسا جيدا، وتوصل إلى أنها لا يستقيم أن تكون حجة لتأويل كلامه، يطبع ذلك كله المناقشة العلمية الهادفة.

كما أن الحافظ السخاوي لم يُسبق من قِبَل مَن صنف في ابن العربي الحاتمي نقدا، بالتطرق إلى مثل هذه القضايا، فهي وليدة فكره ودرسه.

١٠- خرج الحافظ السخاوي عن مقصد العلماء من التصنيف في ابن العربي، ببيان هل يكفر عينه أم لا؟ إلى دراسة مذهبه الوجودي، وبيان قبيح فكره وكلامه، ووزن هذا المذهب الصوفي عند العلماء والفقهاء، وهل يقبل الإسلام هذا المذهب أم أنه يتناقض مع أصوله وثوابته؟

واهتم الحافظ السخاوي بالكشف عن موقف بعض العلماء الذين عرف عنهم التصوف؛ بل أحيانا الميل إلى ابن العربي؛ ونقل عنهم نصوصا صريحة في إبطالهم لمذهبه، وعدم ارتضائه تصوفا، واعتباره فلسفة عقلية محضة، بعيدة عن تصوف المشايخ المتقدمين، وهذا بلا شك من القوة في الحجة، لأنها من باب وشهد شاهد من أهلها.

عملي في دراسة الكتاب

ومنهجي في تحقيقه

يتألف العمل في هذا الكتاب من قسمين: دراسة وتحقيق.

القسم الدراسي: سلكت في دراسة الكتاب دراسة قائمة على جمع المادة العلمية اللازمة لمثل هذه الدراسة، واستخدام المنهج التحليلي والوصفي أثناء دراسة النصوص، ومحاولة القراءة بين السطور بقصد الوصول إلى مكامن النص وأغواره، تحصيلا للنتائج الصحيحة، ووزعت الدراسة على ثلاثة أبواب:

الباب الأول تناول شخصية المؤلف بالدراسة والتحليل، وجاءت الخطة شاملة للعناصر المهمة التي ينبغي أن تُطرق في دراسة شخصية مثل الحافظ السخاوي، لكثرة جوانب الدراسة وتعدد صورها، وتَوَزُّع إلى فصلين:

الفصل الأول: عُنِي بعصر السخاوي وترجمته في مبحثين: درست فيهما الحالة السياسية، والعلمية والدينية لهذا العصر، وأظهرت مدى تأثيرها على شخصية المؤلف، وانتقلت لترجمة للمؤلف ترجمة تعين على وصف معالم شخصيته من حيث النشأة والبيئة العلمية، واعتمدت فيه بالدرجة الأولى على ترجمته الذاتية لنفسه كمادة علمية كافية وأساس في هذه الدراسات.

الفصل الثاني: تناول الحياة العلمية للسخاوي، وهو في خمسة مباحث، درست فيها نبوغه في العلم، وصبره على التحصيل، من خلال شيوخه ومروياته ورحلاته العلمية، والأعمال التي قام بها، و الوظائف التي تقلدها، وتلاميذه الذين أفادوا منه، وثناء العلماء عليه، ومكانته العلمية بين أقرانه من جهة، وبين شيوخه من جهة أخرى، دون أن أغفل الحديث عن مذهبه الفقهي، ومنهجه العقدي. وختمت هذا الفصل في مبحث خصصته للحديث عن عطائه العلمي المتمثل في تراثه الضخم والكبير الذي خلفه لنا قبل موته، وهو تراث يُنْبِي عن التفنن والتمكن، وعن موسوعيته العلمية، وجودته وإتقانه في التصنيف.

الباب الثاني: عُنِي بدراسة موضوع الكتاب المحقق ابن العربي الحاتمي، ونظرا لطبيعة الشخصية الفلسفية الصوفية، وأن الكتاب المراد تحقيقه في دراسة مذهبه ورأي علماء الإسلام فيه، فإنني لم أتوسع في نقد مسائله العقدية الكثيرة، واكتفيت بطرق أهمها، وتصويرها من خلال كتبه، لأن الكتاب المحقق اهتم بهذا الجانب كثيرا، وحتى لا تكون مصادرة على المطلوب.

وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خُصِّص لترجمة محيي الدين ابن العربي الحاتمي، ويضم ثلاثة مباحث: تناولت فيها اسمه ونسبه وكنيته ونسبته، ومولده وأسرته وموطنه، وختمته بإلقاء الضوء عن نشأته العلمية.

الفصل الثاني: تكلمت فيه عن حياة ابن العربي العلمية، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، كان الحديث فيها عن شيوخه ورحلاته العلمية، وتلاميذه الذين أخذوا عنه، ومصنفاته ووفاته.

الفصل الثالث: اجتهد في درس عقيدة ابن العربي وموقف العلماء منه، وهو في ثلاثة مباحث: تحدثت فيها عن مذهبه الفقهي، ثم انتقلت للكلام عن مذهبه العقدي، وكان الدرس فيه قائما على إبراز جذور ابن العربي العقدية التي أثرت في مذهبه وفكره، واستخدمها في صياغة فلسفته الصوفية، ثم انتقلت للكلام عن مذهبه في وحدة الوجود، ومفهوم الوحدة والكثرة في مذهبه، واستعرضت موقفه من عدة قضايا كالتأويل، والرمز، واللغة، ونصوص الوحي، وأفردت الكلام عن أبرز قضايا مذهبه وفكره دون توسع في النقد لما سبق الإلماع إليه.

وخُتم هذا الفصل بالكلام عن موقف العلماء منه عبر العصور، وكان التركيز في هذا المبحث على مادة الكتاب المحقق، لكونه اجتهد في إبراز هذه القضية بشكل لا مزيد عليه.

الباب الثالث: جعلته موزعا على ستة مباحث: وتناولت فيه دراسة الكتاب بمناقشة مسائله، وإظهار قيمته، وبيان منهج المؤلف فيه، مع الكلام عن صحة نسبته إلى المؤلف، وعنوانه، والباعث على تأليفه، ومصادر المؤلف فيه، والمآخذ عليه، والكتب المصنفة في موضوعه، والنسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.

أما عن قسم التحقيق: والذي يقوم على ركيزتين اثنين: ضبطِ نَصِّ الكتاب وتقويمه، وخدمة مادته ونصوصه، وذلك لبلوغ الغاية من تحقيق أي نص تراثي؛ وهي إخراج الكتاب على أقرب صورة أراد عليها المؤلف. وقد سلكت لأجل هذا المقصد خطوات كانت منهجا للمحققين المتقنين من الأمناء على نشر تراث هذه الأمة في عصرنا، يمكن تلخيصها في التالي:

١ــ على مستوى ضبط النص ومقابلة النُّسخ:

أ- حققت الكتاب على ثلاث نسخ خطية، وجعلت نسخة برلين أصلا أعتمد عليه للاعتبارات المذكورة عند مبحث وصف النسخ المعتمدة، واستعنت بباقي النسخ في ضبط النص، ونبهت على الفروق بين النسخ في الحاشية، وإذا وجدت تصحيفا أو تحريفا أو سقطا في نص النسخة الأصل المعتمدة، وكان الصواب في نسخة أخرى فإنني لا أجمد على نص النسخة الأصل، بل أثبت ما أجده من صواب في النص من النسخ الأخرى، وأجعل النص الآخر مرجوحا عندي، وأنبه على كل ذلك في الحاشية، وحرصت على عدم التدخل في نص المؤلف، والحفاظ عليه مهما كان إشكاله ما دامت النسخ لم يرد فيها ما يرجح الصواب، إلا في النادر القليل عندما يتأكد لي الخطأ في جميع النسخ، كأن يكون علما محرفا في جميع النسخ، أو تكون العبارة خطأ فيها جميعا، فإنني أثبت ما اتفقت عليه المصادر في النص بجعله بين علامتين، وأنبه على ذلك في الحاشية بذكر الموجود في النسخ، وهذا لا يحصل إلا نادرا لحرصي على عدم إقحام قلمي في النص، والاكتفاء بمجال الحاشية في التنبيه على ما أريده. وقد اقتنعت في ذلك بمنهج الخطيب البغدادي في تصحيح النصوص، خلافا للقاضي عياض.

ز- راعيت ضبط النص وفقا للتنقيط المشرقي المتعارف عليه اليوم، والقواعد الإملائية.

ش- رقمت فتاوى العلماء وأحكامهم التي ذكرها المؤلف في الفصل الثامن تسهيلا على القارئ، وفعلت مثل ذلك مع الأعلام الذين رتبهم المؤلف على حروف المعجم في الفصل السادس، حتى لا يكون اجتماعهم حشرا دون ترقيم.

٢ــ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣ــ خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، ولا ألتزم بذكر رقم الجزء والصفحة، وأبين درجة الحديث وحكم العلماء على الإسناد تصحيحا

أو تضعيفا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما في الغالب، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين توسعت قدر الإمكان بذكر مصادر تخريجه وحكم العلماء عليه، وسلكت في تخريج الآثار مسلك الاختصار دون نقل حكم العلماء عليها.

٤ـ ترجمت الأعلام[٦] المذكورين في نص الكتاب عند أول ذكر العلم في الغالب، وأعرضت عن الترجمة للمشهورين من الأعلام، واقتصرت على تعريف المغمورين منهم، فشهرتهم أغنت عن الترجمة لهم. والقضية كما هو معلوم خلافية بين شيوخ البحث، وضبط النصوص التراثية، فلا حرج عليَّ إن اخترت ما رأيته صوابا من مناهجهم، ما دمت لم أحدث منهجا جديدا.

٥ـ عرفت بالبلدان والأماكن المغمورة، والفرق والمذاهب والطوائف والمدارس العلمية.

٦ـ عزوت ما وقفت عليه من الأبيات الشعرية، والأمثال العربية إلى مصادرها، مع الاهتمام بضبطها بالحركات.

٨ـ شرحت غريب اللغة من كتب اللغة، وبينت غريب الحديث، وشرحت الاصطلاحات الصوفية من مصادرها.

٩ـ أعملت قلمي بالتعليق على المسائل العلمية عقدية كانت أم فقهية أم تاريخية مع الإحالة على المصادر المعتمدة.

١٠ـ وثقت النصوص من مصادرها مطبوعة كانت أو مخطوطة، وعرفت بالمصادر التي لم أقف عليها مخطوطة.

١١ـ وضعت عناوين جانبية توضح الفكرة باختصار في الهامش، تسهيلا على القارئ لفهم مدلول النص.

١٣ـ عزوت أبيات الصوفية التي يستدل بها المؤلف على مذهبهم لابن العربي وابن الفارض عند ورودها أول مرة، ولا أعزوها مرة أخرى لكثرة تكرار المؤلف لها ذكرا.

١٤ـ اقتصرت في فهرس الأعلام، والكتب، والأماكن والبلدان، والمذاهب والفرق، والأشعار على فهرسة الكتاب المحقق دون الدراسة، لكون مطالع الكتاب إنما يحرص في العادة على

---

(٦) يصح قولهم لغة: ترجمه أي فسر كلامه. وانظر إن شئت: لسان العرب، وتاج العروس مادة [ترجم].

الوقوف على كلام المؤلف في العَلَم؛ من حيث نَقلُه عنه، أو تَعَقُّبُه له، بينما لا يحصل ذلك مع مقدمة دراسة محقق الكتاب، ويكفي القارئ من هذه الدراسة موضوعاتها، وعلى جميع الأحوال فهو منهج متبع في فهرسة الكتب المحققة عند بعض الباحثين، ولا ضير على من اختاره.

١٥ـ قمت بصنع فهارس علمية تجعل مادة الكتاب في متناول مطالعه وهي كالآتي:

أ/ كشاف الآيات القرآنية.

ب/ كشاف الأحاديث النبوية.

ج/ كشاف الآثار.

ح/ كشاف الأعلام.

خ/ كشاف الكتب الواردة في الكتاب.

د/ كشاف المذاهب والفرق.

ذ/ كشاف الأماكن والبلدان والمدارس العلمية.

ر/ كشاف الأشعار مرتبة حسب القافية.

ز/ فهرست المصادر والمراجع.

ز/ فهرست موضوعات الدراسة.

ط/ فهرست موضوعات الكتاب المحقق.

خطة البحث

جعلت خطة البحث مقسمة إلى: مقدمة البحث، والدراسة، والتحقيق، والخاتمة.

مقدمة البحث: وتتكون من النقاط التالية:

١- أهمية الموضوع والباعث على اختياره.

٢- عملي في دراسة الكتاب ومنهجي في تحقيقه.

٣- خطة البحث.

القسم الأول: الدراسة.

ويتكون من ثلاثة أبواب:

الباب الأول: دراسة عن الحافظ شمس الدين السخاوي.

ويتكون من فصلين:

الفصل الأول: عصر السخاوي وترجمته.

ويضم مبحثين:

المبحث الأول: عصر السخاوي من الفترة (٨٣١-٩٠٢هـ)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الثاني: ترجمة السخاوي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته

المطلب الثاني: مولده وأسرته وموطنه

المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم.

الفصل الثاني: حياة السخاوي العلمية.

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: شيوخه ومروياته ورحلاته العلمية والأعمال التي قام بها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شيوخه الذين أخذ عنهم ومروياته.

المطلب الثاني: رحلاته العلمية.

المطلب الثالث: الأعمال والوظائف التي قام بها.

المبحث الثاني: بعض تلاميذه الذين أفادوا منه.

المبحث الثالث: مترلته العلمية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: مكانة السخاوي العلمية.

المبحث الرابع: بيان عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: تراثه العلمي ووفاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تراثه العلمي.

المطلب الثاني: وفاته.

الباب الثاني: دراسة عن محيي الدين ابن العربي الحاتمي.

ويتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة محيي الدين ابن العربي الحاتمي.

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ونسبته

المبحث الثاني: مولده وأسرته وموطنه

المبحث الثالث: نشأتــه وطلبه العلم

الفصل الثاني: حياة ابن العربي العلمية

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شيوخه ورحلاته العلمية

المبحث الثاني: تلاميذه الذين أخذوا عنه

المبحث الثالث: مصنفاته ووفاته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصنفاته

المطلب الثاني: وفاته

الفصل الثالث: عقيدة ابن العربي وموقف العلماء منه

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مذهب ابن العربي الفقهي.

المبحث الثاني: مذهب ابن العربي العقدي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجذور العقدية لابن العربي

المطلب الثاني: الوحدة الإلهية عند ابن العربي

المبحث الثالث: موقف العلماء من ابن العربي الحاتمي

الباب الثالث: دراسة الكتاب

ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الأول: عنوان الكتاب.

المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الباعث على تأليف الكتاب.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب وبيان موجز لمضمونه.

المطلب الثالث: مصادر الكتاب.

المطلب الرابع: المآخذ على الكتاب.

المبحث الرابع: الكتب المصنفة في موضوع الكتاب.

المبحث الخامس: التعريف بالنسخ الخطية.

المبحث السادس: بيان منهجي في تحقيق الكتاب.

القسم الثاني: النص المحقق.

القسم الأول:

الدراسة

❖ ويتكون من ثلاثة أبواب:

◆ الباب الأول: دراسة المؤلف الحافظ شمس الدين السخاوي.

◆ الباب الثاني: دراسة محيي الدين بن العربي الحاتمي موضوع الكتاب

◆ الباب الثالث: دراسة الكتاب المحقق.

الباب الأول:

دراسة الحافظ المؤلف شمس الدين السخاوي

- وفيــــه فصــــلان:
- الفصل الأول: عصر السخاوي وترجمته.
- الفصل الثاني: حياة السخاوي العلمية.

الفصل الأول:

عصر السخاوي وترجمته

♦ وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: عصر السخاوي.
- المبحث الثاني: ترجمة السخاوي.

المبحث الأول:

عصر السخاوي من الفترة (٨٣١-٩٠٢هـ /١٤٢٧- ١٤٩٦م)

♦ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الحالة السياسية.
- المطلب الثاني: الحالة العلمية والدينية.

المطلب الأول:

الحالة السياسية

*** توطئة:**

يَتَساءلُ كَثِيرٌ من الباحثين والمشتغلين بتحقيق النصوص عن جدوى الحديث عن الحالة السياسية، والعلمية والدينية، في مقدمة دراسة النص التراثي، فيرون ذلك ضَرْباً من تَسْوِيدِ الأوراق؛ إِذْ مَحَلُّه في رأيهم الدِّرَاسَاتُ التاريخية والسياسية التي تهتم بدراسة فترة زمنية معينة؛ حيث يجدون لها معنى ومُسَوِّغاً، أما والحال يتعلق بتحقيق نص تراثي فإن الجدوى منها قليلة جدا إن لم يكن معدوما.

والحقيقة أن هذه النظرة يغلب عليها حُكْمُ التَّعْمِيمِ؛ فقد تكون شخصية المؤلف المَنُوطَةُ بالدراسة ذات مشاركة قوية في عصرها، وتأثير واضح على جوانب الحياة وخاصة السياسي منها لما يحصل لها من اتصال بحكام الفترة، وتولي بعض المناصب كالقضاء ونحوه، مع ما قد يصحب ذلك من حضور المجالس العلمية التي يقيمها بعض السلاطين، والتي تنتهي في كثير من الأوقات بِبُزُوغ فكرة التصنيف في مسألة من المسائل؛ إما بطلب من السلطان نفسه للعالم، أو بمبادرة من هذا الأخير، كما هو الحال مع عَلَمِنا الحافظ السخاوي عندما توثقت صلته بالسلطان الأشرف قايتباي وصنف له ما يقرب من ستة مصنفات قيمة، إلى جانب ما ينشأ غالبا في هذه المجالس من مناظرات ومناقشات علمية يكون للعالم حضور قوي فيها، أضف إلى ذلك أن اضطراب ظروف العصر، وعدم الاستقرار السياسي تؤثر على فكر العالم ونشاطه إيجابا وسلبا.

نعم إذا كان المؤلف محدود الصلة بأحوال مجتمعه وتغيراته، لم يكن للتقديم بوصف عن عصر المؤلف كَبِيرُ جدوى أو فائدة، أما إن كان له تأثير في عصره، ومشاركة في أحداثه، فإن التقديم بدراسة عن الحالة السياسية والعلمية والدينية من الأمور التي تزيد شَخْصِيَّةَ المؤلف وفِكْرَهُ وُضُوحاً وتَجْلِيةً.

ومعلوم أن الدولة الحاكمة إذا كان لها تَشْجِيعٌ للعلماء بتشريفهم، وتقدير رأيهم، واجْتِهَادٌ في نشر كتب العلم والمعرفة، ساعد ذلك على خلق جو علمي جيد، يؤثر إيجابا على الحياة العلمية والدينية بلا ريب، وعلى انتعاش العلم والمعرفة؛ كتابة وتأليفا، ونقدا ومناقشة وتقويماً.

يتركز الحديث عن عصر الحافظ السخاوي من الجانب السياسي في الفترة بين (٨٣١/٩٠٢هـ) وما سبق هذه الحقبة من إرهاصات مهّدت لها، وأفرزت أحداثها.

عاش السخاوي في عهد دولة المماليك الجَرَاكِسَة[1] التي استمرت فترةُ حكمها لمصر وغيرها من بلاد الشام من عام ٧٨٤ إلى ٩٢٣هـ، بلغ عدد سلاطينها ثلاثة وعشرين سلطانا يجمعهم الجنس الجركسي عدا السلطان خَشْقَدَم (٨٦٥/٨٧٢هـ)، والظاهر تَمُرْبغا (٨٧٢هـ) اللَّذين يرجع أصلهما إلى اليوناس.

كما عرف الحكم في هذه الفترة إلغاء النظام الوراثي للسلطة الذي ساد عهد دولة المماليك الجراكسة الأولى قبل السلطان الأشرف بُرِسْبَاي (٨٢٥هـ)، واستُبدِل بنظام التعاقب على الحكم يَتِمُّ بِعَزْل وتَوْلِيَة مَن تَتَّفِق عليه مصالح الأمراء المماليك، فكثرت إقالة السلاطين من الحكم، وتعويضهم بآخرين يخدمون مصلحة من قاموا بتوليتهم؛ بحيث لم يمت من سلاطين المماليك في هذه الفترة مِيتَةً طبيعية سوى اثنان سَلِمُوا من الاغتيال والقتل. [2]

ويمكن تلخيص أهم الظروف والأحداث التي طبعت عصر الحافظ السخاوي في العناصر التالية:

١/ الاضطراب السياسي:

تكاد تتفق المصادر والدراسات التي تناولت هذه الفترة من الجانب السياسي على كونها لم تشهد استقرارا في الحكم؛ لكثرة النزاعات بين أمراء المماليك على السلطة، وخلعهم للسلاطين عندما يقع عدم تلبية مطالبهم، إذ قَلَّما تتجاوز وِلاَيَةُ السلطان سَنَةً كَامِلَةً؛ بل حدث أن دامت في بعض الأحيان ليلة واحدة كما حصل للسلطان خير بك (٨٧٢هـ) الذي اشتهر بِسُلْطَانِ لَيْلَةٍ.

---

(١) يرجع أصل المماليك الجراكسة إلى شمال بحر قزوين، وشرقي البحر الأسود من بلاد جورجيا والجركس، وقد جلبهم السطان قلاوون إلى مصر بالشراء، واستكثر منهم حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف مملوك، فأسكنهم أبراج القلعة، ولهذا سُمُّوا بالمماليك البرجية تمييزا لهم عن المماليك البحرية، ثم تطورت بهم الأمور بعد ذلك حتى وصلوا إلى السلطة والحكم بمصر.

انظر خطط المقريزي ٣/٣٩١ وما بعدها، مصر في عصري المماليك والعثمانيين د. عبد العزيز عبد الدايم ص:(١١٤).

(٢) مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة د. إبراهيم طرخان ص:(٢ـ٤).

وكان مِن شأن هذه الظروف أن أفرزت الدَّسَائِسَ والمُؤَامَرَاتِ بين أمراء المماليك، فانعكس سَلْباً على أحوال البلاد والناس بعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

هذا مع ما حرص عليه أمراء المماليك من الاستكثار من الثروات، والحفاظ على نُمُوِّ أراضيهم وأموالهم الخاصة، والدفاع عن جاههم وشرفهم؛ كان من شأن ذلك كله الانشغال عن مهام الدولة وأمور الناس، والاهتمام بالجهاد والدفاع عن الثغور ضِدَّ تَرَبُّصِ الأعداء.

وفيما يخص أحوال الناس وعامة الشعب فقد انتشر الظلم والفساد، كما ضعف استقلال القضاء وقَلَّت نزاهته، ومِن جانب آخر تقاعس العلماء عن إنكار المنكرات، ودفع الظلم بالنُّصحِ والإرشاد، ساعد على ذلك تغيير السلاطين بين كل فترة وأخرى.

٢/ غياب الصلة بين السلاطين والأمة:

وقد ساهم شعور سلاطين المماليك بعدم الارتباط بأفراد الشعب المصري؛ لعدم الصلة بينهم في الجِنْسِ والأَصْلِ والدَّمِ على خَلْقِ جَوٍّ من عدم الثقة بينهم وبين الناس، فكانوا يأنفون مِنَ الزواج مِنْ أهالي مصر، ويستقدمون من نساء الأتراك والجركس وجواريهم للزواج، وفي مقابل ذلك كان المصريون لا يُقْدِمون على الاختلاط بالمماليك، ولا يشعرون بأي نوع من الصِّلَةِ تَرْبِطُهم بحكام المماليك، ويكتفون بمراقبة اقتتالهم على السلطة بينهم، ونزاعهم المُتَزَايد مع بعضهم البعض لاستجلاب المصالح والأموال.

٣/ انتشار البدع والخرافة:

انتشرت بين الناس في عهد المماليك الخرافات والشعوذة؛ وبخاصة في المجتمع القاهري وامتدت نزعة التَّصَوُّف البِدْعي بين عامة الناس وبعض العلماء، وكَثُرَت الطرق الصوفية، والزوايا الطرقية، وشجع أمراء المماليك على بناء الخانِقَاهات[1]

---

(١) الخانقاه: كلمة فارسية تعني بيت، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. والخوانك حدثت في ديار الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة، حيث يختلي الصوفية فيها للعبادة.

انظر : خطط المقريزي ٤/٢٧١، حسن المحاضرة ٢/٢٢٦، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية لمصطفى الخطيب ص:(١٥٧).

والرُّبط(١) والزوايا، وصرفوا عليها الأموال بكل سخاء. (٢)

وكان بين ذلك كُلِّهِ التَّعَلُّقُ باعتقاد ابن العربي الحاتمي وابن الفارض، وتلاوة قصائده في المجالس والمجامع حتى كثر معظموهم وحصلت الفتنة بهم بين عامة الناس والعلماء، مما دفع بالحافظ السخاوي إلى التصنيف في ابن العربي الحاتمي لبيان حاله للناس.

٤/ حماية الثغور:

ولكن رغم النزاعات الكثيرة التي اكتنفت هذا العهد من حكم المماليك على السلطة إلا أنه قد لوحظ عدم التفريط منهم في سيادة البلاد، والحيلولة دون حصول تدخل خارجي يُهَدِّدُ أَمْنَ البلاد واستقرارها. (٣)

---

(١) الرِّبَاطُ في اللغة ملازمة ثغر العدو، وهي دار حصينة كان المسلمون العرب يستخدمونها في وقت الحرب في مناطق الثغور على حُدُود الدولة الفاصلة، ثم تحولت إلى أماكن للعبادة والدرس، وبيتا للصوفية ينقطعون فيه للعبادة.

انظر خطط المقريزي ٢٩٣/٤، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ص:(٢٠٤).

(٢) انظر مقدمة د. العوفي لتاريخ البقاعي ص:(١١) وما بعدها.

(٣) مصر في عصري المماليك والعثمانيين ص:(١٢٠).

❖ السلاطين الذين عاصرهم الحافظ السخاوي في الفترة بين (٨٣١/٩٠٢هـ).

بلغ عدد السلاطين الذين عاش السخاوي تحت حكمهم اثنا عشر سلطانا مملوكيا وهم الآتي ذكرهم:

◆ السلطان الأشرف بُرِسْبَاي (٨٢٥/٨٤١هـ).

عرفت فترة حكمه لمصر هدوءاً سياسيا بالرغم من سوء الأحوال المعيشية، وارتفاع الأسعار، بسبب سوء التدبير لأمور البلاد الاقتصادية. (١)

وقد فتحت في أيامه قبرص، وأُسِر مَلِكُها جَانُوس في ٨٢٩هـ، بعد معاناة السلاطين قبله في فتحها، وانتهاء محاولاتهم بالفشل.

واجتهد في إفشال كل محاولة لقتله أو الثورة عليه؛ الشيء الذي تعذر على كثير من حكام المماليك الجراكسة فِعلُه بعده، (٢) هذا مع اعتنائه بالعلم وطلبته والفقهاء، وإحسانه إليهم، كما قام ببناء مدرسة هائلة بالديار المصرية. (٣)

وشهدت مصر في عهده حصول طاعونين سنة ٨٣٣هـ، و ٨٤١هـ أثّرا سلبا على أحوال الناس وأمورهم.

◆ السلطان العزيز يوسف بن برسباي (٨٤١/٨٤٢هـ).

تولى الحكم وعمره لا يزيد عن أربع عشرة سنة، ولكنه لم يحكم مصر سوى ثلاثة أشهر، ثم خلعه الأتابك جقمق العلائي. (٤)

◆ السلطان الظاهر جقمق العلائي (٨٤٢/٨٥٧هـ).

ظهرت في بداية حكمه بعض النزاعات ولكنه قام بإخمادها وقمعها، وسرعان ما استقرت أموره في الحكم، وقد اشتهر بحبه للعلماء والعلم، وبالجود والعفة والديانة بالمقارنة مع حال مَن سبقه مِن السلاطين، إلى جانب اعتداله في سياسة الحكم، واهتمامه بالجهاد ضد الفرنج. (٥)

◆ السلطان المنصور عثمان بن جقمق (٨٥٧هـ).

لم تزد مدة حكمه على اثنين وأربعين يوما بعد موت أبيه السلطان جِقْمَق الذي

---

(١) المصدر نفسه ص:(١٣٣-١٤٠).

(٢) إنباء الغمر ١٩/٩، وجيز الكلام ٥٥٥/٢.

(٣) وجيز الكلام ٥٥٥/٢.

(٤) وجيز الكلام ٥٦٢/٢، عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ٤٩/١.

(٥) الضوء اللامع ٧١/٣، وجيز الكلام ٦٧٦/٢، عصر سلاطين المماليك ٤٩/١.

أوصى له بالولاية بعده بعد سعي الأتابك إينال العلائي في خلعه، وقامت بسبب ذلك فتنة انتهت بانسحابه من الحكم، وتولية إينال العلائي.

وقد كانت سيرته محمودةً لما عرف به من التطلع إلى معرفة العلوم، ومجاراة السابقين من أهل المعقول في تلك الفهوم .(١)

◆السلطان الأشرف إينال العلائي (٨٥٧ ـ٨٦٥هـ).

دامت ولايته ثماني سنين وشهرين وستة أيام، وعُرِف بِرَجَاحَة عقله، وحسن سياسته، وحرصه على إخماد الفتن والثورات فساد الهدوء بين الناس في عهده، مع تحريه في سفك الدماء، والمعاقبة على ذلك بالحبس، إلى جانب اتصافه باللين مما جرأ عليه بعض المماليك.(٢)

◆السلطان المؤيد أحمد بن إينال العلائي (٨٦٥هـ).

زالت دولته بعد أربعة أشهر وأيام ثلاثة من ولايته، إذ قامت عليه فئة من الأمراء الطامعين في فُشُو الفساد والظلم، لِمَا رأَته مِن حُبِّ السلطان للعلماء والأدباء، ومجالسة لأهل الفضل والصلحاء، وإحسانٍ إلى عامة الشعب، وتأمينهم على أموالهم وجاههم، ودفع الظلم والعار عن جناهم.(٣)

◆السلطان الظاهر خشقدم الرومي (٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ).

مات عام ٨٧٢هـ بعد فترة حُكمٍ دَامَت سِتَّ سنين ونِصف، وعُرف بهيبة ملوك الأقطار ومَن دونهم له، مع تكريمٍ للفقهاء والعلماء، ومجالسة لهم وفهم حَسَنٍ لكلامهم وعلومهم.(٤)

◆السلطان الظاهر أبو النصر يَلْباي المجنون (٨٧٢هـ).

اشتهر بضعف تدبير أمور الحكم، وقلة حكمته في التسيير، لسيطرة المماليك على رأيه وفكره، فانتهى أمره بعزله وإزالته.(٥)

---

(١) وجيز الكلام ٦٧٦/٢ ـ ٦٧٧، عصر سلاطين المماليك ٥٠/١.

(٢) وجيز الكلام ٧٣٧/٢، عصر سلاطين المماليك ٥٠/١.

(٣) وجيز الكلام ٧٣٨/٢، نظم العقيان ص:(٤٠).

(٤) وجيز الكلام ٧٩١/٢.

(٥) وجيز الكلام ٧٩١/٢، عصر سلاطين المماليك ٥٢/١.

◆ **السلطان الظاهر تَمُرْبَغا الناصري (٨٧٢هـ).**

لم تزد مدة ولايته على ثمانية وخمسين يوما، إذ غَدَرَ به جماعة من المماليك الخشقدمية وعزلوه عن الحكم. (١)

◆ **خير بك (٨٧٢هـ).**

لُقِّب بسلطان ليلة، ولم تدم مدة حكمه سوى ليلة، انتهت بعزل قايتباي أبي النصر له عن الحكم. (٢)

◆ **السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي (٨٧٣ ـ ٩٠١هـ).**

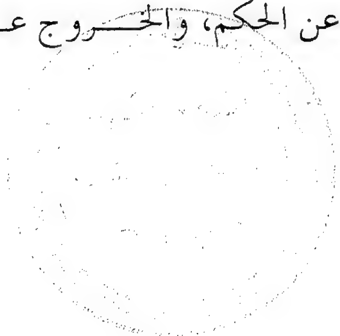
طالت مدة حكمه ودامت تسعة وعشرين سنة؛ وهي أطول مدة قضاها سلطان في الفترة التي عاشها الحافظ السخاوي تحت سلطتهم، وكان على اتصال وثيق به لما عُرِف عنه من حُبٍّ للعلماء وتقريبه إياهم، وعقد للمجالس العلمية والأدبية.

وقد حرص السلطان قايتباي على إخماد ثورات المماليك، وتأديب العُرْبان الثائرين، وإبعاد الفرنجة المغيرين على شواطئ مِصْرَ، كما أُخِذ عليه سوء السياسة مع الجند والموظفين بقطع الرواتب عنهم، وفرض الغَرَامَاتِ والإتَاوَاتِ عليهم، ومحاولة تطاوله على خزائن الأوقاف بالابتزاز لتجهيز الجيوش في الحروب، لولا ما كان يجده من إنكار العلماء عليه بعدم الموافقة.

كما أنه اهتم بإنشاء عدد من المساجد والمدارس، وتجديد الجامع الأزهر، والمسجد النبوي، والمسجد الحرام ببناء إحدى منارات الأذان عليه. (٣)

◆ **السلطان الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١ ـ ٩٠٤هـ).**

انتهت فترة حكمه بإزعاج الأتابك قانصوه له، وتخليه عن الحكم، والخروج عن القاهرة. (٤)



(١) وجيز الكلام ٧٩٢/٢، المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضوء اللامع ٢٠١/٦-٢١١، شذرات الذهب ٦/٨، عصر سلاطين المماليك ٥٤/١-٥٥.

(٤) شذرات الذهب ٢٢/٨، عصر سلاطين المماليك ٥٥/١.

المطلب الثاني:

الحالة العلمية والدينية

لقد غدت مدينة القاهرة في عصر الحافظ السخاوي العاصمة العلمية التي يأوي إليها العلماء والأدباء من بُغَاة العلم وطلابه، بعد سقوط بغداد دار السلام (٦٥٦هـ) مَعْقِلَ العلم والمعرفة في المشرق على يد المغول، دون أن ننسى قرينتها في الغرب الإسلامي عَدْوَةَ الأندلس، والتي شكلت بدورها قِبْلَةَ إشعَاع للعلوم والمعارف تُضِيء للعرب والأوربيين على حد سواء قبل أن تسقط بيد الصليبيين الحاقدين، إذ كان سقوط مملكة غرناطة في (٨٩٨هـ) مُؤْذِناً بزوال أثر المسلمين عن هذه العدوة العلمية الزاهرة.

وكانت القاهرة قد سلمت من عوادي الدَّهر، فاتجه إليها عدد من أصحاب العلم والمعرفة والقلم لما كانت تتمتع به من الاستقرار والازدهار العلمي، فصارت مركزا علميا يجتمع فيه كبار الحفاظ والعلماء.(١)

وإذا كانت الحالة السياسية في هذا العصر قد شهدت تدهورا واضحا، وتمزقا فاضحا، فإن الحالة العلمية عرفت استقرارا ملموسا، وازدهارا محسوسا، يمكننا تلخيص أهمها في النقاط التالية:

١/ إنشاء المعاهد العلمية والخزائن:

يرجع عهد عمارة المدارس العلمية بمصر على المذهب السُّنِّي إلى صلاح الدين الأيوبي، بعد أن خلت مصر من كل ذلك في عهد العبيديين باستثناء الجامع الأزهر، الذي أُنشئ لخدمة مذهبهم وطريقتهم، فهم شيعة إسماعيلية ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة.(٢)

---

(١) ولا يعني هذا عدم وجود أي نشاط علمي في هذه الفترة بعيدا عن القاهرة ومصر على الإطلاق؛ فقد كان يشهد المغرب في هذا العهد حكم دولة بني مرين، حيث اشتهرت عدة عواصم علمية كفاس ومراكش وبجاية وتلمسان وقيروان تونس، وكانت جامعة القرويين في المغرب الأقصى قبلة للعلماء في جميع الفنون والمعارف.

يُنظر "وَرَقَات عن حضارة المرينيين" للعلامة محمد المنوني.

(٢) خطط المقريزي ١٩٢/٤، حسن المحاضرة ٢٢٣/٢.

فعمد صلاح الدين الأيوبي إلى إنشاء مدارس للمذهب المالكي والشافعي، وأبطل مذهب الشيعة الذي أُلزم الناس به أيام العبيديين، واقتدى به خلفاء الأيوبيين في هذا العمل الجليل.

وفي عصر المماليك اهتم السلاطين بإنشاء المدارس العلمية الكبيرة، والأربطة، والجوامع، والخوانق، يقصدها الطلاب والشيوخ للتدريس والإقراء بها، وصارت هذه المدارس في القاهرة تُعَدُّ بالمئات تُدَرَّس فيها جميع العلوم على مختلف المذاهب الفقهية، مَعَ تَقَلُّلٍ في علم الحديث وفنونه، إذا استثنينا بعض الحفاظ الذين برزوا في هذه الفترة.

ورُتِّب للمدرسين والشيوخ رواتب على التدريس تُصرف لهم.

وكانت هذه المدارس العلمية تحوي خزائن ضخمة من نفائس الأعلاق والمخطوطات، متنوعة الفنون، يأوي إليها الطلبة والعلماء، ويسترشدون بها في تصانيفهم، ويفيدون منها في الإقراء والتدريس، كما هو الحال بالنسبة للخزانة المحمودية التي كان الحافظ ابن حجر قَيِّماً عليها، وخزانة الجامع الأزهر، وخزانة الجامع الأنور الذي يعرف بجامع الحاكم.[1]

٢/ احتضان السلاطين للمجالس العلمية:

اهتم السلاطين المماليك بعقد المجالس العلمية في قصورهم، حيث تُعَدُّ مُنَاسَبَةً للعديد من النقاشات العلمية بين العلماء، يحضرها أحيانا كبار الحفاظ فيُثْرُون الحوار العلمي، ويرفعون من مستواه، وكثيرا ما كانت تنتهي بتصنيف في مسألة من المسائل التي يدور حولها الخلاف للفصل في القضية موضع النقاش،[2] ومن هؤلاء الحفاظ السخاوي الذي تَمَتَّع بعلاقة قوية مع بعض سلاطين زمانه مِن ذوي الاهتمام بالعلماء والتشجيع لهم؛ كالظاهر جقمق،[3] والأشرف أبي النصر قايتباي الذي أنجز له السخاوي بعض أعماله وبحوثه بإشارة منه وأهدادها إليه؛ بل قرأ السلطان قايتباي على السخاوي بعضها، وكاتبه بالاستفتاء في بعض القضايا، وقد أثنى السخاوي ثناءً عطرا عليه، أَلْمَعَ فيه إلى مدى التشجيع الذي لَقِيَه الوسط العلمي من السلطان قايتباي.[4]

---

(١) خطط المقريزي ٢٥٣/٢ وما بعدها، الجواهر والدرر للسخاوي ٦٠٩/٢.

(٢) الأيوبيون والمماليك في مصر والشام د. سعيد عاشور ص:(٣٥٣) وما بعدها.

(٣) الضوء اللامع ٧٢/٣ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه ٢١١/٦.

٣/ انتعاش الحركة العلمية التاريخية:

ساهم كثرة تردد الملوك على الحكم في ازدهار علم التاريخ والتراجم على وجه الخصوص، لِوُلُوع بعض سلاطين المماليك بهذا الفن، وقد ألف عدد من العلماء في هذا العلم، وأَثْرَوا الخزائن العلمية بعدد من المصنفات في هذا الباب، وهي تُصَور جانبا مُهِماً مِن الحياة العلمية والاجتماعية في هذا العهد الزاهر، شَكَّلَت للباحثين في فن التراجم فيما بَعْدُ مصدرا مُهِماً لدارسة هذا العصر.

ومِن أبرز مَن تقدم في هذا الميدان الحافظ ابن حجر بكتابه الأريب "إنباء الغمر"، والحافظ المقريزي بكتابيه "السلوك" و"الخطط"، وعَلَمُنا الحافظ السخاوي الذي حاز على نَصِيب الأسد في فن التراجم؛ فإذا ذُكِر علم التاريخ والتراجم في هذه الفترة لم يَكُن بُدٌّ من الإشادة بدوره الرائد، ويُعد كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" من أتقن مصنفاته في علم التراجم، إذ يجد النَّاظِر فيه صورة شاملة ووافية عن ما كان يدور في هذا القرن من جميع الجوانب، فهو بحق موسوعة علمية للقرن التاسع، ولذا هَبَّ أَحَدُ تلاميذ السخاوي؛ وهو زين الدين بن الشَّمَّاع الحلبي (٩٣٦هـ) إلى تَصْنِيفٍ[1] يُبَيِّن فيه قيمة مصنف شيخه الضوء اللامع.

دون أن ننسى الحافظ السيوطي الذي شارك في فن التراجم بعدة مصنفات منها "بغية الوعاة"، و"حسن المحاضرة"، و"نظم العقيان"، لكنه في الحقيقة يبقى دون السخاوي في هذا الباب.

٤/ بزوغ فجر علماء حفاظ:

ظهر في هذه الفترة من عصر السخاوي علماءٌ كِبَارٌ،وجَهَابِذة أَفذَاذٌ، عرفتهم مصر على وجه الخصوص ساهموا في النهوض بالحياة العلمية في عدة فنون، مما كان له أكبر الأثر على شخصية السخاوي العلمية، وبخاصة التراث العلمي الزاهر الذي خَلَّفُوه بعد موتهم، وهكذا استفاد السخاوي من الوقوف عليه، والاطلاع على مضمونه، وعلى رأس هؤلاء الجِلَّة من الأعلام؛ السِّرَاج البُلْقِيني (ت ٨٠٥هـ)، زَينُ الدين العراقي (٨٠٦هـ)، والهيثمي (٨٠٧هـ)، وولي الدين العراقي (٨٢٦هـ)، وشمس الدين ابن الجزري (٨٣٣هـ)، والمقريزي (٨٤٥هـ)، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، والبدر

---

(١) القَبَسُ الحاوي لِغُرَرِ ضَوءِ السَّخَاوي، نشرة دار صادر في مجلدين سنة ١٩٩٨م.

العينـــي (٨٥٥هــ)، وابن فهد الهاشمي (٨٧١هــ)، وابن تَغْري بَــرْدي (٨٧٤هـــــ)، والسيوطـــي (٩١١هــ) وغيرهم كثير؛ ممن كان لهم اتجاه الموسوعية في التأليف، دفعـهم إلى ذلك إحساسهم بضياع قدر كبير من تراث الأمة أثناء هجمات المغول على بغـــداد، والصليبيين على الأندلس بالإحراق والغَرَق، محاولة منهم لتعويض ما فَاتَ، وإن كان قـد غلب على بعض ذلك عدم الجودة والدقة في كثير من الأحيان نتيجة لتصنيف العـــالم في غير فَنِّه، ومشاركته بالتأليف لغير أهل تخصصه.

وخلاصة القول عن هذا العصر أن الحالة السياسية غير المستقرة في العصر المملوكـــي التي عاشها الحافظ السخاوي لم تؤثر سلبا على الجانب العلمي والديني في عصره، بل ساد ذلك ازدهارا واسعا، وتطورا مشهودا، ساهم بشكل كبير في صَقْلِ شـــخصية الحـــافظ السخاوي العلمية والمعرفية.

المبحث الثاني:

ترجمة السخاوي

◆ وفيه مطالب ثلاثة:

- المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبته.
- المطلب الثاني: مولده وأسرته وموطنه.
- المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم.

● مدخل إلى مصادر ترجمة الحافظ السخاوي.

إن أوثق مصدر يمكن استقاء مادة علمية وافية منه عن حياة المؤلف، وما يرتبط بها من رحلات علمية ومرويات ومؤلفات هو ما تُسَطِّرُه يَرَاعُ العالم نَفسِه، ويترجم به لشخصه، إذ هو أعلم بها مِن كل مَن يَتوقُ إلى شيء من ذلك.

ولقد حفظ لنا التاريخ ـــ بفضل مِن الله سبحانه ـــ سِفْرا نَفِيسا، وعِلْقاً أَنيساً، يكشف عن حياة السخاوي العلمية والمعرفية؛ أعني بذلك كتابه الحافل في الترجمة لنفسه **"إرشَادُ الغَاوي بَل إسعَادُ الطَّالِب والرَّاوي للإعلامِ بترجَمَةِ السَّخَاوي"**،[1] صَنَّفه إجابة لمن سأله عنها، كما صرح به في ديباجة الكتاب، وفي الضوء اللامع.[2]

ويمكن القول بأن عَلَمَنا السخاوي قد أودع في هذه الترجمة الحافلة مادة علمية غزيرة عن نفسه، تتعلق بجميع جوانب حياته، وهي بحق جديرة بالدراسة والتحقيق؛ لما تتضمنه من قضايا ذات أهمية في حياته الفكرية والعلمية.

وقد رتَّبَ السخاوي كتابه على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، جاءت شافية للباحث في أخباره، كافية للراغب في الوقوف على آثاره، تحدث فيها عن طلبه العلم، وسَرَد قائمة بشيوخه الذين أخذ عنهم ولقيهم، وأسانيده ومروياته عنهم، ورحلاته لطلب اللُّقْيا والسماع، وتلاميذه الذين أخذوا عنه بلقائه في سفراته، أو اسْتَدعَوا إجَازَته، ونصوص العلماء الذين أثنوا عليه، والأعمال التي باشرها من تدريس وإقراء، وإملاء وتحديث، وخطابة وإمامة وغير ذلك، وتصانيفه وتراثه العلمي الذي خَلَّفه والذي لم يصلنا منه سوى القليل، على الأقل إلى الآن.

وهكذا فإن السخاوي لم يترك مجالا لغيره من المؤرخين للحديث عنه، أو إضافة جديد يذكر عن سيرته، فقد جمع فأوعى، كل ذلك مع جودة في الترتيب والتأليف بين فصولها وأبوابها، كيف لا وهو المؤرخ الناقد البصير.

و لم يكتف السخاوي بهذه الترجمة الحافلة؛ بل ترجم لنفسه أيضا في كتابه الضوء اللامع[3] ـــ وَفَاءً بشَرطِه فيه ـــ ترجمة مختصرة جداً إذا ما قورنت بإرشاد الغاوي.

ويمكن القول بكل اطمئنان بأن جميع الذين درسوا شخصية السخاوي و لم تسعفهم

---

(١) وسيأتي ذكر نسخه الخطية ضمن المبحث المفرد عن مؤلفاته.

(٢) الضوء اللامع ١٧/٨، مقدمة إرشاد الغاوي (مخطوط ل/٢أ).

(٣) الضوء اللامع ٢/٨ ـــ ٣٢.

فُرصَةُ الوُقُوف على ترجمة السخاوي "إرشاد الغاوي" قد فاقم الكثير عن حياة هذا العالم الفذ، الناقد المحدث، المؤرخ البصير.

كما أجدني بعد الوقوف ــ بحمد الله ــ على كتاب إرشاد الغاوي، وما ذكره عن نفسه مختصرا في الضوء اللامع في غِنًى عَن إِكْلالِ رَاحِلَتِي باستعراض مصادر التراجم القديمة التي تحدثت عن السخاوي، وتتبع مدى قيمة المادة العلمية التي ذكرتما عنه في هذا المدخل المختصر؛ والذي قصدت منه بالدرجة الأولى بيان أهم المصادر التي حفظت لنا مادة علمية متكاملة وموثوقة عن حياة السخاوي.

وقبل الشروع في ترجمة السخاوي أرى مِنَ الأمانة ذِكرَ بعض جهود الباحثين المعاصرين في دراسة هذا العالم الجليل، والتي لا تخلو من جُهدٍ مبذول للكشف عن بعض جوانبه في مختلف الفنون العلمية التي برز فيها.

وقد حرص الباحثون المعاصرون منذ فترة ليست بالقصيرة على دراسة شخصية السخاوي سواء على مستوى الرسائل العلمية، أو البحوث العلمية المستقلة، واجتهدت في معرفة هذه الدراسات، ومحاولة حصرها مع الوقوف على نماذج منها، بالنظر إلى الجانب الدراسي الذي تناولته كل دراسة من شخصية السخاوي العلمية؛ وهي بمجموعها تشكل تكاملا معرفيا عن الحافظ السخاوي.

.. وتعتبر أول دراسة تتناول الحافظ السخاوي ما قام به الباحث رزق عامر من دراسة لجهوده في علم الحديث،[1] تلته بعد ذلك دراسة كل من الباحثين الدكتور عبد الكريم الخضير،[2] والدكتور الفهيد،[3] مقدمة لتحقيق كتابه "فتح المغيث بشرح ألفية العراقي في الحديث"، ثم دراسة الدكتور عبد الله الشقاري[4] بعنوان "السَّخَاوي مُؤَرِّخا" حاول فيها

(١) أطروحة لنيل درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، نوقشت، وتقع في ٤٨٠ ورقة.

(٢) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة ١٤٠٧هـ، حقق فيها النصف الأول من الكتاب.

(٣) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠٧هـ، حقق فيها النصف الثاني من الكتاب.

(٤) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٧هـ من قسم التاريخ، نوقشت وتقع في ٥٠٨ ورقة.

إبراز شخصية العالم المؤرخ في السخاوي، ومنهجه في علم التاريخ والتراجم، وكونه من كبار المؤرخين في عصره الذين أبدعوا في التصنيف في عدة مجالات من الدراسات التاريخية، وأنماط من الكتابات النقدية، وتوصل الباحث فيه إلى أن السخاوي يتمتع بحاسة نقدية قوية للنصوص التاريخية، بَوَّأَته في هذا العلم مَكَانَةً عَلِيَّة.

واهتم الباحث الشقاري أيضا بدراسة أهم كتب السخاوي في علم التاريخ سواء على مستوى التراجم العامة التي تتناول حقبة زمنية معينة، أو التراجم الخاصة المفردة في شخصيات علمية معينة، وتمكن من الكشف عن معالم منهج السخاوي التاريخي، ومصادره في الكتابات التاريخية، وبخاصة كتابه الماتع "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ"، إلى جانب ما قام به من مقارنة بين المنهج التاريخي عند السخاوي، وبعض معاصريه كالسيوطي والبقاعي، والسمات التي ميزته عنهم.

و لم يقف الباحث على ترجمته لنفسه إرشاد الغاوي، واعتمد على ما ذكره من ترجمته المختصرة في الضوء اللامع، وما ورد متناثرا في مصنفاته، ففاته بذلك الوقوف على عِدَّة جوانب متعلقة بتراث السخاوي وشيوخه وتلاميذه وأسانيده ورحلاته، وغير ذلك.

ولعل من المناسب أن نُنَبِّه على الإشارات التي وردت عند المستعرب د. فرانز روزنتال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين[1] عن منهج السخاوي في علم التاريخ من خلال نماذج من بعض مصنفاته فيه، ولكنها كما ذكرت إلماعات ليس إلا، و لم تكن تخلو من محاولاتٍ لغمز منهج المسلمين في البحث التاريخي كلما سَنَحَت له الفُرصَة بذلك.

كذلك ما كتبه الأستاذ عبد الله عنان في التعريف بحياة السخاوي وتراثه،[2] وتكاد تكون اختصارا لترجمة السخاوي من الضوء اللامع، دون زيادة تذكر؛ بل إنه وَهِمَ في نسبة بعض المؤلفات له.[3]

وعقد المجلس الأعلى للثقافة في مصر ندوة عن السخاوي عام ١٩٨١هـ، تعَرَضَ فيها الباحثون من خلال البحوث التي ألقيت إلى الفنون التي أبدع فيها بالتصنيف.

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين ص:(٣٧١ ــ ٧٥٣) ترجمة د. صالح العلي نشرة مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٣م.

(٢) طبعت ضمن كتابه "مؤرخو مصر الإسلامية"، ونشر ما كتبه عن السخاوي في مجلة الرسالة عدد: (١٠٣، ١٠٤).

(٣) ينظر المبحث الخاص بمؤلفاته.

وأرجئ الإشارة إلى المقالات التي نُشِرت عن السخاوي في الدوريات العلمية المتخصصة إلى حين ذكر مصادر ترجمة السخاوي، لأعود إلى الحديث عن الدراسات الجامعية التي تناولت السخاوي بالبحث.

ومن الباحثين الذين اهتموا بدراسة السخاوي الباحث سعيد حكيم في رسالته "الحافظ السخاوي وجهوده في الحديث"،[1] والباحث بدر العَمَّاش[2] بقريب من هذا العنوان.

وقد وقفت على رسالة الباحث العَمَّاش "السخاوي وجهوده في خدمة الحديث وعلومه" حيث اجتهد فيها لإبراز شخصية السخاوي في الدراسات الحديثية، ودوره في إثراء هذا الفن بمؤلفاته العلمية القيمة في جميع جوانب علم الحديث النبوي.

وانفرد الباحث عن الدراسات التي سبقته بوقوفه على ترجمة السخاوي إرشاد الغاوي، مما ساعده على الإفادة من نُصُوص قيمة تَتَّسِم بالجِدَّة، كما اهتم في رسالته بإجراء بَحْثٍ بيبليوغرافي جَيِّدٍ عن آثار السخاوي العلمية، وَصَلَ إحصاؤها عنده إلى مائتين وخمسين لم تَسْلَم من تَعَقُّبَاتٍ واستدراكاتٍ نبهت عليها عند ذكر مصنفات السخاوي.

ويُعَدُّ المبحث المتعلق بمؤلفات السخاوي عند الباحث العماش من أجود مباحث الرسالة، إن لم نقل أجودها على الإطلاق؛ بحيث تعتبر الرسالة فِهْرِساً إحصَائِياً وَصْفِياً لمصنفات السخاوي.

وتناول في الباب الثاني جهود السخاوي في علوم الحديث، وحاول إبراز أهم معالم شخصيته العلمية في هذا الفن بدراسة بعض مصنفاته في هذا الباب ككتابه "فتح المغيث" و"المقاصد الحسنة"؛ ولكن يبدو أن الجانبَ التَّحليلي القائم على جمع النصوص، ومُحَاولة اسْتِنْطَاقِها بالقراءة بين السطور والعبارات للنفوذ إلى معالم المنهج العلمي، كان يحتاج من الباحث إلى مَزِيدٍ من التحليل والمناقشة في دراسته لهذه الشخصية القوية، التي وُصِفَت بخاتمة حفاظ عصره خصوصا الجانب الذي تناوله الباحث في دراسته؛ وهو علم الحديث، ولِمَا تميزت به مصنفاته في هذا العلم من ضَبْطٍ وإتْقَانٍ تَامَّيْن.

ومِن الدراسات المعاصرة التي تناولت الحافظ السخاوي مقدمة الأخ الباحث خالد

---

(١) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة الحسن الثاني بكلية الآداب بالدار البيضاء عام ١٤١٣هـ.

(٢) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٨هـ، نوقشت وتقع في ١٠٣٥ ورقة، وقد طبعت بمكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢١هـ.

بابطين لتحقيق كتابه "استجلاب ارتقاء الغرف"،[1] اعتمد فيها على ترجمته لنفسه في الضوء اللامع، وعلى دراسة الباحث مشهور سلمان عن مؤلفات السخاوي ــ الآتي ذكرها قريبا ــ اختصر فيها الحديث عن جانب المؤلفات، مع اهتمام جَيِّدٍ منه بدراسة الكتاب المحقق، ولم يقف على كتاب إرشاد الغاوي الحافل في ترجمته، والذي لامَنَاصَ لدارسِ السخاوي منه، حيث لا يغني ما أورده من نصوص عن نفسه في الضوء اللامع.

ورَكَّز الباحث في دراسته على معالجة موضوع آل البيت النبوي بشكل جيد، ونبه فيها على أهمية مصنف السخاوي بالمقارنة مع باقي المصنفات في هذا الباب، وخُلُوِّه من النصوص الموضوعة والواهية، في حين تمتلئ باقي المصنفات من مثيلاته بالوَهَن.

ولايفوتني التَّنْوِيه بدراسة الأستاذين الباحثين مشهور سلمان، وأحمد الشقيرات عن مؤلفات السخاوي،[2] وقد بذلا فيها جهدا واضحا في تتبع مؤلفات السخاوي المخطوط منها والمطبوع، وهي دراسة إحصائية جيدة لتراث السخاوي، على فَوْتٍ بسبب عدم اعتمادهم لترجمته الحافلة إرشاد الغاوي وغير ذلك، نَبَّهتُ على ذلك في مَوضِعِه من مبحث مؤلفاته، إلى جانب عدم اهتمامهما بإشارات المستعرب بروكلمان في تاريخه[3] لأماكن وجود بعض مؤلفات السخاوي.

وبالجملة فإن هذه الدراسات بمجموعها تُكَمِّل بعضها، والنقص البشري صفة ملازمة للإنسان، والكمال عزيز. علما بأنني استفدت من وقوفي عليها، وحاولت بجهد المُقِلِّ أن أنبه على ما بدا لي من جوانب نقص فيها رجاء حصول الغرض من دراسة السخاوي.

---

(١) مُقَدِّمَة رسالته لنيل درجة الماجستير لكتاب "استجلاب ارتقاء الغرف" للسَّخَاوي بجامعة أم القرى ١٤٢٠هـ، وقد طبعت عن دار البشائر الإسلامية بيروت عام ١٤٢١هـ.

وقد حُقق الكتابُ نفسُه من قبل الباحث محمد بن عيسى الحميري لنيل درجة دكتوراه من جامعة القرويين بفاس عام ١٤٢١هـ.

(٢) مؤلفات السخاوي نشرة دار ابن حزم ١٤١٩هـ .

(٣) تاريخ الأدب العربي القسم السادس ص:(١٢٦ ــ ١٣١) نشرة الهيئة المصرية العامة للتأليف.

المطلـــب الأول

اسمه ونسبه وكنيتـه ولقبـه ونسبتـه[1]

....

(١) تُرجِم له في المصادر والمراجع التالية:

ــ إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي (مخطوط نسخة أيـا صوفيـا برقم: ٢٩٥٠ تقع في ٢٣٢ق).

ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٢/٨ ــ ٣٢.

ــ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (نشرة دار ابن حزم سنة ١٤١٩هــ).

ــ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢/٥١٣ ــ ٥١٤.

ــ التبر المسبوك في ذيل السلوك ص:(٢٣٢ ــ ٢٣٣)، وجميعها للسخاوي.

ــ عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران للبقاعي (مخطوط ج/٤ ل/٤٣٤ ــ ٤٣٥).

ــ نظم العقيان في أعيان الأعيان ص:(١٥٢ ــ ١٥٣).

ــ الكاوي على تاريخ السخاوي، (ضمن مقامات السيوطي ٢/٩٣٣ ــ ٩٥٧) كلاهما للسـيوطي (٩١١هــ).

ــ القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي لابن الشماع الحلـبي (٩٣٦هـــ) (نشـرة دار صـادر ــ بيروت).

ــ التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والنَّاد لابن غازي (٩١٧) ص:(١٤٨ ــ ١٦٩).

ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي (٩٣٠هــ) ٣/٣٦١.

ــ ثبت أبي جعفر البلوي الوادي آشي (٩٣٨هــ) ص:(٣٧٤ ــ ٣٧٥).

ــ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون (٩٥٣هــ) ١/١٧٨.

ــ النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس (١٠٣٨هــ) ص:(١٨ ــ ٢٣).

ــ الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (١٠٦١هــ) ١/٥٣ ــ ٥٤.

ــ أسماء الكتب لرياضي زادة (١٠٥٤هــ) ص:(٣٩، ١٧٣، ١٨٧ وغيرها).

ــ كشـف الظنـون للحـاج خليفـة (١٠٦٧هـــــ) ص:(٢، ١٢، ٢٩، ٦٢، ١٠٧، ١٢٨، ١٥٦،١٥٧س، ٢٩٥، ٣٦٧، ٤٦٥، ٥٠٣، ٦١٨، ٩٠٩، ١٠٨٩، ١١٧٢، ١٣٥٦، ١٣٦٢، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٧٧٩، ١٨٨٤، ١٩١١، ١٩٦٤، ١٩٦٩).

ــ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هــ) ٨/١٥ ــ ١٧.

ــ ديوان الإسلام للغزي (١١٦٧هــ) ص:(٣ ــ ٩٧).

ــ جمان الدرر مختصر الجواهر والدرر لعبد الله البصروي (١١٧٠هــ) (مخطوط).

=

ـــ تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـــ) [مادة: سخى].
ـــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني (١٢٥٠هـــ) ٢/١٨٤ ـــ ١٨٧.
ـــ التاج المكلل عن جواهر مآثر الطراز الآخر والأول صديق حسن خان (١٣٠٧هـــــ) ص:(٤٤٩ ـــ ٤٥٠).
ـــ خطط مبارك لعلي مبارك (١٣١١هـــ) ١٢/١٥ .
ـــ اكْتِفَاءُ القُنُوع بما هُو مَطْبُوع إدوارد فنديك ص:(٣٧٧).
ـــ إيضاح المكنـــــون ٢٧/١، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٥٧، ٧٠، ١١٢، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٥١، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٨، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٧٩، ٤٧٤، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٧٩، ٦٠٥.
٢/١٢، ٣٨، ٣٩، ٧٩، ٨٠، ٩٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٥٠، ١٦٩، ١٨٠، ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٧٥، ٤٠٧، ٤٢٠، ٥٣٢، ٥٩٤، ٧١٩.
ـــ هدية العارفين ٢/٢١٩، ٢٢١.
ـــ تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان (١٣٣٢هـــ) ٣/١٨٣ ـــ ١٨٤.
ـــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس (١٣٥١هـــ) ص:(١٠١٢ ـــ ١٠١٤).
ـــ "عُقُود الجوهَر في تَراجِم مَن لهم خمسون مُصَنَّفاً فمائة فأكثر" لجميل العظم (١٣٥٢هـــ) (طبع الجزء الأول في بيروت سنة ١٩٠٨هـــ ولا يزال الجزء الثاني مخطوطا).
ـــ "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" لمحمد بن جعفـــر الكتـــاني (١٣٥٤هـــــ) ص:(٨٤).
ـــ "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلســــلات" لعبـــد الحـــي الكتـــاني (١٣٨٢هـــ) ٢/٩٨٩ ـــ ٩٩٣.
ـــ التعريف بالمؤرخين لعباس العزاوي (١٣٧٦هـــ) ١/٢٥٢.
ـــ الأعلام للزِّركلي (١٣٩٦هـــ) ٦/١٩٤.
ـــ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٣٩٦هـــ) ١٠/١٥٠.
ـــ المستدرك على معجم المؤلفين له أيضا ص:(٦٧٨ ـــ ٦٧٩).
ـــ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان القسم السادس ص:(١٢٦ ـــ ١٣٢) (نشرة الهيئة المصريـــة العامة للكتاب ـــ القاهرة).
ـــ تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ......
ـــ معجم المؤرخين المسلمين ليسري عبد الغني ص:(٨٨ ـــ ٩١).
ـــ المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري لمحمد مصطفى زيادة ص:(٣٠).
ـــ ذخائر التراث العربي لعبد الجبار عبد الرحمن ١/٥٦٦ ـــ ٥٦٨.

=

ـ المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٣/١٦٠ ـ ١٦٤.
ـ "فَتحُ العَلام في أسانيد الرجال وأَثْبَاتِ الأعلام" لصالح الأركاني الرابغي (١٤١٨هـ) (مخطوط خاص).
ـ مقدمة تحقيق كتاب رجحان الكفة لمشهور سلمان وأحمد الشقيرات.
ـ مؤلفات السخاوي لمشهور سلمان وأحمد الشقيرات.
ـ "الموسوعة العربية العالمية" إشراف الأمير سلطان بن عبد العزيز ١٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣.
ـ "السخاوي وأثره في علوم الحديث" للباحث رزق عامر أطروحة لنيل درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ١٤٠٥هـ، تقع في ٤٧٠ ورقة، مرقونة على الآلة الكاتبة.
ـ "السخاوي مؤرخا" د. عبد الله الشقاري أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٧هـ مرقونة على الآلة الكاتبة.
ـ "الحافظ السخاوي وجهوده في الحديث" للباحث سعيد حكيم، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الحسن بالدار البيضاء.
ـ مقدمة تحقيق كتاب "فتح المغيث بشرح ألفية العراقي في الحديث" د. عبد الكريم الخضير (النصف الأول من الكتاب) أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٧هـ.
ـ مقدمة تحقيق النصف الثاني من كتاب فتح المغيث د. الفهيد أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام بالرياض.
ـ "السخاوي وجهوده في خدمة الحديث وعلومه" د. بدر العماش أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ١٤١٨هـ، مطبوعة بمكتبة الرشد بالرياض عام ١٤٢١هـ.
ـ "مقدمة تحقيق كتاب استجلاب ارتقاء الغرف" للباحث خالد بابطين أطروحة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المشرفة ١٤٢٠هـ، مطبوعة بدار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢١هـ.
ـ مقدمة تحقيق كتاب استجلاب ارتقاء الغرف للباحث محمد بن عيسى الحميري، جزء من متطلبات أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس ١٤٢١هـ مرقونة على الحاسب الآلي.
ـ مجلة المؤرخ العربي عدد ٣٠/٢٤٩ ـ ٢٦١.
ـ مجلة المنهل عدد ٥/٥٠٦.
ـ مجلة العربي عدد ١٦٠/ ٤٨ـ ٥١.
ـ مجلة الرسالة عدد ١٠٣/١٠١١ ـ ١٠١٣، ١٠٤/١٠٤٦ ـ ١٠٤٨، ١٠٧/١١٩٧، ١٤٢/٤٧٩، ١٤٣/٥١٨، ١٤٥/٥٩٩ ـ ٦٠٠.

هو العلامة المحدث، الحافظ المتقن، المسند المكثر، المؤرخ الناقد، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد[1] الملقب شمس الدين أبو الخير، [2] وقد يكنى أبا عبد الله على الجادة، [3] بن الزين أو الجلال أبي الفضل وأبي محمد السخاوي[4] الأصل، نسبة إلى سَخَا [5] القاهري المولد، الشافعي المذهب.

ولَقَّبَه بعضهم بالبارد وهو لقب لجده، ولم يشتهر به إلا بين أناس مخصوصين، ولم يكن شُهرَةً لأبيه بين الجمهور من الناس؛ بل كان يكره أن يُلَقب به، ولا يذكره به إلا من يقصد احتقاره، وذلك كابن عُلية، وابن الملقن، ونحوها من الألقاب المذمومة التي يخالف فيها الاسم المسمى، والنعت المنعوت. [6]

وقد نَبَّه السخاوي على أن الأصل في نسبه يرجع إلى بغداد؛ حيث قدم أبوه منها مع جده ثم تحول إلى سَخَا التي اشتهرت نسبتهم إليها، وأسند هذا الخبر إلى عمته،[7] في حين نجده بعد ذلك يتحفظ من نسبته إلى بغداد، ويحتاط من صحتها ويقول: "وربما يقال له البغدادي إن صح بدون مكابرة". [8]

فلعله لم يطمئن إلى صحة الخبر بنسبتهم إلى بغداد عن عمته والله أعلم.

---

(١) ذكر السخاوي في إرشاد الغاوي (مخطوط ل/١١أ) بأنه لا يعرف زيادة على محمد مع تردده في اسم محمد.

(٢) المصدر نفسه (مخطوط ل/١٢أ).

(٣) المصدر نفسه (ل/ ١٢أ).

(٤) ذكر الحافظ السخاوي جمعا من العلماء غيره الذين ينسبون أيضا إلى سخا، دفعا للاشتباه. ينظر إرشاد الغاوي (مخطوط ل/١١أ ــ ١١ب).

(٥) سَخَا: بلدة قديمة غربي الفسطاط بمصر، والقياس في النسبة أن يقال سَخَوي، ولكن غلب على الناس النسبة إلى سخاوي.
انظر معجم البلدان ٣/٢٢١، تاج العروس [مادة: سخى] ١٩/٥١١ ــ ٥١٢.

(٦) إرشاد الغاوي ل/١٢أ ــ الضوء اللامع ٨/٣.

(٧) إرشاد الغاوي ل/١١أ.

(٨) المصدر نفسه ل/١١ب.

المطلب الثاني:

مولـــــــــده وأسرتــه وموطنــه

ولد في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة[1] بحارة بهاء الدين علو الدَّرْبِ المجاور لمدرسة شيخ الإسلام البلقيني محل أبيه وجده بالقاهرة، ثم تحول منه حين دخل في الرابعـــة مع أبويه لملك اشتراه أبوه مجاور لسكن ابن حجر العسقلاني،[2] الذي لازم مجالسه وأفـاد منه بما يندر نظيره بين أهل العلم، وسيأتي الحديث عن ذلك في نشأته العلمية.

وذكر السخاوي عن أسرته مجيء جده إلى القاهرة، ومجاورته شيخ الإسلام الســـراج البُلقيني،[3] وكان جده قد سكن في بيت من أملاك الشيخ سراج الدين، ولمحبته له كـــان يقنع منه عن أجرته، وكانت ولادة السخاوي بهذا المسكن.[4]

ثم اختص جده بعد ذلك بالقاضي جلال الدين الـــبُلقيني في درس التفسير والوعـــظ وغيرها من دروس السيرة النبوية والحديث الشريف، مع وصفه له بالديانة القوية في قيامــه للصلاة ليلا، وكثرة تلاوته للقرآن، وسؤاله عما ينفعه من أمور دينه، ولم يكن ذلك يمنعــه من الاشتغال بالتجارة والتكسب لمعيشة عياله، إلى جانب ما حكاه عنه من العِفَّة، والتقلل من زينة الدنيا إلى أن وافاه الأجل سنة ٨١٨هـــ.[5]

وقد ترك جده من الأبناء سوى والده أبا بكر، وفاطمة، وثلاثة أشقاء من أم خـــيرة صالحة قانتة كما وصفها السخاوي،[6] وتكلم أيضا عن والده عبد الرحمن المولود ســـنة ثمانمائة تقريبا، وعن نشأته العلمية بحرصه على قراءة القرآن، وبعض كتب الفقه والحديث، مع اتصافه بجميل الأخلاق، ونبيل الصفات، و كانت وفاته سنة ٨٧٤هـــ.[7]

---

(١) خَطَّأَ السخاويُّ البقاعيَّ فيما ذكره عن تاريخ ولادته بأنها كانت سنة ثلاثين.
ينظر إرشاد الغاوي ل/ ١١ب.

(٢) الضوء اللامع ٢/٨.

(٣) انظر ترجمته في النص المحقق ص: (٥).

(٤) إرشاد الغاوي ل/ ١١ب.

(٥) المصدر نفسه، وانظر ترجمته في الضوء اللامع ١٧٥/٧.

(٦) إرشاد الغاوي ل/ ١٢أ.

(٧) المصدر نفسه، وانظر ترجمته في الضوء اللامع ١٢٤/٤.

وقد خلَّف من الذرية من إخوان السخاوي عبد القادر[1] وأبا بكر، [2] وهم أشقاء من أُمٍّ واحدة هي آمنة ذات أصل أصيل، ومن بيت علم وفضل، حجت مع ابنها شمس الدين محمد غير مرة، وجاورت معه بالحرمين مدة، وأجاز لها الإجازة العامة غير واحد من المسندين المعتبرين إلى أن ماتت سنة ٨٩٧هـ. [3]

وأثنى السخاوي على إخوانه عبد القادر، وأبي بكر لحفظهم القرآن والقراءات، وحملهم عنه بعض كتبه، وملازمتهم له مُدَّةً في المجاورة والحج. [4]

ويظهر الحزنُ والأسى واضحين على السخاوي لفقده أولاده، وذلك أثناء ذكره لخبر موتهم جميعهم، وفجعه بفقدهم، فقد رزقه الله أربعة عشر ولدا من زوجته أم الخير ابنة علي الأسيوطي القاهري، أثنى على خُلُقها وصبرها، وجميل أوصافها، ومحامد خصالها. [5]

وهكذا يظهر أن أسرة السخاوي كانت ذات طابع علمي محافظ، واهتمام بالعلم والمعرفة، واجتهاد لتحصيل القدر الوافر من ذلك، واحترام وتقدير للعلماء، مع الالتزام بسلامة الديانة، والحرص على الأخلاق الفاضلة. وإنَّ جَواًّ كهذا الذي رأينا لَكَفِيلٌ بأن يَشْحَذَ ذِهْنَه إلى طلب المزيد من العلوم، وتتطَلَّع همته إلى الوصول إلى أعلى المراتب في تحصيله.

---

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٤/٢٧٠، وجيز الكلام ٣/١١٠٣.

(٢) انظر ترجمته في الضوء اللامع ١١/٤٤.

(٣) إرشاد الغاوي ل/ ١٤أ، وانظر ترجمته في الضوء اللامع ١٢/٤.

(٤) إرشاد الغاوي ل/ ١٤ب ــ ١٥أ.

(٥) المصدر نفسه ل/ ١٥ب.

المطلب الثالث

نشأته وطلبه العلم

بدأ عَلَمُنا السخاوي طلب العلم منذ نعومة أظفاره؛ وذلك بعد انتقال والديه وأسرته إلى سكنهم الجديد بجوار بيت الحافظ ابن حجر، وقد كان في السنة الرابعة من عمره، فأدخله أبوه إلى المكتب عند المؤدب الشرف عيسى بن أحمد المقدسي الناسخ،[1] ولبث عنده يسيرا ثم انتقل إلى زوج أخته الفقيه الصالح البدر حسين بن أحمد الأزهري الذي كان يحمله معه حيثما ذهب، فحفظ عليه القرآن، وتعلم الخط على يديه، ثم صلى بالناس التراويح في رمضان.

ووجهه بعد ذلك أبوه إلى الفقيه الشمس محمد بن أحمد النحريري الضرير، وكان مجاورا لسكنهم، وقد سبق السخاوي في التأدب على يديه كثير من الأئمة والعلماء، ثم انتقل إلى الفقيه شمس الدين محمد بن عمر الطباخ أحد قراء السَّبْعِ فختم عليه رواية أبي عمرو غير مرة، وحفظ بعض عمدة الأحكام، وتوجه بعد ذلك إلى الفقيه الشهاب ابن أسد بإشارة من الفقيه السعودي فأتم عليه حفظ عمدة الأحكام، وكتاب التنبيه، والمنهاج في الفقه الشافعي، وألفية ابن مالك، ونخبة الفكر، وقرأ عليه رواية أبي عمرو، وابن كثير، كما سمع منه غيرها من الروايات جمعا وإفرادا، وتدرب به في المطالعة والقراءة، والكتابة والمقابلة؛ بل صار يشارك غالب مَن يتردد إليه للتفهم في الفقه والعربية والقراءات وغيرها، فتَفَرَّس فيه شُيُوخُه النَّجَابَةَ، وجَوْدَةَ الفهم في وقت مبكر.[2]

ويلاحظ أن السخاوي أولى جانب الحفظ اهتماما بالغا في أوائل أيام الطلب، وبخاصة الكتب والمتون العلمية المتعلقة بعلوم الآلة، والفقه والحديث والقراءات، على عادة أهل العلم في عصره؛ فكان كما يذكر عن نفسه كلما حفظ كتابا عرضه على شيوخ عصره غير مقتصر في ذلك على الأعيان، وقد ذكر من جملة العلماء الذين حصل له العرض عليهم دون الأخذ منهم المحب أحمد بن نصر الله البغدادي عالم الحنابلة في وقته، والشمس

---

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٦/١٥٠.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ١٦أ - ب، الضوء اللامع ٨/٢-٣.

ابن عمار شيخ المالكية، والنور التِّلْواني الشافعي وغيرهم.

وقد حفظ ألفية العراقي، وشرح النخبة لابن حجر، وغالب الشاطبية في القراءات، ومقدمة الساوي في العروض، وتلا القرآن على بعض علماء القراءات بأكثر من قراءة وسمع السبع والعشر بالجمع على الزين رضوان العتبي وغيره، وأخذ طرفا من الفرائض والحساب على الشهاب ابن المجدي. (١)

وهكذا تنقل السخاوي بين علماء القاهرة بالقراءة عليهم في مختلف الفنون من علوم العربية، والقراءات والفقه والحديث، والتفسير وغير ذلك في حرص عجيب، ودأب متواصل، وكان قبل ذلك كله قد سمع مع والده ليلا الكثير من الحديث على شيخه الحافظ الشهاب ابن حجر في بداية سنة ٨٣٨هـ؛ حيث أوقع الله في قلبه محبة شيخه ابن حجر، والتعلق بمجالسه، وأقبل على علم الحديث بكليته، لا يشغله عنه شيء آخر بشكل يفوق الوصف، عَمَلا بوصية أئمة المحدثين في أن هذا العلم لا يناله إلا من قصر نفسه عليه، ولم يضم غيره من الفنون إليه. (٢)

(١) المصدران نفسهما ل/١٤ب، ٨/٣ – ٥.

(٢) الضوء اللامع ٨/٣.

الفصل الثاني

حياة السخاوي العلمية

❖ وفيه مباحث خمسة:

- المبحث الأول: شيوخه ومروياته ورحلاته والأعمال التي باشرها.
- المبحث الثاني: بعض تلاميذه الذين أفادوا منه.
- المبحث الثالث: منزلته العلمية.
- المبحث الرابع: بيان عقيدته.
- المبحث الخامس: تراثه العلمي.

المبحث الأول:

شيوخه ومروياته ورحلاته والأعمال التي قام بها

❖ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: شيوخه الذين أخذ عنهم ومروياته.
- المطلب الثاني: رحلاته العلمية.
- المطلب الثالث: الأعمال والوظائف التي قام بها.

المطلب الأول:

شيوخه الذين أخذ عنهم ومروياته

• شيوخه:

حَرِص الحافظ السخاوي على الاستكثار من الشيوخ بالقراءة عليهم والسماع، فأخذ عن جماعة لا يُحْصَون كَثْرَةً بلغت عِدَّتُهم ما يقرب من أربعمائة شيخ من أهل بلده، ووصلوا إلى ما يُنَاهِز الألف ومائتين وأربعين نفسا في مجموع رحلاته؛ وهو عدد يفوق الوصف، ذكرهم في ترجمته لنفسه إرشَاد الغَاوِي مُرَتَّبِين على خمسة فصول [(١)] ثم تكلم عنهم وعن مروياتهم، واتصال أسانيده بجُمَلٍ من الدواوين والمصنفات.

واهتم على غِرَار الحفاظ في عصره بتصنيف معجم لشيوخه الذين أخذ عنهم، واتصل إسناده بهم في الرواية كما في كتابه **بُغيَة الرَّاوِي بِمَن أَخَذَ عَنْهُ السَّخَاوِي**،[(٢)] وكتابه **الثَّبَتُ المَصْرِي**، [(٣)] والذي لم يصلنا منه إلا جزء يسير، ولم يَفُته تدوين رحلاته كالرحلة إلى الإسكندرية، ورحلته إلى كُلٍّ مِن الشام، وحلب، ومكة.

ويمكن القول بأن النُّصوصَ المحفوظة في ترجمته إرشاد الغاوي، والضوء اللامع كَافِيَةٌ في الدلالة على سَعَة روايته، وكثرة لقائهِ بالشيوخ والمسندين، والكَشْفِ عن جانب مُهِمٍّ من شخصية السخاوي الحديثية، وشِدَّة شَغَفِهِ بهذا الفن الذي قَلَّ المشتغلون به في عصره.

وقد اجتهد السخاوي في الأخذ عن شيوخه من الأعلى، والدُّون، والمساوي حتى فاق أَقْرَانَ وَقتِهِ في الأخذ عن الشيوخ.[(٤)]

ولعل أبرز شيء يَلفِتُ النَّظَرَ في شيوخه تلك العلاقة الحميمة، والآصرة الوطيدة، والمحبة الأكيدة التي ربطته بأستاذه وشيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، فقد سَعِد بملازمته مدة ليست بالقصيرة أَقْبَل عليه فيها بكليته، واختص نفسه به كثيرا. وكانت بداية هذه الملازمة له سنة ٨٣٨هـ؛ إذ يقول واصفا هذه العلاقة: "وأوقع الله

---

(١) انظر في سَرْدِ أسماء شيوخه إرشاد الغاوي ل/ ٢٩أ ـــ ٥٣أ.

(٢) مخطوط منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم :٨٦٧....

(٣) وَقَعَ لبعض الباحثين خَلْطٌ في هذا الكتاب مع عنوان آخر، وهو تَصَرُّفٌ من المفهرس إذ يتعلق الأمر بكتاب واحد وليس كتابين، نبهت عليه عند موضعه من مبحث مؤلفاته.

(٤) النور السافر ص:(١٧).

تعالى في القلب محبته فلازم مجلسه، وعادت عليه بركته في هذا الشأن ....فأقبل عليه بكليته إقبالا يزيد على الوصف".(١)

وقد تَقَلَّلَ السخاوي مما عدا أستاذه ابن حجر، ولم يشغل نفسه بغيره قبل موت شيخه، فصار من أكثر الآخذين عنه، واشتهر بذلك بين علماء عصره، وأخذ عنه عِلْماً جَماً لم يشاركه فيه غيره من أقرانه، أعانه على ذلك هِمَّته العالية، وقُربُ منزله من بيت شيخه، فكان لا يفوته مما يُقْرأ على شيخه إلا النادر.

وفي المقابل بَادَلَه شيخه ابن حجر بدوره الاهتمام والحرص على إفادته حرصا شديدا، فكان يُرسِل خلفه عدة مرات مع بعض خدمه بالمجيء للقراءة عليه.(٢)

كل هذه العوامل المجتمعة ساعدت السخاوي على الإفادة من أستاذه، والاختصاص بعلمه الذي ذَاعَ صِيتُه في الآفاق في زمانه قِرَاءةً وسَمَاعاً، بشكل يُذَكِّر باختصاص يحيى ابن كثير بأستاذه الإمام مالك، والهيثمي بالحافظ العراقي.

وقد قرأ على شيخه ابن حجر معظم مصنفاته في علم الحديث الذي سبقت الإشارة إلى تَعَلُّقِه بمحبته، وهي تصانيف بلغت الذروة في الإتقان والضبط من ابن حجر، شهد له بذلك أهل زمانه،(٣) فقرأ عليه الاصطلاح بتمامه، وسمع عليه جُلَّ كتبه كالألفية وشرحها مِرَاراً، وعلوم الحديث لابن الصلاح إلا اليسير من أوله، وأكثر تصانيفه في الرجال وغيرها "كالتقريب" وثلاثة أرباع أصله، ومعظم "تَعْجيل المنفَعَة"، و"اللِّسَان" بتمامه، و"مشتبه النسبة"، و"تخريج الرافعي"، و"تلخيص مسند الفردوس"، وغالب "فتح الباري"، وتخريج المصابيح، وبعض "إتحاف المهرة"، و"تغليق التعليق"، و"أماليه الحلبية والدمشقية".

وقرأ عليه بنفسه "النخبة وشرحها"، و"الأربعين المتباينة"، و"الخصال المكفرة"، و"القول المسدد"، و"العشرة العشاريات"، وغير ذلك مما يطول بنا المقام في تتبعه.(٤)

وهكذا حرص السخاوي على عدم التنقل للقراءة على غير شيخه ابن حجر خوفا على نفسه من فقده؛ بل ولا حج ولا ارتحل إلى الأماكن النائية التي تزيد على يوم بأكثر من ليلة إلا بعد وفاته، ولكنه حمل عن الشيوخ الواردين إلى مصر من دواوين الحديث في

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٢٥ب ـــ الضوء اللامع ٨/٥ .

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٢٦أ ـــ الضوء اللامع ٨/٦ .

(٣) ينظر ابن حجر العسقلاني د.شاكر عبد المنعم ١٦٢/١.

(٤) إرشاد الغاوي ل/٢٦أ ـــ الضوء اللامع ٨/٦ .

الوقت الذي لا يتعارض مع تدريس شيخه، عندما يكون الحافظ ابن حجر مشغولا بالقضاء وتوابعه.

وكان ابن حجر ينبهه على أَجزَاءٍ وفَوَائِدَ وكُتُبٍ لا تنحصر؛ بل كاتب بعض الشيوخ يستعطفهم عليه، ويرغبهم في إقرائه ما يحب.[1]

ونال السخاوي بملازمة شيخه حُباً بالغا، واعترافا بفضله، وتنويها بتقدمه وفهمه حتى قرض له بعض مصنفاته، يقول السخاوي:" ومنه ما كتب به على أول شيء خرجته في ابتداء الطلب: وقفت على هذا التخريج الفائق، وعرفت مَنَّ الله على عباده بأن الحق الأخير بالسابق، ولولا ما أفرط فيه من الإطراء فِيَّ لما عاقني عن الثناء عليه عائق، والله المسؤول أن يعينه على الوصول إلى الحصول حتى يتعجب السابق من اللاحق. وكتب لي على غيره من تصانيفي غير ذلك".[2]

وقد أذن ابن حجر للسخاوي في الإقراء والإفادة والتصنيف، كما أذن له باقي شيوخه وغير واحد ممن أخذ عنه العلوم بالإفتاء والتدريس.

واستفاد السخاوي من نسخه لقدر كبير من كتب شيخه ابن حجر في تصانيفه، وأكسبه إحاطة بمنهجه في المناقشة والبحث والتنقيب، هذا مع التزامه الأمانة العلمية بالعزو إليها، وبيان فضل سبق شيخه.

ولا يعني ذلك أن السخاوي كان نسخة طبق الأصل من ابن حجر؛ فقد كان يتعقبه في عدة مسائل وخاصة في الرواة وتراجم العلماء، وهو منهج استفاده من أسلوبه هو ـ يعني ابن حجر ـ في البعد عن التقليد الأعمى، وتعطيل مَلَكَةِ النقد والبحث.

يقول السخاوي في وصف منهجه في الأخذ عن شيوخه:" وقَمَّشَ وأخذ عَمَّنْ دَبَّ ودَرَج، وكتب العالي والنازل حتى بلغت عدة من أخذ عنه بمصر والقاهرة وضواحيها كإنْبَابَة، والخيرة، وعُلُوِّ الأهرام، والجامع العُمْرَوي، وسِرْيَاقُوس، والخانقاه، وبَلْبِيس، وصفط الحناء، ومنية البُرْدِيني وغيرها زيادة على أربعمائة نفس".[3]

وبالجملة فقد كان الحافظ ابن حجر يُنَوِّه بالسخاوي ويشير له بالتقدم، إذ هو بلا ريب رَبِيبُ مَهْدِه، ورَضِيعُ لِبَانه، وثَمَرُ غَرْسِه، ومَطَرُ سَحَابه.

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٧.

(٢) الجواهر والدرر ٢/٧٤٢ ـ ٧٤٣.

(٣) إرشاد الغاوي ل/٢٦ب ـ الضوء اللامع ٨/ ٧.

• مرويـاتـه:

سبقت الإشارة إلى أن الشيوخ الذين رَوَى عنهم السخاوي بلغ عددهم ما يُنيف على مائتين وألف، وهو قدر يُنْبِئ عن كثرة سماعه وروايته حتى فاق أقران وقتــه في ذلــك، بحيث اعترف له به قرينه المُشَاكِس، وغريمه المُعَاكِس، الحافظ السيوطي عند ترجمته.(١)

وقد صنع السخاوي لنفسه فهرسا لمروياته في ثلاثة أسفار ضخمة فأكثر؛ أسهب فيــه تفصيلا لمروياته،(٢) وعُشَارِيَّات الشيوخ في عدة كراريس.(٣)

هذا وإن مَروِيَاتِه وسماعَه فاق الوصف، إذ تنقل بين الشيوخ في القراءة والســماع ، وطلب الإجازة، وتحصيل البرامج والأجزاء والأثبات.

صنف السخاوي مروياته إلى أحد عشر صنفا:

١/ ما رتب على الأبواب الفقهية وهو أنواع:

ـ منها ما تقيد فيه بالصحيح كالصحيحين، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح أبي عوانــة، وموطأ الإمام مالك.

ـ وما لم يتقيد فيه بالصحة؛ بل اشتمل علــى الصحيــح وغــيره كالســنن لأبي داود السجستاني رواية اللؤلؤي، وسنن النسائي رواية ابن السني وابن الأحمر، وغيرهما من كتب السنن، وكتب الشمائل النبوية، والدلائل، والمغازي، وغيرها من الأجزاء الحديثية المفــردة في موضوع معين، وكتب الاصطلاح المتقدمة.

٢/ ما رتب على المسانيد كمسند الإمام أحمد، أو على حروف المعجم، وهي المعــاجم كمعجم الطبراني الكبير، أو على الصحابة كالاستيعاب لابن عبد البر.

٣/ ما كان على الأوامر والنواهي وهو صحيح كصحيح ابن حبان.

٤/ ما كان على أطراف الأحاديث وأول كلمات منه كمسند الشهاب.

٥/ ما هو على الأحاديث الطوال كالأحاديث الطوال للطبراني.

٦/ ما يقتصر فيه على أربعين حديثا فقط كالأربعين الإلهية لابن الفضل، وما لايتقيد فيــه كالأربعين للآجري.

---

(١) نظم العقيان ص:(١٥٢).

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٦٠أ .

(٣) المصدر نفسه ل/ ٧٩أ ـــ الضوء اللامع ١٦/٨ .

٧/ ما هو مرتب على شيوخ المصنف كالمعجم الأوسط للطبراني والصغير له، ومعجم الإسماعيلي، والمشيخات التي رُتب بعضها على حروف المعجم، وبقي الآخر بدون ترتيب.

٨/ ما كان مرتبا على الرواة عن إمام كبير ممن يجمع حديثه كالرواة عن مالك للخطيب.

٩/ ما يقتصر فيه على الأفراد والغرائب كالأفراد لابن شاهين، والغرائب عن مالك.

١٠/ ما لا تقيد فيه بشيء مما ذكر، بل اشتمل على أحاديث نثرية من العوالي وغيرها وهي على قسمين:

_ ما كان تخريجه في مجلد ونحوه كالثَّقفيات، والجَعْدِيَّات، والخِلَعِيَّات، والغَيْلانِيَّات، والمَحَامِلِيَّات وغيرها.

_ ما هو دون ذلك كجزء أبي الجهم، وابن عرفة وغيرها.

١١/ ما لا إسناد فيه بل اقتصر فيه على المتون مع الحكم عليها، وبيان جملة منها كالأذكار والرياض للنووي، إلى غير ذلك من المسموعات التي لا تقيد فيها بالحديث كالشاطبية في القراءات، والألفية في النحو والصرف، وجمع الجوامع في الأصول، وغيره مِنَ الفنون والعلوم.(١)

ويعتبر أعلى ما عند السخاوي مِنَ المروي بالسند المتماسك بينه وبين النبي ﷺ عشرة أنفس، وما عنده من ذلك ليس بالكثير، وقد اتصلت روايته إلى الكتب الستة، وجَمْعٍ مِنَ الأئمة كالإمام الشافعي، والإمام أحمد بثمانية وسائط، وحديث كل من الإمام مالك، وأبي حنيفة بتسعة أنفس، وغير ذلك من صحيح البخاري، وباقي كتب السنن.(٢)

وثمة أمر يحسن بنا الوقوف عنده قليلا؛ وهو كون أكثر المسندين منذ عصر السخاوي إلى اليوم يروون كُتُب الحافظ ابن حجر من طريق العلامة المسند أبي زكرياء الأنصاري، وهو أمر مُسْتَغْرَب إذ الواجب أن يكون ذلك من طريق الحافظ السخاوي؛ لما عَلِمناه من شدة ملازمته لشيخه ابن حجر، وإجازته له بجميع كتبه ومروياته إجازة خاصة جمع فيها بين القراءة والسماع، ولكثرة رحلات السخاوي، ومجاوراته بالحرمين الشريفين المتكررة للإقراء بهما، واستدعاء العديد من شيوخ عصره بإجازته لهم بمروياته وكتبه، ويدخل

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٦٠أ ـ الضوء اللامع ٨/ ١٠ ـ ١٣.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٦١ب.

ضمنها كتب ومرويات ابن حجر.

وقد وَجَّهَ هذا الاستغرابَ بَعضُ الباحثين بقلة تعمير السخاوي إذا ما قارناه مع زكريا الأنصاري الذي عاش إلى عام ٩٢٥هـ.[1]

ولكن يظهر أن هذا السبب ليس كافيا وحده؛ إذا نظرنا إلى كثرة التلاميذ الذين أخذوا عن السخاوي داخل مصر وخارجها بالحرمين وغيرها، وعَدَدِ الذين أجاز لهم في مصر والشام والحجاز؛ مما يجعل القول بقلة الآخذين عنه بسبب قلة تعميره أَمْرٌ مَدفُوعٌ في نظري. ويظهر أن السخاوي تَقَلَّل في آخر عمره من إجازة التلاميذ، وإجابة طلب المستجيزين لمروياته وكتبه، إضافة إلى إعراضه في آخر أيامه عن عقد مجالس الإملاء؛ لغلبة المتعالمين والجهلة على هذا الميدان ـ حسب وصفه ـ مما دفعه إلى ترك الإملاء والله أعلم.

---

(١) ومن هؤلاء الباحثين بدر العماش في دراسته عن السخاوي ٧٣/١ (بحث مرقوا، على الكمبيوتر).

المطلب الثاني:

رحلاته العلمية

جَابَ الحافظ السخاوي البلاد وجال، وجَدَّ في الرحلة وسماع الكتب والأجزاء، وكانت بداية رحلته خارج القاهرة ومصر في شوال من عام ٨٥٣هـ أي بعد موت شيخه ابن حجر ، الذي سبق ذكر تفرغه إليه في حياته، وعدم رغبته في الرحلة خارج خشية فقده بموته،[١] وتنوعت رحلته بين الشام ومصر والحجاز، كما اهتم بوصف هذه الرحلات في مصنفات خاصة منها **الرحلة الحلبية**، **والرحلة المكية**، **والرحلة السكندرية**، وكتابه المفيد **البُلْدانيَّات** دَوَّنَ فيه كل بلد، أو قرية، أو مَحَلَّةٍ سمع بها، وتحصل له فيها رواية أو إجازة، وكتبه عن أهل العلم من حديث أو خبر أو شعر، وقد بلغت الثمانين مَوْضِعا مرتبة على حروف المعجم. [٢]

وكان أَوَّلُ بَلَدٍ يَحُطُّ به السخاوي رِحَالَه طَلَباً للرواية والسماع دمْيَاطَ سمع بها عن جمع من المسندين، ثم توجه في جمادى الثانية من سنة ٨٥٦هـ إلى الطُّور، وركب البحر منه عازما على الذهاب إلى مكة المشرفة لقضاء فريضة الحج صُحْبَةَ والدته، وأخذ عن غير واحد ممن اجتاز معه الطُّور،[٣] ويَنْبُع،[٤] وجُدَّة.

وتمكن طوال مدة إقامته في مكة إلى حين موسم الحج من قراءة الكتب الكبار،

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٢٦ب.

(٢) كتاب البلدانيات (مخطوط ل/ ٣أ).

(٣) الطُّور: بالضم والسكون، والطور في كلام العرب الجبل، وهو طور سيناء، الجبل المطل على طبرية الأردن، ولا يزال معروفا إلى الآن، يراه الواقف في آخر شمال الحجاز شامخا لا يفصل بينه وبين جبل الطور غير خليج العقبة. انظر معجم البلدان ٥٣/٤، الروض المعطار ص:(٣٩٧)، معجم المعالم الجغرافية للبلاذي ص:(١٨).

(٤) يَـنْبُع: بمثناة تحتانية ونون موحدة، وهو واد فحل كثير العيون والقرى والنخيل، يقع على بعد ٧٠ كيلا من المدينة غربا.

انظر الروض المعطار ص:(٦٢١)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص: (٣٤٠).

والأجزاء القصار، ما لم يتهيأ لغيره من الغُرَبَاء، مُتَنَقِّلا بين المَشَاعِرِ في قراءته، أعانه علـــى ذلك صاحبه المؤرخ النجم ابن فهد الهاشمي بدلالته على الشيوخ والمسندين بمكة، وإِسْعَافه بِكُتُب وَالِدِهِ التقي ابن فهد وغيرها من الفوائد والأجزاء التي كان يعجز عن الوصول إليها السخاوي بنفسه بمكة كلها وَحْدَه في وقت قصير، وتوجه بعد ذلك إلى المدينة النبويـــة، وقرأ بها على جمع من الشيوخ، وكذا بِرَابِغ،[1] وخَلِيص،[2] وبَدْر.

ثم أقفل بعد ذلك راجعا إلى القاهرة وأقام بها مدة ملازما السماع والقراءة، والتخريـج والاستفادة من الشيوخ والأقران، وتنقل في غضون ذلـــك بـــين مُنُـــوف العُليـــا، [3] والإسكندرية، وأخذ عن كثير من المسندين بها، كما رحل إلى دَسُوق،[4] وسمنـــهود،[5] والمنصورة[6] وغيرها، وحَصَّل في هذه الرحلة أشياء جليلة من الكتب والفوائد عن نحـــو خمسين نفسا.

وقد ارتحل إلى حلب، وتنقل بين عدة مدن شامية كدمشق، وحمص، وحماة، وبيـــت المقدس، والخليل، وطرابلس، وغيرها من البلدان والمدن سمع فيها مـــن مائـــة نَفْـــسٍ،[7] وصاحبه في هذه الرحلة الشمس السنباطي، وذكر أنه استَأْنَسَ به كثيرا، وبعد قضاء أَرَبِـه أقفل راجعا إلى وطنه القاهرة.

وهكذا أجاز له خلق كثير، ودخل في اسْتِدْعَاءات عِدَّةٍ لعدد من الشيوخ، وارتفـــع عدد الآخذين عنهم من الأعلى والمُساوي والدُّون، وبلغ عدد الأماكن التي تحمل فيها مـــن

---

(١) رَابِـــغ: بفتح الراء وكسر الباء والغين المعجمة موضع بين المدينة والجُحْـــفَة ميقات أهل الشـــام، وتبعد عن مكة بنحو ٣٠٠ كيلا . انظر معجم ما استعجم للبكري ٦٢٥/٢.

(٢) خليص: واد من أودية خيبـــر .... انظر معجم ما استعجم ٥٠٧/٢ .

(٣) مَنُوف: من قرى مصر القديمة، تقع في بطن أريافها.

انظر معجم البلدان ٢٥١/٥، الروض المعطار ص:(٥٥١).

(٤) دسوق:.......

(٥) سمنهود: أو سمنود بلد من نواحي مصر جهة دمياط مدينة قديمة على ضفاف النيل.

انظر معجم البلدان ٣/ ٢٨٨.

(٦) المنصورة: مدينة تقع بين القاهرة ودمياط أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل من الأيوبيين سنة ٦١٦هـــ . انظر معجم البلدان ٢٤٥/٥.

(٧) إرشاد الغاوي ل/ ٢٧ب.

البلاد والقرى ما يُناهز الثمانين.[1]

وبلغت مجاوراته للحرمين الشريفين خمس مرَّاتٍ تنقل خلالها بين مكة والمدينة،[2] حرص فيها على تسجيل ما تحصل له مِن رواية وسماع، ومَنْ لَقِيَ من شيوخ ومسندين، كما دَوَّنَ ترجمة أكثرهم في كتابيه "الضوء اللامع"، و"التحفة اللطيفة".

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٢٨ب، الضوء اللامع ٨/١١.

(٢) انظر في تواريخ هذه المجاورات مؤلفات السخاوي ص:(١٥ ــ ١٦).

المطلب الثالث :

الأعمال والوظائف التي باشرها

عاش الحافظ السخاوي حياة حافلة بالإقراء والتدريس، والإملاء والتحديث، ومباشرة عدة وظائف كالخطابة والإمامة خلا القضاء الذي عرض عليه، فاعتذر عنه ورعا منه وتعففا، (١) وقد حملته أنفته هذه على عدم الحرص على التودد للأمراء في زمانه، أو التعلق بمصاحبتهم ومجالستهم، ولما رآه أيضا من بعض أهل عصره من مزاحمة لبلوغ هذا الأرب. (٢)

وتولى السخاوي التدريس بعدة مدارس علمية كبيرة في زمانه بالقاهرة عاصمة العلم والمعرفة، وموطن الحفاظ في ذلك الوقت، وكانت أول مدرسة للمحدثين يتولى التدريس بها المدرسة الصرغتمشية، (٣) وذلك بعد وفاة الأميني الأقصرائي، وانتقل إلى الأشرفية برسباي، ثم دار الحديث الكاملية التي تم استقراره بها عقب موت الكمال إمام الكاملية، وهكذا تنقل بالتدريس في عدة مدارس ساعده على ذلك حسن ظن الولاة وأهل العلم في عصره بأهليته. (٤)

وقد كانت دروسه ومجالسه يغلب عليها طابع علم الحديث وفنونه؛ حيث يندر تدريسه لغيره، إذ ورث الشغف به من شيخه وأستاذه ابن حجر، فجعل كليته له.

ويلاحظ تعفف السخاوي عن القراءة في مجالس أمراء زمانه إلا ما كان منه في حكم النادر، فقد ذكر بأن أحد عمال السلطان خُشْقَدم سأله المجيء إلى بيت السلطان لقراءة نخب من التاريخ عليه كما يصنع المقريزي المؤرخ، فما كان منه إلا أن تنصل من طلبه، وجرى له مثل ذلك مع السلطان تمربغا، ولكنه استجاب للسلطان الظاهر في مرض موته بقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض عليه في ليلة واحدة. (٥)

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٣٢.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٤أ ــ ب.

(٣) انظر خطط المقريزي ٢/٤٣.

(٤) إرشاد الغاوي ل/ ٧٦أ ــ ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/ ٣١ ــ ٣٢.

- **عقد مجالس الإملاء:**

مجالس الإملاء هي أن يجلس العالم وحوله تلاميذه، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم وتلاميذه يكتبون عنه، فيصير كتابا يسمونه الأمالي أو الإملاء.[1]

وهي سنة قديمة محمودة حسنة كان السلف من المحدثين وعلماء العربية يحرصون عليها في تدريس علومهم،[2] لكنها غَابَت منذ فترة، وانْطَمَسَت معالمها بسبب ذهاب كبار العلماء وقلة المتمكنين في العلم والله المستعان.

والإملاء إما أن يكون مِن حِفْظِ الشيخ، أو مِن كتابه الذي ينبغي أن يكون حافظا له، أو من مصنفات غيره بشرط تملكه حق روايته بالسماع أو الإجازة على الشرط المعتبر عند علماء الإسناد.

وتختلف مجالس إملاء الحديث عن باقي مجالس الإملاء؛ من حيث كونها تتسم بحضور الطلاب والشيوخ الذين لا تتعارض حصيلتهم العلمية مع مستوى العالم المملي، بخلاف باقي مجالس الدَّرْس فإن الشيخ يتقيد فيها بمستوى مُعَيَّن من الطلاب والمعلومات.[3]

وكان إملاء الحديث قد توقف بعد الحافظ ابن الصلاح (٦٤٣هـ)، فأعاده الحافظ زين الدين العراقي (٨٠٦هـ)، ثم انقطع مرة أخرى إلى أن أرجعه الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)، الذي بلغ جملة ما أملاه ما يقرب من ألف ومائة وخمسين مجلسا حديثيا،[4] وتوقف الإملاء بموته، واشتاق العلماء وطلبة العلم إليه، وتاقت نفوسهم إلى عودة تلك المجالس مَرَّةً أخرى.

ويذكر السخاوي عن سبب عقده مجالس الإملاء حَثَّ شيخه التقي الشمني له على استئناف إملاء الحديث بعد انقطاعه بموت ابن حجر، وأنه أَمثل أهل عصره للقيام بهذه المهمة، وقد حاول الاعتذار عن ذلك لما يعلمه من الأهلية الفائقة التي يتطلبها الإملاء، خاصة إذا كان أكثرُ الحاضرين لهذه المجالس من العلماء والفقهاء.

ثم إنه بعد الإلحاح الشديد من التقي الشمني قرر أن يبدأ الإملاء بمنزله الذي لم يمل به

---

(١) كشف الظنون ١/١٦١ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/٥٦ وما بعدها.

(٣) ابن حجر العسقلاني د. شاكر عبد المنعم ١/ ١٣٣.

(٤) الجواهر والدرر ٢/٥٨٤ .

إلا يسيرا، وانتقل بعد مَوتِ وَلَدِه إلى خانقاه سعيد السعداء، فكان يملي بها تارة وبغيرها أخرى حسب ما تسنح به الفرصة، واستمر على ذلك إلى أن أكمل إملاء تسعة وخمسين مجلسا محققا.(١)

ويمكن أن نطلق على هذا النوع من الإملاء **الإملاء المطلق** لأن المُمْلي لا يتقيد فيه بإملاء كتاب معين، وإنما يكون التقيد فيه بالحوادث والأوقات، وقد كان ذلك نهجا لأستاذه ابن حجر من قَبلُ. (٢)

وأملى أثناء إقامته بمكة المعظمة للحج مع أسرته أربعة مجالس (٣) كلها بالمسجد الحرام، وبعد عودته إلى القاهرة أكمل إملاء تكملة تخريج شيخه لأذكار النووي، وأملى تخريج الأربعين النووية وغيرها من مجالس الإملاء المقيدة بكتب معينة، والتي بلغت ستمائة مجلس أو تزيد. (٤)

وقد شهد هذه المجالس من الحاضرين بعض الحفاظ في وقته كالنجم ابن فهد، والشمس الأمشاطي، والجمال ابن السابق وغيرهم، وكان ضِمْنَ هؤلاء الحاضرين لإملائه بَعضُ مَن شهد إملاء شيخه ابن حجر والعراقي.

ولنا أن نستحضر مدى صعوبة الموقف، إذ أن حضور هؤلاء العلماء والحفاظ لمجالسه يجعله عُرْضَةً للأسئلة الدقيقة، والمُوغِلَةِ في التَّخَصُّص وعلم الحديث، وعليه أن يستحضر الجواب والتوجيه في عين المكان، بحيث لا يمكنه التهرب من الإشكال، وإلا عُدَّ ذلك نَقصاً في علمه وفهمه، ولكن حصيلة السخاوي العلمية مَكَّنَتْهُ مِنَ التَّصَدي لكل ذلك؛ بل إنه نال إعجاب الحاضرين لهذه المجالس وتعلقهم بها، وإفادتهم منها.

ومِنْ أَسَفٍ أن الحافظ السخاوي تَوَقَّفَ عن عقد مجالس الإملاء أثناء إقامته بالقاهرة لمزاحمة من لا يحسن ذلك، وعدم تمييز المشتغلين بين الجِدِّ وغيره منها، وقد أجاب من لامه على توقفه عن الإملاء:" إنه ترك ذلك عند العلم بإغفال الناس هذا الشأن؛ بحيث استوى عندهم ما يشتمل على مقدمات التصحيح وغيره من جمع الطرق التي يتبين بها انتفاء

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٧٧ب، الضوء اللامع ٨/ ١٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني ١/١٣٥.

(٣) إرشاد الغاوي ل/ ٧٧ب، وجيز الكلام ٢/١٠٧٠.

(٤) إرشاد الغاوي ل/ ٧٧ب، الضوء اللامع ٨/ ١٤.

الشذوذ والعلة أو وجودهما ....إلى غير ذلك مما ينافي القصد بالإملاء، وينادي الذاكر له العامل به على الخالي بالجهل".[1]

ولم يمل بعد ذلك إلا لأناس مخصوصين بالمدينة النبوية أثناء زيارته لها،[2] ثم إنه لم يكتف بذلك بل تجاوزه إلى الانقطاع عن الإفتاء رغم كثرة الإلحاح عليه لمزاحمة غير الأكفاء له.

والذي يظهر عن سبب امتناع السخاوي من الإملاء آخر حياته، مع تمكنه منه وحاجة الناس إليه، تصريح غريمه السيوطي (٩١١هـ) بأنه أول من أحيى وأعاد الإملاء سنة ٨٧٢هـ،[3] فوجد في نفسه ظلما بهذا الادّعاء منه، الذي لا نجد للسيوطي فيه مستندا، فإن السخاوي بدأ الإملاء سنة ٨٦٤هـ وهو تاريخ سابق لإملاء السيوطي بزمن، إلى جانب أن مجالس إملاء السخاوي التي بلغت ستمائة مجلس فاقت مجلس السيوطي الذي لم يتجاوز مائة وثلاثين مجلسا. [4]

وعلى كل حال فقد تَعَزَّى السخاوي بهذا الانقطاع عن الإملاء والإفتاء بفعل شيخ أستاذه الحافظ العراقي؛ رغم استمرار تَرَدُّد الناس عليه في منزله لقراءة تصانيفه رواية ودراية، وقد ختموا عليه ما يفوق الوصف، ويرجع له الفضل _ بعد الله تعالى _ في انتشار الأسانيد المحررة، والمرويات المعتبرة، وإحياء سنة الإملاء الشريفة بعد أن كادت تنقطع من أصلها.

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٧٨أ، الضوء اللامع ٨/١٤.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٧٨أ.

(٣) تدريب الراوي ٢/١٣٩.

(٤) المصدر نفسه ٢/١٣٩.

المبحث الثاني:

بعض تلاميذه الذين أفادوا منه

شَكَّلَت دروس الحافظ السخاوي ومجالسه للإملاء مَأْوىً لقاصدي العلم والمعرفة طلابا وشيوخا على السواء، فَتَخَرَّج على يديه جماعة لا يحصون من الذين سمعوا عليه، أو استجازوه بالرحلة إليه، أو باستدعائها مع حسرتهم على عدم لقائه، وقد كان مفيدا في هيئة مستفيد، متميزا في إلقائه وتدريسه، فأخذ الناس منه طبقة طبقة، حتى انتشر تلاميذه في الآفاق. وقد أفردهم في الفصل الثامن من ترجمته إرشاد الغاوي،(١) وذكرهم مُرَتَّبين على حروف المعجم بما فيهم الشيوخ والأقران والمجازين من جميع الطبقات.

وكان لطول تدريسه في المدارس العلمية، ومجالس الإملاء، وتنوع رحلاته داخل مصر والشام والحرمين، وملازمته قبل ذلك للحافظ ابن حجر الذي انتهت علومه إليه، أثرا واضحا في حرص التلاميذ والشيوخ على الرحلة إليه والإفادة منه على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وانتماءاتهم العرقية.

وأرى أن المقام يطول بنا إذا تتبعنا ذكر جميع تلاميذ السخاوي لكثرتهم، خاصة وأن في ما ذكره في كتابه إرشاد الغاوي من تلاميذ غُنيَةٌ، ولكن لا بأس من الإشارة إلى أبرزهم:

١/ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن رجب الطوخي (٨٩٣هـ):

لازم السخاوي في علم الحديث رواية ودراية، وأكثر عنه في ذلك مع تميزه في باقي الفنون، ومدَحه بقصائد.(٢)

٢/ موسى بن أحمد بن موسى الدؤالي اليماني الشافعي (٩٠٤هـ):

تفرغ لملازمة السخاوي سنة ست وثمانين أثناء إقامته قراءة وسماعا، رواية ودراية، وكتب عنه شرحه على الهداية لابن الجزري، وأجاز له إجازة حافلة مشتملة على ما تحمله عنه، وامتدحه بأبيات. (٣)

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ١٨٠ب ــ ٢٣٠ب.

(٢) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٢/ ١٢١، وجيز الكلام ٣/١٠٤٩.

(٣) انظر ترجمته في الضوء اللامع ١٠/١٧٨.

٣/ عبد العزيز بن عمر بن النجم بن فهد الهاشمي المكي (٩٢١هـ):

قرأ على السخاوي شرحه على ألفية العراقي في الحديث وغيرها من التصنيف، وحضر كثيرا من مجالس إملائه وغيره، وأقبل عليه سنة ٨٨٤هـ في السماع والقراءة، وعاد لملازمته أثناء مجاورته سنة ٨٨٦هـ، وأذن له في التدريس والإفادة والتحديث.(١)

٤/ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الشافعي (٩٢٣هـ):

قرأ على السخاوي قطعة كبيرة من شرحه على الهداية لابن الجزري، وسمع مواضع من شرحه على الألفية، وكتبه بتمامه غير مرة، ولازمه في أشياء، ونسخ مجموعة من كتبه.(٢)

٥/ أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي القاهري الشافعي (٩٢٧هـ):

أخذ عنه الحديث، وكتب جملة من تصانيفه، مع براعة في الفقه ومشاركة في غير ذلك من العلوم.(٣)

٦/ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الشيباني الزبيدي الشافعي (٩٤٤هـ):

لَقِيَ السَّخَاوِيَّ عام حجته ٨٨٣هـ، وقرأ عليه كتاب بلوغ المرام وغيره، ومدحه بأبيات جميلة.(٤)

٧/ أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الحيشي الحلبي الشافعي (٩٣٠هـ):

لقي أستاذه السخاوي بمكة سنة ٨٨٦هـ فلازمه حتى حمل عنه عدة أشياء من مروياته ومصنفاته، ونسخ بخطه جملة من كتبه، وأجاز له وأثنى على أدبه وعفته وفهمه(٥)

٨/ جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي (٩٥٤هـ):

سمع مِن شيخه السخاوي عدة أشياء، وكان قبل ذلك قد أحضره أبوه وهو في الرابعة إلى مجلس السخاوي في مجاورته الرابعة، وتلقى عنه أشياء بقراءة أبيه وغيره.(٦)

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٤/٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/١٠٣.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٨١.

(٤) المصدر نفسه ٤/١٠٤.

(٥) المصدر نفسه ٣/ ٥٢.

(٦) المصدر نفسه ١١/ ٧٥.

المبحث الثالث:

منزلته العلمية

♦ وفيه مطلبان:

• المطلب الأول: ثناء العلماء عليه.

• المطلب الثاني: مكانة السخاوي بين أقرانه.

المطلب الأول

ثناء العلماء عليه

حاز الحافظ السخاوي مِن علماء عصره، ومَن بعدهم أَبْلَغَ الثناء، وأوفر عبارات الجزاء، بما يليق بمكانته ومترلته العلمية، وجودة آثاره ومصنفاته التراثية، وجهوده في خدمة علوم الحديث والسنة النبوية، وتنوع هذا الثناء عليه من شيوخه وأقرانه وتلاميذه حتى إنه أفرد مَن أثنى عليه منهم ومَن دونهم في الباب الرابع من كتابه إرشاد الغاوي، (١) وقسمه إلى ثلاثة فصول فبلغوا عنده المائتين، (٢) دون أن نَعُد مَن أثنى عليه بعد موته.

ويظهر من عبارات الثناء عليه مدى تقدير علماء عصره له، وثنائهم على فضله إلى درجة أَرْغَمَت غُرَماءه على الإقرار له بهذا الفضل رغم منازعتهم إياه كما سأسوقه في موضعه بإذن الله.

وسأحاول ذكر مقالات بعض المثنين عليه، إذ المقام لا يحتمل البسط:

وأنسب ما يُبدأ به مَقالةُ أستاذه حافظ مصر في زمانه ابن حجر (٨٥٢هـ) الذي أثنى على مصنفاته وتحصيله العلمي، من ذلك قوله عنه:" الشيخ المبارك، الفاضل المحدث، البارع النبيه المفنن، الأوحد المكثر المفيد، المحصل المجيد في الطَّلَبِ الطَّلَبَ الجميل". (٣)

ونقل البدر ابن القطان عن الحافظ ابن حجر، وقد سُئِل مَنْ أَمْثَلُ الملازمين لكم من الجماعة في هذه الصناعة، فأشار بصريح لفظه إلى السخاوي وقال:" إنه مع صغر سنه، وقُرْب أخذه، فاق من تقدم عليه بجده واجتهاده، وتحريه وانتقاده، بحيث رجوت له وانشرح لذلك الصدر أن يكون هو القائم بأعباء هذا الأمر رحمه الله وإيانا". (٤)

وقد ساق السخاوي عدة عبارات في ثناء شيخه عليه أثناء ترجمته لنفسه، (٥) مع تقريظه

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب، الضوء اللامع ٨/١٧.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٦٧أ ــ ٧٦ أ.

(٣) المصدر نفسه ل/ ٦٧أ.

(٤) المصدر نفسه ل/٦٩ب.

(٥) المصدر نفسه ل/ ٦٧أ ــ ٦٩ب.

له لبعض مصنفاته، وسيأتي الحديث عنها أثناء الكلام عن مصنفاته.

وأثنى عليه الحافظ التقي ابن فهد الهاشمي المكي بقوله:" زين الحفاظ، وعمدة الأئمة الأيقاظ، شمس الدنيا والدين، ممن اعتنى بخدمة حديث سيد المرسلين، واشتهر بذلك في العالمين، على طريقة أهل الدين والتقوى فبلغ فيه الغاية القصوى".(١)

وأعظم الثناء له الحافظ النجم عمر بن فهد الهاشمي بذكره:" شيخنا الإمام، العلامة الأوحد، الحافظ الفهامة المتقن، العلم الزاهر، والبحر الزاخر، عمدة الحفاظ وخاتمتهم، ومَن بقاؤهم نِعْمَةٌ يجب الاعتراف بقدرها، ومِنَّةٌ لا يقام بشكرها، وهو حجة لا يسع الخصم لها الجحود، وآية تشهد له بأنه إمام الوجود، وكلامه غير محتاج إلى شهود، وهو والله بقية من رأيت من المشايخ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية وسائر بلاد الإسلام عيال عليه، ووالله ما أعلم في الوجود له نظير".(٢)

ووصفه الفقيه الزنني عبد الباسط بن خليل عندما اطلع على جوابه في جزء له من حديث ((**المُنْبَتُّ لا أَرْضاً قطع ولا ظهرا أبقى**)) بقوله:" لا أدري أتعجب مماذا؟ أَمِنْ كثرة الاطلاع، أم من حسن البيان، أم من فصاحة القراءة".(٣)

واعترف الحافظ البرهان البقاعي بفضله وقال:" إن ممن ضرب في الحديث بأوفر نصيب، وأوفى سهم مصيب، المحدث البارع الأوحد، المفيد الحافظ الأمجد".(٤)

وأقر بتمكنه في الرواية والسماع الجلال السيوطي رغم ما كان بينهما من المشاحنة والخلاف فقال:" وحَضَرَ إملاء الحافظ ابن حجر صغيرا، فَحُبِّب إليه الحديث فلازم مجالسه، وكتب كثيرا من مصنفاته بخطه، وسمع الكثير جدا عن المسندين بمصر والشام والحجاز، وانتقى وخرج لنفسه ولغيره".(٥)

وقال الشيخ العيدروسي:" الشيخ العلامة الرحلة الحافظ".(٦)

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إرشاد الغاوي ل/ ٧٠أ.

(٤) الضوء اللامع ٨/ ٢١.

(٥) نظم العقيان ص:(١٥٢).

(٦) النور السافر ص:(١٦).

وقال الشيخ النجم الغزي:" الشيخ الإمام العالم العلامة المسند الحافظ المتقن".[1]

وأثنى عليه العلامة الشوكاني فقال:" ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية، وسرد في ترجمة كل أحد محفوظاتِهِ ومَقْرُوءَاتِه، وشُيُوخَه ومُصَنَّفاتِه، وأحواله ومولده ووفاته على نمط حسن، وأسلوب لطيف ينبهر له مَن لديه معرفة بهذا الشأن، ويتعجب من إحاطته بذلك وسعة دائرته في الاطلاع على أحوال الناس". [2]

ووصفه الشيخ صديق حسن خان بقوله:" وبرع في هذا الشأن وفاق الأقران، وحفظ من الحديث ما صار به منفردا عن أهل عصره".[3]

وقال الشيخ عبد الحي الكتاني :" هو الإمام الحافظ الشهير".[4]

---

(١) الكواكب السائرة ١/٥٣.

(٢) البدر الطالع ٢/١٨٦.

(٣) التاج المكلل ص:(٤٣٨).

(٤) فهرس الفهارس ٢/ ٩٨٩.

المطلب الثاني:

مكانة السخاوي بين أقرانه

لم تَسْلَم علاقة السخاوي الجيدة بمعظم أقرانه من المنافسة والمنازعة مع بعض علماء عصره، وهو أمر قديم حديث في نفس الوقت، لا تكاد تنفك عنه الأوساط العلمية في أي زمان لِمَا جُبلت عليه النفوس البشرية مِن بعض النوازع؛ خاصة ممن يشتركون في الاشتغال بصنف واحد من الفنون.

وإذا كنا نأسف من بعض المواقف التي تنتج عن المنافسة بين الأقران في الوسط العلمي، والأقوال النابية التي تصدر عن بعضهم، البعيدة عن سمو الأدب الذي حث الشارع على حفظه والتزامه رغم الخلاف والنزاع، فإننا نجد تلك المناقشات العلمية قد أفرزت في كثير من الأحيان مصنفات علمية جيدة لقيت قبولا عند أهل العلم.

وقد وَجَد السخاوي مجموعة من العلماء المنافسين له في التدريس والإفتاء والتصنيف، وفي المستوى العلمي الذي حازه وتميز به عن جمع من علماء وقته، كما اتُّهِم بشدة نقده لمن ترجم لهم في تاريخه.

ومن هؤلاء الأقران الذين نجد السخاوي يوجه إليهم نقده في تاريخه العظيم الضوء اللامع؛ المؤرخ التقي المقريزي (٨٤٥هـ) وإن كان يعتبر مُتَقَدما عليه شيئا ما في طبقته العلمية، فقد اتهمه السخاوي بقلة الإتقان والمعرفة بأخبار المتقدمين، ووقوعه في السقط والتحريف لعدة نصوص تاريخية، وتفرده بذكر أحوال المتأخرين بأشياء لا يوافق عليها في تراجمهم ككلامه في ابن الملقن، [١] ثم يتجاوز كل ذلك ليصفه بعدم المهارة في معرفة الرجال وأسمائهم، وقواعد الجرح والتعديل. [٢]

ولكنه مع ذلك يعترف للمقريزي بإلمامه القوي بمذاهب أهل الكتاب حتى إنه أصبح مرجعا لهم مُعتَمَدا. [٣]

---

(١) الضوء اللامع ٢/ ٢٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الضوء اللامع ٢/ ٢٤.

ومنهم المؤرخ ابْنُ تَغْري بَرْدي الأتابكي (٨٧٤هـ) الذي شكك السخاوي في ما أورده عن نفسه من أنه كان يُفِيد التقي المقريزي بأشياء في التاريخ لا توجد عنده، فوصف هذا الزَّعمَ بالحمق والدعاوى؛[١] وهي قسوة من السخاوي مع هذا المؤرخ الشهير في غير موضعها، لم تكن ملازمة له في جميع نقده.

كما اتهمه بالوهم في سرد الأخبار، والخلط في الأمور الواضحة عند النقاد؛ في الأسماء والأنساب والألقاب، مع وجود التصحيف والتحريف في كل ذلك، وقد أورد نماذج دَلَّلَ بها على هذا النقد.[٢]

ولكن خلق الإنصاف عند السخاوي يدفعه للاعتراف له بالتمكن من أخبار الترك، وأحوال أهل بلده، وبجودة التصنيف في فن التاريخ. [٣]

ومنهم الحافظ البقاعي (٨٨٥هـ) الذي طالما تمتع بعلاقة جيدة مع السخاوي؛ بل صدر منه ثناءٌ مَحمُودٌ عليه في المراسلات التي وقعت بينهما، مع الاعتراف للسخاوي بالفضل والعلم. [٤] لكن سرعان ما تأزمت العلاقة بين العالمين الفاضلين، وبدأ البِقَاعِيُّ يَرْشُقُ السخاويَّ بسهامه، ويتهمه بإطلاق لسانه بغير الحق على العلماء المترجم لهم في الضوء اللامع. [٥]

وقد انتقد السخاويُّ بِدَوره البقاعيَّ بأنه صاحب دعاوى مُستَفِيضة، وحب للشرف والسمعة؛ لزعمه بأنه قيم العصريين بالكتاب والسنة في زمانه، كما عاب عليه حِدَّةَ لسانه المفرطة مع شيوخه وأقرانه، وتجريحه لهم بدون مسوغ ولا طائل.[٦]

ونبه على تناقضه في تاريخه عنوان الزمان في عدة تراجم، عندما يثني على شخص في موضع، ثم يقوم بثلبه بما يناقض ذلك الثناء في موضع آخر، هذا مع غلطه في التواريخ

---

(١) المصدر نفسه ١٠/ ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه ١٠/ ٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه ١٠/ ٣٠٨.

(٤) الضوء اللامع ٨/ ٢١.

(٥) مقدمة تاريخ البقاعي ١/٤١.

(٦) الضوء اللامع ١/ ١٠٤.

والأنساب، وحصول التصحيف منه في الأعلام.[١]

ومن بين المؤلفات الجيدة التي أفرزها هذا النقد كتاب السخاوي **الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل** رد به على مصنف البقاعي **الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة**،[٢] وكتاب **القول المألوف في الرد على منكر المعروف** في الرد على البقاعي في مسألة فقهية، ثم كتابه الحافل **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي** صنفه ليضاهي به كتاب البقاعي **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي** قدرا وحجما وجودة.

ومنهم الحافظ الجلال السيوطي(٩١١هـ) الذي كانت معركته معه من أكثر المعارك احتداما وعنفا، إذ وصلت بينهما إلى حد غير مقبول أنكره عدد من العلماء المعاصرين لهم، وممن جاء بعدهم. وقد كانت ترجمة كل واحد منهم لصاحبه مظلمة بالتهم، والعبارات القاسية.

ولتحليل هذه العلاقة غير الجيدة بينهم حاولت أن أجمع أهم التهم التي وجهها السيوطي للسخاوي لاهتمامه بالتصنيف في السخاوي أكثر منه فيه، وقمت بتحليل هذه التهم، مع بحث عوامل صدورها، راجيا من ذلك الوصول إلى الصواب، وأعقبت كل ذلك بذكر المؤلفات النافعة التي أفرزها الصراع بينهم في عدة فنون.

وقبل البدء في وصف هذه المنافسة القوية بينهما ينبغي أن ننبه على أمر مهم؛ وهو أن السيوطي كان يتمتع بعلاقة جيدة مع السخاوي كما يظهر من اعتراف كل منهم؛ فقد صرح السخاوي بملازمة السيوطي له مدة، وأنه طالما كتب له تلطفا معه، ومدحا له.[٣] ويذكر السيوطي في عدة مواضع فضل السخاوي؛ بل ويشهد له بالعلم والتمكن في علم الحديث ويصفه بالحافظ،[٤] ولكن، وللأسف سرعان ما ساءت العلاقة بينهما وفسدت.

ولكي نصل إلى سبب تلك العلاقة السيئة بينهم، نحاول أن نلقي نظرة على أبرز التهم

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٠٥.

(٢) قام بتحقيقه الأخ الباحث سامي القليطي لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى.

(٣) الضوء اللامع ٤/ ٦٦.

(٤) انظر في ذلك المقامة السندسية، والفتاش على القشاش (ضمن مقامات السيوطي ١/٧١٤، ٢/٧٨٠) على التوالي، نظم العقيان ص:(١٥٢).

التي وجَّهَهَا السيوطي للسخاوي ثم نعقبها بشيء من التحليل، و يمكن تلخيص هذه التُّهَم في الآتي:

_ تَشْنِيعُ السيوطي على السخاوي وتعريضه به، بعد مخالفته له في مسألة إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة، فقد صنف السخاوي كتاب **الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ في اليقظة**[1] رَدَّ فيه على تجويز السيوطي لإمكان حصول رؤية النبي ﷺ يقظة لبعض الصالحين كما في رسالته **تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك**.[2]

ويُعَبِّرُ السيوطي عن هذا الغضب بقوله:" ولقد وصل إليَّ عن رجل من أهل الحديث، وممن سعى فيه طول عمره السعي الحثيث أنه ذكر له ما قلته فصاح، وأعرض بوجهه وأشاح، وأجرى مِن فِيهِ سَيلا، وجَرَّ مِن لسانه ذيلا، وكسا وجه الصباح ليلا، وكاد يطير مع بَنَاتِ نَعْشٍ، وحَاصَ حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ".[3]

_ قُصُورُ علمه بالفقه بحيث لو سُئِل عن مسألة في الاستنجاء لما أحسن الجواب عنها، لو طَرَأَت له في الصلاة حادثة لم يَدْرِ صحتها من إفسادها فضلا عن مسائل الزكاة والصيلم، أو فروع الاعتمار وحجة الإسلام".[4]

_ كَثْرَةُ لَحْنِه في العربية، وجهله بالنحو قواعده فلا يعرف الصحيح من المقصور؛ بل ولا المرفوع من المجرور، ولا يميز بين المعرب والمبني[5] ويقول:" وأما لحنه السَّمِج، ولفظه الرَّكِيك اللَّمِج، فانظر إلى تاريخه وغيره تجد فيه من ذلك العُجَرَ والبُجَرَ[6]".[7]

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ١٩.

(٢) طُبِعَ ضمن الحاوي للفتاوى ٢/ ٤٧٣ _ ٤٩٢.

(٣) المقامة السندسية (ضمن شرح مقامات السيوطي ١/ ٥٩١).

(٤) الكاوي في تاريخ السخاوي (ضمن شرح مقامات السيوطي ٢/ ٩٣٦).

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٤ _ نظم العقيان ص:(١٥٢).

(٦) العُجَر: العروق المتعقدة في الظهر، والبُجَر: العروق المتعقدة في البطن، واستعير هذا المعنى للدلالة على الهموم والأحزان، ولمن يشكو إلى الله أموره كلها ما ظهر منها وما بطن، وفي حديث أم زرع: ((**إن أذكره أذكر عُجَره وبُجَره**)) أي أسراره وعيوبه.
انظر لسان العرب مادة [بجر].

(٧) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٠.

ـ مَلامَتُه له لكلامه في بعض العلماء ونقده إياهم، واعتبار ذلك غيبة بعيدة عن كونها من باب الجرح والتعديل، إذ محله جانب الرواية في الحديث فقط ـ حسب رأيه ـ، ولذا فإنه يدعو إلى طرح كتاب "الضوء اللامع" وعدم الإصغاء إليه لفحشه، وتَنَاقُضِه فيه. (١)

ويصفه بقوله:" ثم أَكَبَّ على التاريخ فأفنى فيه عمره، وأغرق فيه علمه، وسلق فيه أعراض الناس، وملأه بمساوئ الخلق". (٢)

ـ نَعَتَ السخاويَّ بنعوت ذميمة كالجهل البَيِّن، والحمق الذي ليس بالهَيِّن، (٣) وشبه كلامه بالقبيح، حتى أنشد فيه أبياتا:

إِنَّ السَّخَاوِي جَاهِلٍ مُتَمَخْرِق ... لا يَرتَوِي عِنْد الصَّوَاب إِذَا أُثِر

فَإِذَا أَشَرتَ إلى كَذُوبٍ أَحْمَق ... فَإِلى السَّخَاوي فَهْوَ كَذَّابٌ أَشِر (٤)

ـ قوله بأنه لم يضرب في شيء من العلوم بأدنى سهم، وأن مُنْتَهَى عِلْمِه كثرة السماع على الشيوخ والعجائز. (٥)

ـ اتهامه بالسطو على كلام شيخه ابن حجر في مسألة تقليم الأظافر من فتح الباري، ونسبة ذلك إلى نفسه في جزء خاص؛ بل تجاوز ذلك إلى القول بأن جميع مؤلفاته في الحديث هي في الأصل لأستاذه ابن حجر. (٦)

ولَعَلَّ نَظْرَةً مُتَفَحِّصة من القارئ لهذه التهم تُبرِز له مَدَى حِدَّة المنافسة التي كانت بين السخاوي وبين السيوطي رحمهم الله، لكن ذلك لا يمنع من تحليل مواقفهم ومناقشة آرائهم، مع التزام العدل والإنصاف والله الموفق.

وقَبْلَ مُنَاقَشة تُهَم السيوطي أجدني مضطرا لبيان أمرين؛ الأول: فحش عبارات السيوطي رحمه الله في النقد، وتجاوزه حد العدل والرحمة اللذين ينبغي أن يكونا بين أهل العلم في الخلاف اقتداء بالرعيل الأول من الصحابة والتابعين؛ إذ العلم رحم بين أهله

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٣ ـ ٩٥٦.

(٢) نظم العقيان ص:(١٥٢).

(٣) الكاوي في تاريخ السخاوي (ضمن شرح مقامات السيوطي ٢/ ٩٤٤، ٩٤٧).

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٦، ٩٥٠.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٨.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٩.

ـ كما قيل ـ في حين لا نجد هذا الفُحْشَ في العبارة عند السخاوي أثناء ترجمته للسيوطي وكلامه فيه، مع العلم بأن السخاوي لم يشتغل بالرد عليه،[1] ولم يُولِ هذا الأمر قدرا كبيرا من الأهمية كما هو الحال مع السيوطي الذي شَغَل وقته به، ولا أَدَلَّ على ذلك من أن السخاوي لم يَكْوِ السيوطي بِكَاوٍ يستحقه على كاويه، وإنما تركه وأهمله.

الأمر الثاني: اعتداد السيوطي الزائد بنفسه، وافتخاره بعلمه إلى حَدٍّ خَطِير؛ حيث يصف نفسه بقوله:" فإن ثَمَّ مَن يَنفُخُ أَشدَاقَه ويَدَّعي مناظرتي، وينكر عَلَيَّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة، ويزعم أنه يعارضني، ويَسْتَجيشُ عليَّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد، ونفخت عليهم نفخة واحدة صاروا هَبَاءً مَنْثوراً".[2]

وهو أسلوب بالغ في القسوة يريد به انتزاع وصف الاجتهاد المطلق من معاصريه، والتفرد به وحده فقط دون غيره، كما يتضح في أبيات له يفتخر فيها على السخاوي بعلمه، في حين أننا لم نعهد هذا الادعاء والافتخار من علماء كبار، وجهابذة عظماء؛ كالأئمة الأربعة والشيخين وكبار الحفاظ في الفنون المتقدمة، والذين لا يصلهم السيوطي في ربع علمهم وفضلهم. وهو كما ذكرت أمر لا نجده عند غريمه السخاوي أبدا عندما يترجم لنفسه؛ بل إنه يتواضع وينكسر، ولكنها مُبَارَزَةُ الأقران.

روى الحافظ ابن عبد البر بإسناده عن عبد العزيز بن حازم قال سمعت أبي يقول: "العُلَماءُ كَانُوا فِيمَا مَضَى مِن الزَّمان إذا لَقِي العَالِم مَن هُو فَوقَه في العِلم كَانَ ذَلِك يَومَ غَنِيمَة، وإذا لَقِي مَن هُو مِثلَه ذَاكَرَه، وإذا لَقِي مَن هو دونه لم يَزْهُ عليه، حتى كان هذا الزَّمَانُ فَصَار الرَّجُل يَعِيبُ مَن هو فوقه ابْتِغَاءَ أن يَنقَطِع مِنه حتى يرى النَّاسُ أنه ليس به حَاجَةٌ إليه، ولا يُذَاكِر مَن هو مثله، ويَزهَى على مَن هو دونه فهلك الناس".[3]

قلت: هذا في زمانه، فكيف بزمان ابن عبد البر؛ بل فكيف بزمان السخاوي المتأخر؟

لم يكن السيوطي مُوَفَّقاً في رأيه في إمكان رؤية النبي ﷺ ؛ بل كان التوفيق مع السخاوي في إنكاره وقوع رؤية النبي ﷺ يقظة لأحد من الناس كيفما كان صلاحه، لا سيما إذا علمنا أن السيوطي كان على مسلك صوفي خالص دفعه للانتصار لابن الفارض،

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٧٠.

(٢) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف (ضمن الحاوي للفتاوى ٢/ ١٠٤).

(٣) جامع بيان العلم ٢/ ١٥١.

وابن العربي الحاتمي على الأقل في بداية أمره.[1]

وبناء عليه نقول إن قضية إمكان رؤية النبي ﷺ في اليقظة مِن بعض الأولياء هي اعتقاد جمهور الصوفية المتقدمين والمتأخرين، الذين يرون ذلك أمرا ممكنا وواقعا؛ بل يصرح بعضهم بأن النبي ﷺ لم يمت، يقول أبو العباس القَصَّاب:" لم يمت محمد، وإنما الذي مات هو استعدادك أن تراه بقلبك".[2]

ويتحقق هذا الأمر عند الصوفية باشتغال الفكر به ﷺ اشتغالا دائما لا تصرفه عنه شواغل أو غوامض، يقول الدَّبَّاغ الشيخ الصوفي:" وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبي ﷺ في اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبي الشريف اشتغالا دائما بحيث لا يغيب عن الفكر، ولا تصرفه عنه الصوارف والشواغل....فإذا دام العبد على هذا مدة رزقه الله تعالى مشاهدة نبيه الكريم، ورسوله العظيم في اليقظة".[3]

وأخبار القوم في ذلك من الكثرة بدرجة لا تحصى.[4]

ومعلوم أن الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان قد بلغوا درجة مِنْ مُتَابَعَة النبي ﷺ وحُبِّه لم يَـبْلُغها أحد بعدهم، ومع ذلك فإنهم لم يروا النبي ﷺ يقظة، أيكون ذلك نقصا في إيمانهم وَديانتهم.[5] وإذا ظهر هذا تبين لك بُطلانُ تَشْنِيعِ السيوطي على السخاوي لمخالفته اعتقاد الصوفية في هذه المسألة، وأن السخاوي قد وافق مذهب السلف، وأدرك خطأ الخلف.

أما ما زعمه السيوطي من قصور السخاوي في العلم بالفقه والنحو والعربية إلى درجة يتفوق عليه فيها المبتدئ في طلب العلم فهو مبالغة منه في الخصومة؛ ذلك أن السخاوي حرص منذ صغره، وبداية نشأته، على حفظ مجموعة من المتون العلمية في علوم الآلة والفقه وغيرها من الفنون، ودراستها على بعض الشيوخ على عادة علماء عصره، فحفظ

---

(١) لعل من الإنصاف أن أذكر بأنني وقفت على نصوص تثبت تراجع السيوطي عن ثنائه على ابن العربي، وسوف أعرض لبيانها عند دراسة ابن العربي الحاتمي في مبحث الكتب المؤلفة في موضوع الكتاب.

(٢) تذكرة الأولياء ٢/ ١٨٥ نقلا عن في التصوف الإسلامي وتاريخه ص:(١٦٥).

(٣) الإبريز ص:(٢٩٤).

(٤) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٣٤٢، ٢/٢٩٧.

(٥) راجع إن شئت تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي د. محمد لوح ٢/ ١٥ وما بعدها.

التنبيه والمنهاج في الفقه الشافعي، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وعمدة الأحكام في أدلة الأحكام وعرضها على عدة شيوخ، [١] فكيف يكون مع ذلك ضعيفا جاهلا بهذه العلوم؟ ثم إنه لازم أستاذه الحافظ ابن حجر طويلا، ولا يخفى تمكن ابن حجر القوي من الأدب واللغة والفقه، فلو كان اتهام السيوطي صحيحا لما رضي عن ملازمة السخاوي له.

أما الاعتراض على إطلاق السخاوي لسانه بالكلام على أعراض العلماء، وذكر مثالبهم، فإنه يتطلب منا وَقْفَةً مع هذا الاتهام من خلال ملحظين:

الملحظ الأول: أن كثيرا من التراجم التي تعرض لها السخاوي بالنقد والبيان في تاريخه؛ الداعي لها بَيانُ حالهم للناس لوقوعهم في بدع ومخالفات شرعية، ومَن كان هذا حاله لم يَجُز السكوت عن وصفه نُصحاً للأمة وأداءً للواجب، ومِن ذلك ما يذكره السخاوي عن عدد من العلماء في سياق تراجمهم بأنهم كانوا يتعصبون لابن العربي الحاتمي وينافحون عنه؛ بل يصل الحال ببعضهم إلى التصريح بتصويب اعتقاده في الفصوص؛ وهو ظاهر الكفر والمحادة لله ولأنبيائه.

فهذا النوع لا يَعترض فيه على السخاوي أو يَغضَب عليه، إلا مَن كان مِن أهل ذلك المنهج وأتباعه، وهو الذي قصده العلامة الشوكاني عندما احترز بقوله عنه:" وليت أن صاحب الترجمة صان ذلك الكتاب عن الوقيعة في أكابر العلماء من أقرانه، ولكن ربما كان له مَقصِدٌ صَالِحٌ". [٢]

ونَبَّه عليه ابن الشماع الحلبي بقوله:" لعل ما ذكره صاحب الأصل في هذا القسم هو من باب الجرح المستثنى من الغيبة المحرمة. قلت: هو محدث كبير، فهو أدرى بما صنع، وعليه في القيامة الخروج من عُهْدَةِ ما وَضَعَ". [٣]

الملحظ الثاني: ما وُجد في تاريخه من الوقيعة في بعض العلماء بأمور خاصة كان يحسن ويجمل به رحمه الله أن يسكت عنها، خَاصَّةً وأنها لا تتعلق بأمور شرعية، أو بديانة المُتَرجَم له، وهو الذي عناه الشوكاني بقوله:" السخاوي وإن كان إماما كبيرا غير مدفوع، لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك مَن طالع كتابه الضوء

---

(١) سبق تفصيل ذلك عند مبحث نشأته العلمية.

(٢) البدر الطالع ٢/ ١٨٧.

(٣) القبس الحاوي ١/ ٣٠.

اللامع فإنه لا يقيم لهم وزنا".[1]

وأما دعوة السيوطي إلى الإعراض عن تاريخ السخاوي فهو أمْرٌ انفرد به دون جميع العلماء والحفاظ الذين تلقوا كتاب الضوء اللامع بالقبول والثناء، حمله عليه ما بينهم من المشاحنة، يقول الشوكاني: "ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية، وسرد فيه ترجمة كل أحد....على نمط حسن، وأسلوب لطيف ينبهر له مَن لديه معرفة بهذا الشأن، ويتعجب من إحاطته بذلك، وسعة دائرته في الاطلاع على أحوال الناس".[2]

كما جانب السيوطي الصواب بما ادعاه مِن أن السخاوي لم يضرب في شيء مِن العلوم بأدنى سهم، وتناقض مع نفسه عندما اعترف له في عدة مناسبات بالتمكن في علم الحديث،[3] وجودة الضبط فيه، ثم ناقض حكمه ونقضه.

أما قضية السطو على كتب الغير بنسبتها لنفسه؛ فإن هذه تُهْمَة تَبَادَلَها كل من السخاوي والسيوطي، فبينما يتهم السيوطي السخاوي بسطوه على كتب أستاذه وشيخه، ونسبتها لنفسه، وهو أمْرٌ بَرَّأَ السخاويَّ منه جَماعةٌ من معاصريه، كقول بعضهم: "ما نَسَبَّه له من الإغارة على شيخه ابن حجر غير معتمد ولا معتبر، إذ المنقولات تستلزم الاشتراك في العبارات، مع اختلاف المقاصد والإشارات، ومثل الحافظ السخاوي لا يظن به ذلك لطول باعه، وممارسته للعلوم"،[4] نجد السخاوي يبادله عين الاتهام، ويذكر أنه اختلس أثناء تردده عليه كتاب"الخصال الموجبة للظلال" وغيره من كتب الخزانة المحمودية التي لا عهد لكثير من المصريين بها، ونسبها لنفسه.[5]

وقد بَرَّأَ السيوطي ساحته من هذه التهمة بأنه لم يكن قد اطلع على كتاب السخاوي

---

(١) البدر الطالع ٣٢٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٨٦.

(٣) راجع في ذلك المقامة السندسية ١/ ٦١٤، الفتاش على القشاش ٢/ ٧٨٠ (ضمن شرح مقامات السيوطي)، نظم العقيان ص:(١٥٢).

(٤) النجم الهاوي نقلا عن فهرس الفهارس ٢/ ٩٩٢ — ٩٩٣.

(٥) الضوء اللامع ٤/ ٦٦.

في الظلال قبل تصنيفه في نفس الموضوع.(١)

والذي يظهر أن كلاهما استفاد من مصنفات ابن حجر وخاصة السخاوي مع وجود التصريح بالنقل منه في كتبهم، واستبعاد تهمة سرقة مصنفاته للأمانة العلمية التي يتمتع بها كل منهم وهو أمر ظاهر لمن طالع كتبهم، ولتمكنهم البالغ من التصنيف والتأليف.

وبالجملة يمكن القول بأنه لا يقدح في السخاوي كلام السيوطي فيه، ولا ما قاله هو فيه؛ لأن المُعَاصَرَةَ تُوجب المُنَافَرَة، والاتحاد في الصَّنْعَةِ يُغَيِّرُ مِنْ كُلٍّ مِنَ المتعاصِرَيْنِ طَبعَه، وقد قالوا قديما: عَدُوُّ المرء من يَعْمَلُ بِعَمَله، وذلك لشدة حرص الإنسان على الانفراد، وفُسْحَةِ أَمَلِه.(٢)

وقد تقرر من كلام المتقدمين أن كَلامَ الأقران غَيرُ مُعتَبَر في حق بعضهم البعض، وأنه ينبغي أن يُتَأَنَّى ويُتَأَمَّلَ فيه. (٣)

يقول الحافظ الذهبي في تقرير هذا المعنى كلاما ذهبيا: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم".(٤)

---

(١) الكاوي على تاريخ السخاوي ٢/ ٩٤٩، ٦٥١ (ضمن شرح مقامات السيوطي).

(٢) فهرس الفهارس ٢/ ٩٩٢.

(٣) انظر للمزيد في هذا الباب: جامع بيان العلم ٢/ ١٥٠ ـ ١٦٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٨١، طبقات الشافعية ١/ ١٨٨، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٣.

(٤) ميزان الاعتدال ١/١١١.

المبحث الرابع

بيان مذهبه وعقيدته

• **مذهبه الفقهي:**

الحافظ السخاوي شَافِعِيٌّ المذهب في الفروع، صرح بانتسابه إليه أثناء ترجمته لنفسه فقال: "السخاوي الأصل، القاهري الشافعي"،(١) ونَصَّ على هذه النسبة إلى مذهب الشافعية في عدة مناسبات. (٢)

وقد اجتمعت لديه أدوات الاجتهاد بشكل جعله لا يتقيد في العلم والفتوى بمذهب الشافعية دون غيرهم؛ بل إنه يقتدي بالأئمة المتقدمين، وينظر في أدلتهم دون تقليد أعمى، أو تعصب مقيت، وكثيرا ما يفتي بما أداه إليه اجتهاده، وسعة نظره في الأقوال والأدلة، وهو أمرٌ ظاهر من خلال فتاواه التي خالف في عدد منها مذهب السادة الشافعية، (٣) ساعده عليه عُمْقُ نظره في السنة النبوية، وطول دراسته لها إذ كان مسلكا لشيخه ابن حجر من قَبلُ، (٤) صَقَل به فكره وعلمه.

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٢.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ٢٥ب وغيرها.

(٣) انظر الأجوبة المرضية له (نشرة دار الراية — الرياض).

(٤) ابن حجر العسقلاني د. شاكر عبد المنعم ١/ ١٢٦.

• مذهبـه العقـدي:

إن الباحث في مسلك السخاوي العقدي، ومنهجه في فهم قضايا التوحيد والاعتقاد، تعترضه صعوبة واضحة في تحديد اعتقاده في هذه المسائل، ومن ثمة التوصل إلى طريقته ومنهجه اللذين سار عليهما.

ومَرجعُ ذلك عدم اهتمامه بالتصنيف في قضايا الاعتقاد، وليس له كتاب مستقل يوضح فيه رأيه في قضايا الاعتقاد سوى كتابه الحافل في ابن العربي الحاتمي القول المنبي، وكتاب آخر في الفرق لم يصل إلينا إلى الآن، وكتاب القول المنبي يُسعفنا برأي السخاوي جَلِياً في الفكر الصوفي، ومذهب وحدة الوجود الذي رفع شعاره ابن العربي الحاتمي إذ ساد بين علماء عصره.

أما عن باقي مباحث العقيدة في الأسماء والصفات، والألوهية، والنبوات والمعاد وغيرها فإننا لا نجد له سوى إشارات متواضعة تتناثر بين ثنايا مصنفاته.

ولذا فإن تحديد اعتقاد السخاوي بِدِقَّةٍ يتطلب وُجُودَ مُعْظَم كتبه المخطوطة برجاء الوقوف على آرائه في بعض ذلك، علما بأن السخاوي لم يُعِر التصنيف في المسائل العقدية اهتماما كبيرا يُذكر لاشتغاله بعلم الحديث وفن التراجم.

وفي غِيَابِ أَية إشارات من مصادر ترجمته إلى مسلكه العقدي، فقد حاولت جمع بعض آرائه في مسائل معينة من الاعتقاد دون تتبع أو استقصاء لجميع كتبه، وكنت في ذلك مستحضرا لتأثره بمسلك أستاذه ابن حجر في العلم والعقيدة، [1] وتأثره ببيئته وتوجه علماء زمانه العقدي.

نَشَأَ عَلَمُنَا السخاوي رحمه الله في بيئة أشعرية صوفية، ظهر فيها التعلقُ بالأولياء والصالحين؛ بتعظيم مشاهدهم وآثارهم بعد الموت، والتبرك بها مع انتشار إقامة الموالد، وقد كانت من آثار حكم الدولة العبيدية الباطنية، إذ حَمَلَ النَّاسَ على تعظيم المشاهد والمزارات.

وقد اجتهَدَت الدولة الأيوبية مع مجيء السلطان صلاح الدين الأيوبي في محو وإزالة عدد من الاعتقادات الباطنية التي خَلَّفَتها الدولة العبيدية في مصر، وتحرير الجامع الأزهر

---

(١) راجع إن شئت: منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال فتح الباري لمحمد كندو (نشرة مكتبة الرشد ــ الرياض).

من ذلك كله، وتوجيهه لخدمة السنة النبوية، مع حرصه البالغ على نشر المذهب الأشعري بين الناس، وحملهم عليه بالقوة إذ كان السلطان صلاح الدين الأيوبي قد نشأ على اعتقاد الأشاعرة منذ صغره، وحفظ عقيدة مختصرة في اعتقاد الأشاعرة أَلَّفَهَا له أحد علماء الأشاعرة في وقته.

وهكذا عَضَّ الناس بالنواجد على المذهب الأشعري بإلزام الدولة الأيوبية والمماليك النَّاسَ على التمذهب به واعتقاده، وعلى رأس ذلك أكثر العلماء وأهل الفتوى، فنسي معظم الناس مذهب السلف، ومتقدمي الأئمة غير مذهب الأشعرية. (١)

ولاشَكَّ أن بيئة علمية كهذه التي وَصَفتُ ستؤثر على كل عالم عاش فيها، وقد كان من بين أولئك شمس الدين السخاوي الذي أخذ عن علماء وقته وبيئته، وكانوا قد شربوا منه قبله، لكننا مع ذلك كله نجده يسلك مَنْهَجَ أهل الحديث والأثر في التزام السنة والدليل، وترك التعصب للشيوخ والرجال، وكان قد أثر فيه مسلك شيخه ابن حجر كما اشْتَهَر عند عصرييه.

ولهذا نرى السخاوي يَصِفُ نفسه أثناء ترجمته بقوله:" الأثري بفتحتين ومُثَلَّثةٍ دون تَوَقُّفٍ أو نظر، نسبة إلى الأثر".(٢)

كما حرص على قراءة مجموعة من الكتب المصنفة في الاعتقاد على طريقة المحدثين كالإيمان لابن منده، وللقاسم أبي عبيد بن سلام، والسنة للخلال، وشرح أصول الاعتقاد للآلكائي وغيرها من المصادر العقدية التي تهتم بالرواية والإسناد.

فتولد عند السخاوي حُبُّ السنة وتعظيمها، واحترام طريقة السلف في فهم النصوص العقدية، وسَلِم من أصول المتكلمين والفلاسفة، وقواعدهم العقلية المقدمة عندهم على الأدلة النقلية، ولذا نجده يستدل بنصوص بعض الحفاظ السلفيين كابن تيمية وابن القيم وغيرهم دون أن يجد لذلك في نفسه غَضَاضَةً، وينقل عنه في كتابه القول المنبي صفحات طوال توضح رأيه في ابن العربي، وبسخاصة إذا علمنا انقسام الناس والعلماء في عصره في موقفهم مِن ابن تيمية بين مُؤَيِّدٍ له وحَاطٍّ عليه(٣) والله المستعان.

---

(١) خطط المقريزي ٤/ ١٨٥.

(٢) إرشاد الغاوي ل/ ١١ب.

(٣) خطط المقريزي ٤/ ١٨٥.

ومع كل ذلك فإن السخاوي لم يَسْلَم مِن بعض الشبه الكلامية والصوفية في الاعتقاد، وهي وليدة عصره وزمانه، وما أداه إليه اجتهاده وفهمه عن حسن نية، وسلامة قصد.

موقفه مِن توحيد الأسماء والصفات:

سَبَقَ التنبيه على أن عدم تصنيف السخاوي كتابا مستقلا في الاعتقاد جعل الوقوف على آرائه العقدية مهمة صعبة، باستثناء بعض الإشارات الخجولة بين ثنايا تراجمه وكلامه خاصة في مسائل الأسماء والصفات، وقد اجتهدت في تحديد منهج السخاوي في قضايا الأسماء والصفات من خلال تلكم النصوص.

وافق السخاوي رحمه الله الأشاعرة في تأويل بعض النصوص الصفاتية تبعا لأستاذه ابن حجر(١) دون التزام منه بمنهجهم الكلامي في التأويل، كما يُفهم من بعض النصوص الصريحة الواردة عنه.

فقد قَرَّرَ في أكثر مِن موضع عدم جواز ذكر أحاديث الصفات بحضرة العوام خشية تَوَهُّمِهِم التَّشْبِيهَ والتَّجْسِيمَ لضَعفِ العُقُول، وقصور الفهوم، حتى ولو كانت الأحاديث في ذلك صحيحة الإسناد؛ بل جعله من آداب المحدث في إملائه، وذلك بقوله:"واجْتَنِب في إملائك المشكل من الحديث الذي لا تحتمله عقول العوام؛ كأحاديث الصفات التي ظاهرها التشبيه والتجسيم، وإثبات الجوارح والأعضاء للأزلي القديم، وإن كانت الأحاديث في نفسها صِحَاحاً ولها في التأويل طُرُقٌ ووُجُوهٌ".(٢)

وهذا التقرير منه مخالف لطريقة السلف في التعامل مع النصوص الصفاتية؛ فإن تجنب ذكر أحاديث الصفات بحضرة العوام فيه نظر، فنصوص الصفات في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة متوافرة، ولم يُؤمَر النبي ﷺ المبعوث في العرب؛ وهم وقتئذ أجهل من عامة المسلمين اليوم بالامتناع عن ذكر الأحاديث التي تتضمن وصف الرب ﷻ، أو تخصيص بعض الصحابة بسماعها دون البعض الآخر.

ولكن علماء الكلام توهموا بمسالكهم العقلية، ودُرُوبِهِم المنطقية، في فهم نصوص

(١) منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة لمحمد إسحاق كندو ١/ ١٩٢ وما بعدها.

(٢) فتح المغيث ٣/ ٣٠٦، القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ل/ ٦أ.

الصفات أن ظاهرها يفيد التجسيم والتشبيه، في حين امتلأت كتب السنة من صحاح وسنن ومسانيد بنصوص الصفات الصحيحة، وقد كانت تقرأ على الناس منذ عهد السلف الأوَّلِ في جميع بقاع الإسلام دون أن يتوهم أحد من ظاهرها التشبيه، اللهم إلا من تأثرت فطرته بأصول المتكلمين. يقول ابن تيمية:" فأما المنع من تبليغ عموم أحاديث الصفات لعموم الأمة فهذا ليس مما ذهب إليه من يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما هذا ونحوه رأي الخارجين المارقين من شريعة الإسلام كالرافضة والجهمية والحرورية ونحوهم؛ وهو عادة أهل الأهواء".(١)

واستدل السخاوي بأبيات في العقيدة أثناء ترجمته أحمد بن ناصر الباعوني المقدسي الناصري (٨١٦هـ) تتضمن إثبات سبع صفات للرب تعالى على طريقة الأشعرية دون أن يُعَقِّب عليها على عادته، مما يدل على موافقته له جَرْياً على ما اشتهر عند علماء عصره في مسألة الصفات.

كما تضمنت الأبيات أيضا وَصْفَ كلام الله تعالى بأنه معنى قديم قائم بذاته تعالى،(٢) وهو مذهب الأشاعرة في صفة الكلام، إذ يرون أن كلام الله تعالى بغير حرف ولا صوت، وأنه معنى قائم بالنفس يُعَبَّر عنه بالأصوات المسموعة تارة، وبغيرها أخرى وهذه الأصوات يخلقها الله في غيره كسماع موسى لِصَوتٍ خلقه الله في الشجرة، صرح بهذا المذهب كبار علماء الأشاعرة. (٣)

وهو مذهب مخالف لاعتقاد السلف الذي يَنُصُّ على أن كلام الله تعالى قديم النوع، حادث الأفراد بصوت وحرف يتكلم به متى شاء إذا شاء سبحانه، وهو صفة لله تعالى غير مخلوق خلافا للكلابية والأشاعرة الذين يخالفون السلف في طريقة إثبات صفة الكلام.

وقد أنكر علماء السلف على القائلين بأن أصوات العباد بالقرآن، والمداد المكتوب به القرآن قديمان أزليان، واعتبروه بدعة وضلالة، ففرقوا بين أصوات العباد المخلوقة، وصوت الرب تعالى الذي ينادي به، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. (٤)

---

(١) التسعينية ١/ ١٥٠.

(٢) الضوء اللامع ٢/ ٢٣٢.

(٣) راجع في ذلك: الإنصاف للباقلاني ص:(٩٩)، التمهيد له ص:(٢٨٣)، العقيدة النظامية للغزالي ص:(٢٧ ــ ٢٩)، نهاية الإقدام للشهرستاني ص:(٣٢٠).

(٤) يُنظَر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص:(١٤٥ ــ ١٦٩)، التسعينية ٢/ ٤٣٧، ٥٣٣.

وبالجملة فإن النصوص الواردة عن السخاوي لا تسعفنا في هذا الباب للحكم بكونه أشعريا متكلما خالصا، أو على طريقة السلف إجمالا وتفصيلا، ولكن الإنصافَ القولُ بأنه وافق الأشاعرة في بعض المسائل مع الحاجة إلى جَرْد ما وُجِد من مصنفاته البالغة مائتين وخمسين كتابا برجاء الوقوف على مجموعة من النصوص الواضحة لبيان اعتقاده في باب الأسماء والصفات.

• موقفه من توحيد الألوهية:

تميز السخاوي عن جماعة من عصرييه بالتمسك بالسنة والآثار، وسلوك طريقة أهل الحديث والرواية في كثير من القضايا العلمية والعقدية، يظهر ذلك من رأيه في بعض القضايا، إلا أن تأثره ببيئته وشيوخه جعله يجنح في بعض الأحيان إلى مخالفة فهم أهل الأثر من السلف، والبعد عن طريقتهم في التأصيل والتقرير.

•التوسل بذات النبي ﷺ وجاهه.

التوسل بالنبي ﷺ عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى لا يجوز التقرب إلى الرب ﷻ بها إلا بنص مأثور من الكتاب والسنة، وفهم السلف المعتبرين.

وقد اتفقت كلمة السلف على عدم سؤال النبي ﷺ بعد موته، أو الاستشفاع به سواء من الصحابة والتابعين أو أئمة المذاهب، فاستقر مذهب أهل السنة والجماعة على عدم جواز الاستشفاع بالميت سواء كان بالنبي ﷺ أو غيره من الصحابة بعد موتهم.

ويُفَرِّق السلف بين التوسل المشروع وبين التوسل الممنوع بناء على النصوص الواردة، فقد ثبت من حديث أنس رضي الله عنه في الأعرابي الذي جاء النبي ﷺ يسأله الدعاء بأن يرفع الله عنهم القحط الذي أصابهم، (١) ولم يسأل الله بذات النبي ﷺ أو جاهه وإنما طلب منه دعاء الله ﷻ لهم.

وقد استدل المخالفون لهذا الاعتقاد الصحيح بأدلة واهية منها حديث أبي سعيد الخدري وفيه: « **اللهم إِنِّي أَسْأَلُك بِحَقِّ السَّائِلِين عَلَيك ، وأَسْأَلُك بِحَقِّ مَمْشَايَ**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ح:(١٠١٩) كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر.

هَذَا » ، [1] وحديث توسل الضرير الذي وإن كان صحيحا لكنه إنما يدل على جواز توسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ لا بذاته مجردة، وهو ما يفسر استسقاء عمر ﷺ بالعباس عم النبي ﷺ بعد وفاة رسول الله، ولو جاز التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته لفعله، فدل عدم فعله على عدم الجواز. ثم إن جاه النبي ﷺ عظيم؛ بل أعظم عند الله ﷻ من جاه الأنبياء والمرسلين، ولكن لا يلزم من عظم جاهه ﷺ تجويز التوسل به عند الله لعدم ثبوت الدليل فيه، والحديث الوارد فيه « **تَوَسَّلُوا بِجَاهِي فَإِن جَاهِي عِنْد الله عَظِيم** » ضعفه الحفاظ فلا تقوم به الحجة. [2]

وقد حصل من السخاوي تَوَسُّلٌ بذات النبي ﷺ وبجاهه مُوَافَقَة منه لشيوخه وعلماء عصره، [3]وهو خلاف مذهب السلف كما تقدم بيانه.

●التبرك بآثار النبي ﷺ وقبور الصالحين.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن البركة من الله ﷻ وحده يَهَبُها لمن يشاء من خلقه من الأنبياء والمرسلين، والملائكة والصالحين، ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله : « **حَيَّ على الطَّهُور المبَارَك ، والبَرَكَة مِن الله** »، [4] ويفهم من الحديث عدم جواز التماسها من غير الله تعالى.

كما اختص الله تعالى بعض الأماكن ببركته كمكة والمدينة وبيت المقدس وغيرها من المواضع التي ثبت تخصيصها بالبركة، وأَوقَاتاً مُعَيَّنَة بالبركة كرمضان، وليلة سبع وعشرين منه، وأيام الحج، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم الجمعة وغيرها، فلا يجوز نسبة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح:(١١١٥٦) ١٧/ ٢٤٧، وابن ماجه في سننه ح:(٧٧٨)، والطبراني في الدعاء ح:(٤٢١) ٢/ ٩٩٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح:(٨٤) ص:(٧٥) وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء؛ فيه الفضل بن الموفق، وفضيل بن مرزوق وكلهم ضعفاء، وانظر السلسلة الضعيفة برقم:(٢٤).

(٢) راجع في ذلك: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص:(٢٥، ١١٥، ٢٥٤، ٢٥٦)، الرد على البكري لابن تيمية ١/ ٧٠، ٩١، ٩٣، فتح الباري ٢/ ٥٠٩، تيسير العزيز الحميد ص:(٢٢٩)، التوسل للألباني ص:(١٠١) وما بعدها.

(٣) انظر التماس السعد ص:(٢٩)، وجيز الكلام ٢/ ٦٨١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ح:(٣٥٧٩) من حديث ابن مسعود كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

البركة إلى موضع معين لم يرد خِطَابُ الشارع بنسبتها إليه.

وقد تبرك الصحابة ﷺ بالنبي ﷺ حَياً، وبآثاره التي تركها بعد موته[1] وبعد أن ضاع أكثرها اليوم، ولا سبيل لإثبات صحة ما يُدَّعَى مِن قِبَل بعض الناس.[2]

ثم إن النبي ﷺ لم يأمر صحابته بعده بالتبرك ببعضهم وبأفاضلهم، ولم يفعلوا ذلك مع أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة مع وجود الداعي من الفضل والتقدير لهم، ولو جاز التبرك بمن بعد النبي ﷺ لحصل من الصحابة، فَدَلَّ عدم الوقوع مع وجود الداعي لذلك على عدم الجواز، كما هو مقرر عند أهل الأصول إذ لا سبيل لتعميم ما اختص الله به نبيه ﷺ.[3]

وعليه فإن قياسَ بعضِ العلماء[4] لبعض الصالحين على النبي ﷺ في جواز التبرك بهم وبآثارهم خِلافُ الصواب، ولا يجوز لما فيه من تجاوز خصوصية النبي ﷺ بذلك، وفتح ذريعة الشرك والغلو في الصالحين خاصة وأن التابعين لم يفعلوا ذلك مع الصحابة.[5]

وقد وقع السخاوي رحمه الله عن حسن نية وقصد في كثير من ذلك، وخالف باجتهاده السَّلَفَ في مفهوم التبرك بالصالحين إذ نجده يسوق قصة وجود أثر حافر بغلة النبي ﷺ في جهة قبلة مسجد بني ظفر بالمدينة النبوية، وأن النساء كُنَّ يأتين للجلوس عليه، وما جلست عليه امرأة إلا حملت،[6] ثم يُقِر هذه القصة ولا يُعَقِّب عليها، وقد اتفق السلف على عدم اعتقاد التبرك بموضع أو مكان إلا بدليل شرعي صحيح.

وعند ترجمة الشيخ سعادة المغربي يستدل السخاوي بكلام ابن فرحون[7] عنه؛ وهو يتضمن ذِكْرَ أَحْوالٍ مُخَالِفَةٍ للشريعة، ككونه من أرباب الخطوة الذين تُطْوى لهم الأرض،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من دِرْعِ النبي ﷺ.

(٢) الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا نقلا عن التبرك د. ناصر الجديع ص:(٢٥٧).

(٣) الاعتصام ١/ ٤٨٢ وما بعدها، الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص:(٥٥).

(٤) منهم الحافظ ابن حجر كما في الفتح ١/ ٣٢٧، ٥٢٢، ٣/ ١٢٩، ١٥٨، ٣٦٧.

(٥) انظر الدين الخالص لصديق حسن ٢/ ٢٥٠، فتح المجيد ص:(١٠٦)، التبرك للجديع ص:(٢٦١) وما بعدها.

(٦) التحفة اللطيفة ١/ ٤٠.

(٧) هو: عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ولد سنة ٦٩٣هـ بالمدينة ونشأ بها، فقيه عالم بالحديث له "الدر الملخص من التقصي والملخص" مات عام ٧٦٩هـ.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٣٠٠، الأعلام ٤/ ١٢٦.

وأنه يَتَأَهَّبُ لصلاة الجمعة بمكة، فَيُرى في المدينة يصليها ثم يرجع، وغير ذلك مما ساقه السخاوي نقلا عن ابن فرحون دون التعقيب عليه، بل يظهر من كلامه إقراره له.(١)

وعند ترجمة الشيخ عبد الحميد بن علي الموغاني يُورِد حَادِثة وُرُودِ أحد الشيوخ العجم من مكة وهو نجم الدين الأصبهاني، ولقائه بالمترجَم له، والشيخ يحيى التونسي، ثم سفرهم بصحبته من جهة الصعيد بمصر إلى مكة وقد نفذ زادهم في هذا السفر، فاقترح النجم الأصبهاني على جماعته أن يَرِدوا قبر أبي الحسن الشاذلي حيث يجدون ضيافته لهم، ففعلوا ذلك ووجدوا عند قبره اللوز والزبيب. (٢)

وبهذه النصوص وغيرها(٣) تظهر مخالفة السخاوي رحمه الله لاعتقاد السلف في هذه القضية ومفهومهم للتبرك، وموافقته شيوخه وأساتذته كابن حجر وغيره والله المستعان.

وقبل مُغَادرة هذا المطلب في اعتقاد السخاوي في الصالحين ينبغي التنبيه على أمرٍ مُهِمٍّ؛ وهو أن موافقته لبعض أخطاء شيوخه في هذا الباب لا تعني بحال رضاه بحال الصوفية في زمانه في غلوهم في الصالحين، والرفع من قدرهم حتى ولو خالفت أحوالهم الشريعة، وناقضوا أوامر الكتاب والسنة، بل على العكس من ذلك فإنه يمدح أستاذه ابن حجر لإنكاره أحوال عدد ممن يَدَّعُون الصلاح واليقين، وهم مُنْسَلِخُون عن الأوامر الشرعية، فالمقياس عنده الكتاب والسنة، ويصف رأي شيخه ابن حجر في هذا الباب بقوله: "وبالجملة فقد كان متوسط الحال، غير مُفْرِط ولا مُفَرِّط. نعم كان ينكر على كثير من مكشوفي العورات، المتضمِّخِين في النجاسات، الناهبين البضائع من الطرقات، المتلذذين بالشهوات ممن لم يعلم صلاحه قبل هذه الحالات، ويقول: نَصَّ أهل العرفان من علماء الشأن على أن من كان قبل طروء مثل هذا على الكتاب والسنة فهو وارد رباني، وإلا فهو وارد شيطاني ومن يقدر ينازع في هذا؟(٤) وبالله التوفيق".(٥)

---

(١) التحفة اللطيفة ١/ ٣٨٣.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١١٣.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٠١، ٢/ ٤٩، ٦٩ وغيرها.

(٤) هذا الكلام غير مستقيم، فإن الاستقامة على الكتاب والسنة لا تبيح لصاحبها الوقوع في هذه الأحوال المهينة، أو التَّلَبُّس بتلك الأفعال المشينة، إذ كيف يمكن لولي الله تعالى أن يقع في النجاسات، أو يحصل له كشف العورات، والشرع الحنيف إنما جاء لتتريهه عن هذه الشناعات، ولا يمكن لمتمسك بأصول الشريعة أن يقع في مخالفتها، ويدعي بناء عليه الصلاح والورع، فكلام المؤلف هنا مُتَعَقَّب!!

(٥) الجواهر والدرر ٣/ ١٠٤٧.

• موقفه من البدع :

للسخاوي مواقف جيدة ومحمودة في إنكار مجموعة من البدع التي حدثت في زمانه، وعدم موافقته لها، مع وقوعه غفر الله له في بعض المخالفات كما سيتضح من خلال عرض بعض النصوص.

سبق الكلام عن التزام السخاوي بمنهج المحدثين في العلم والفتوى، واعتماده الرواية والأثر في التصنيف، وقد كان لهذا المنهج السليم أثر طيب في فتاواه وكتبه، وموقفه من البدع في عصره، والتي شاعت بين الناس مستدلين عليها بأحاديث مكذوبة وموضوعة نَبَّه السخاوي على وَهَنِها وضَعْفِها دون مجاراة منه لأهل عصره في الاستناد عليها، (١) وبَيَّن فساد هذه البدع ومخالفتها للأصل الشرعي الثابت.

ومن المسائل التي انتصر السخاوي للقول ببدعيتها مسألة رؤية الله تعالى في الدنيا؛ فضعف الحديث المنكر الذي احتج به من قال بجوازها، وفيه أن النبي ﷺ قال : « **رأيت ربي في المنام في أحسن صورة شابا موقرا** » الحديث. (٢) وخالفه في هذه الفتوى جماعة من أهل عصره المتأثرين بمسلك التصوف.

كما أنكر قول الصوفية بالجزم بعدم كفر أبوي النبي ﷺ واستعظام ذلك عليهم، وبَيَّنَ صراحة الأحاديث النبوية الواردة في حكم النبي ﷺ بأن أباه وأمه في النار، وهي أدلة صحيحة الإسناد استفاض السخاوي في ذكر ألفاظها. (٣)

وعند الحديث عن النسب الشريف للنبي ﷺ وآله يوضح السخاوي فضل الانتساب إلى آل البيت النبوي، وأنه أفضل الأنساب الطاهرة التي اختارها الله تعالى من البشر، وساق الأحاديث الواردة في حفظ نسبهم وحقهم؛ بل صنف كتابه الحافل في هذا **اسْتِجْلابُ ارْتِقَاءِ الغُرَف بِحُب أَقْرِبَاءِ الرَّسُولِ وذَوِي الشَّرَف**، (٤) وأكد على أن هذا

---

(١) انظر الأجوبة المرضية ١/ ٣٨١، ٢/ ٧٢٩، وجيز الكلام ١/ ٥١، ١٩٤، ٢/ ٦٢١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥/ ١٤٣، والخطيب في تاريخه ١٣/ ٣١١، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٤-١٥، وقال ابن حبان: إنه حديث منكر وضعّفه ابن حجر أيضا، وانظر في الكلام على طرقه ورواته الأجوبة المرضية للسخاوي ١/ ٣١٩-٣٢١.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٩٦١.

(٤) حققه الأخ الباحث خالد بابطين لنيل درجة الماجستير بجامعة أم القرى، والباحث عيسى الحميري لنيل درجة الدكتوراه بجامعة القرويين بفاس.

الانتساب لآل البيت لا يُعْفِي من الالتزام بمتابعة النبي ﷺ في أحواله وسُنَّته إذ المدار عليه، وهو إذا اجتمع مع الانتساب إلى آل البيت النبوي كان فضلا عظيما، أما النسب الشريف وحده دون الالتزام بالشريعة والسنة فلا ينفع صاحبه، (١) ومن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُه لم يُسرِع به نسبه.

ومن المواقف الإصلاحية الجيدة للسخاوي في إنكار البدع المستحدثة في عصره تقريره بعدم إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة بالعين البَاصِرَة، خلافا لعلماء عصره الصوفية كالسيوطي وغيره، وقد ساق ألفاظ الحديث الوارد في الصحيح « **مَن رَآني في المَنَامِ فَسَيَرَاني في اليَقَظَة** » (٢) وأوضح أن المراد بقوله في اليقظة ما كان على سبيل التمثيل و المجاز أي كأنه يراه في اليقظة، (٣) ونقل كلام الحفاظ والعلماء في تأكيد ما ذهب إليه.

وبلغ اهتمام السخاوي ببيان هذه المسألة أن صنف فيها رسالة خاصة أسماها الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة.

ومِن أَسَفٍ أن السخاوي يَضطَرِب قوله في بعض البدع؛ أقصد بذلك الاحتفال بالمولد النبوي، فقد وافق في هذه المسألة علماء عصره في الذهاب إلى جواز الاحتفال به، مع تقريره بأنه أمر حادث بعد القرون الثلاثة المفضلة، وتصريحه بعدم ثبوت الاحتفال به بين الصحابة، وهم أولى الناس بمحبة النبي ﷺ وأصدقهم فيها، وكذا التابعون بعدهم؛ بل هو مما أحدثه الناس بعد هذه العصور المفضلة. (٤)

هذا مع إنكاره المنكرات التي تحصل أثناء الاحتفال بالمولد النبوي، وبَيان عدم مشروعيتها، وقد حاول أن يَدْعَمَ رأيه بمن تقدمه من شيوخه كابن حجر وغيره. (٥) وصنف رسالة في الانتصار إلى ما ذهب إليه أسماها **الفَخرُ العَلَوي في المولد النبوي**،(٦)

---

(١) الأجوبة المرضية ١/ ٤٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ح:(٦٩٩٣) كتاب التعبير.

(٣) الأجوبة المرضية ٣/ ١١٠٠ ــ ١١١٥.

(٤) معلوم أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي الدولة العبيدية الباطنية، وانظر في ذلك خطط المقريزي ١/ ٤٩٠، الإبداع في مضار الابتداع ص:(١٢٦).

(٥) الأجوبة المرضية ٣/ ١١١٦ ــ ١١٢٠، وجيز الكلام ٣/ ١١٢٣.

(٦) الضوء اللامع ٨/ ١٨.

وهذه الرسالة وإن كانت لم تصل إلينا لكن الظاهر من حالها تقرير جواز الاحتفال بالمولد والله أعلم.

وقد سبق السخاوي إلى هذا الاضطراب بعض علماء عصره في الموقف من الاحتفال بالمولد النبوي عندما نصوا على بدعيته وحدوثه بعد القرون المفضلة، وإنكار ما يحصل فيه من الغناء والمنكرات؛ ولكنهم مع هذه المحاذير الشرعية استحسنوا الاحتفال به، واجتهدوا في تخريج ذلك على بعض الأدلة من السنة، وفي ذلك بعد وجنوح عن الصواب.

ومن بين هؤلاء العلماء ابن حجر في جواب له عن سؤال في حكم الاحتفال بالمولد أجاب يقول: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا"، [١]ومن قبله الفقيه ابن الحاج المالكي، [٢] ثم السيوطي بعد ذلك. [٣]

ومن عجب في هذه القضية قصد بعض العلماء المحدثين التصنيف في الاحتفال بالمولد النبوي، وقد عرفوا بالحرص على السنة والرواية، بل وبسلامة الاعتقاد ونقائه، والاقتداء بطريقة السلف في العبادات؛ أعني بهم مثل الحافظ ابن دحية الكلبي السبتي (٦٣٣هـ) الذي عرف بانتهاج طريقة المحدثين في الاستدلال والفتوى، وأثنى عليه الأئمة الحفاظ نراه يصنف كتابه **التنوير في مولد السراج المنير**، [٤] ويقدمه للسلطان مظفر الدين كوكبري[٥] هدية، ويضمنه ذكر ولادة النبي ﷺ حين رأى السلطان مغرى بمولد النبيﷺ شغوفا بالاحتفال به، فأعجبه الكتاب وأعطاه على ذلك أعطية ألف

(١) الحاوي للفتاوى للسيوطي ١/ ٢٢٩.

(٢) المدخل لابن الحاج ٢/ ٢ ـ ٣٢.

(٣) حسن المقصد في عمل المولد (ضمن الحاوي للفتاوى ١/ ٢٢١ ـ ٢٣١).

(٤) مخطوط بالمكتبة الأحمدية برقم: ٢٨٢، وانظر مقدمة الأخ الباحث جمال عزون لكتاب الآيات البينات لابن دحية ص:(١٠٤).

(٥) هو: أبو سعيد مظفر الدين كوكبري بن سعد التركماني مات عام ٦٣٠هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ١٢١، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

دينار، حكاه ابن الشعار في عقود الجمان. (١)

وما كان ينبغي لعالم مُحَدث جَهْبذ مثل ابن دحية الكلبي أن يشجع السلطان بهذا الكتاب على الاحتفال بالمولد النبوي، وينفخ في عقيرته بهذه البدعة، خاصة وأن المؤرخين وصفوا احتفال هذا السلطان بالمولد بأنه يسوده حضور آلات الغناء والمطربين، فيقبل الناس على هذه المظاهر المنكرة بشكل لم يسبقه إليه أحد من الملوك؛ فالخير كل الخير في اتباع مَن سلف، والشر كل الشر في ابتداع مَن خلف.

ومثل ذلك حصل للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه **مورد الصادي في مولد الهادي**، وانتصاره فيه لجواز الاحتفال بالمولد النبوي (٢).

وبالجملة فإن أمرا لم يعهده الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان لا فائدة منه في الدين، ولا ينبغي أن يلتفت إليه المؤمن أو يفرح به، إذ المقياس النص الشرعي وليس استحسان العقول القاصرة، حتى ولو كان بقصد المحبة والتعظيم، والعبرة بحال السلف، الذين هُم أولى بهذا التعظيم والمحبة لمولد النبي ﷺ ومع ذلك لم يفعلوه، فدل ذلك على أنه لا خير فيه، ولافَضْلَ يترتب على الحرص عليه.

يقول ابن تيمية:" وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبي ﷺ مع قيام المُقْتَضِي له وعدم المانع منه لو كان خيرا، ولو كان هذا خيرا مَحْضاً، أو راجحا لكان السلف ﷺ أحق به مِنَّا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في مُتَابَعَتِه وطاعته واتباع أمره". (٣)

---

(١) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية د.محمد بن شريفة ص:(٧٦ ـــ ٧٧).

(٢) الحاوي للفتاوى للسيوطي ١/ ٢٣٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦١٩.

• **موقفه من التصوف :**

شَهِـــــد عَصْرُ السَّخَاوي ذُيُوعَ الفِكْرِ الصوفي في العالم الإسلامي جَمِيعِـه بانتشار الأربطة والخوانق والزوايا، حيث يجتمع الصوفية للعبادة والذكر، والانقطاع عن الناس.(١) وكثرت المشاهد التي أُقيمت على قبور بعض مَن يُعتَقَد صَلاحُهُم، وقصــــدت للزيـــارة والتبرك بها، (٢) وعلا صوت الشرك والغلو في الصالحين والله المستعان.

ومِن أَسَفٍ أن اعْتِقَادَ وَحْدَة الوُجُود كان له حَظُّ الأسد من هذا الفكر الصـــوفي إذ قَبِلَ عدد من العلماء والأمراء القول به في الشام ومصر واليمن، وعظمت الفتنة بِكُـــتُب ابن العربي الحاتمي بعد أن كانت خَالِيَـــةً من هذا المعتقد القبيح، (٣) فقام علماء الســـنة مجاهدين بالقلم واللسان لِصَدِّ هذه العقيدة الوجودية، وبيان خطرها على دين الإســـلام؛ بالفتوى والتصنيف تارة، وبالمناظرة والبيان تارة أخرى، وكانت أحيانا تـــأخذ شَـــكْلَ المباهلة،(٤)وصبروا على ما نالهم في ذلك من الأذى والبلاء من المتعصبين لابـــن العـــربي الحاتمي، وباقي رؤوس الطائفة خاصة عندما يجدون مَنْ يـــُقَوِّيهم على ذلك بقوة السلطان الذي فُتِن بأفكارهم المنحرفة، إذ كانوا يرفعون الأمر إليه، ويُلَبِّسون عليه بادعاء وُجُود مَن ينتقص الصالحين والأولياء، فَيَهُب لهم بالانتصـــار في عـــدة مناســبات، ويُخْذَلــون في أخرى.(٥)

وقد اشتهر عدد من الحفاظ والعلماء بالدفاع عن اعتقاد السلف، وصَــــدِّ الهجـــوم العنيف الذي شَنَّـــه معتقدوا وحدة الوجود، وصنفت عدة مصنفات في الكشف عن حال

---

(١) انظر خطط المقريزي ٤/ ٢٧١ ــ ٣٠٦، إنباء الغمر ٨/ ١٤٤ وغيرها، السلوك للجَنَـــــــدي ٢/ ١١١ وما بعدها، خطط الشام ٦/ ١٣٠ ــ ١٥٥، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب (مجموعـة من الأبحاث نشرتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط عام ١٩٩٧م).

(٢) انظر خطط المقريزي ٤/ ٣٠٦ ــ ٣١٧.

(٣) تنبيه الغبـــي للبقاعي ص:(٢١)، القول المنبـــي للسخاوي ا/ ١٦أ ـــ ١٨ب.

(٤) انظر عن مباهلة ابن حجر لأحد الصوفية في ابن العربي الحاتمي الجواهر والـــدرر ٣/ ١٠٠١ ــ ١٠٠٢.

(٥) راجع ما حصل لابن حجر من ذلك الجواهر والدرر ٣/١٠٠١.

كلام ابن العربي الحاتمي وبيان أمره للناس.

وكان مِن بَيْنِ العلماء الذين انْبَرَوا لِصَدِّ هذا الفكر الاتحادي الحافظ السخاوي؛ فقد أولى الموضوع غَايَةً مِن الأهمية والاعتبار، مما دفعه إلى تصنيف ثلاثة كتب في ابن العربي الحاتمي كانت بِحَقٍّ الفَيصَلَ في بابها وهي كما قال: لا مزيد عليها.

وأَوَّلُ مُصَنَّفَاته في ذلك كتاب **القول المنبي عن ترجمة ابن العربي** تناول فيه شخصية ابن العربي الحاتمي بالبحث من عدة جوانب عقدية، رَكَّزَ فيه على الكشف عن موقف العلماء من القرن السابع إلى غاية بداية القرن العاشر الهجريين في استقصاء تاريخي فَرِيدٍ تَتَبَّع فيه آراء وفتاوى العلماء، وتصانيف أهل العلم من مختلف الفنون في رَدِّ اعتقاده المبثوث في الفتوحات والفصوص خاصة، والتصريح بتضمنه الكفر الصريح، والرد على مَن سلك مسلك التأويل لتبرئة جنابه، أو التوقف في الحكم على كلامه لما كان عليه ابن العربي من زُهْدٍ وعِبَادَة، إلى غير ذلك من القضايا التي تَعَرَّض لها في هذا الكتاب الحافل العظيم، ويأتي الكلام عنها عند دراسة الكتاب.

الثاني **الكِفَاية في طَرِيق الهِدَاية**[١] وهي كراسة نافعة اختصر فيها كتابه الحافل الضخم القول المُنْبِي أثناء كائنة الحليبي التي أوذي فيها البقاعي بسبب كلامه في ابن الفارض الشاعر الاتحادي؛[٢] وهي كراسة لطيفة مفيدة لمن أراد أن يقف على زُبْدَة مَقْصِدِه من مصنفه المختصَر، ولا يغني بحال عن الوقوف على الأصل لمن رام الإحَاطَةَ بمباحثه والاطلاعَ على دُرَرِه.

الثالث **تَجْرِيدُ أَسمَاءِ الآخِذِينَ عن ابن العربي**[٣] قصد به إفراد الذين أخذوا عن ابن العربي ورَوَوا عنه، أو تأثروا بكتبه وكلامه، وانتصروا لآرائه كما يظهر من كلامه عنه في مواضع متفرقة. [٤]

وكان مِن حِرْصِ السخاوي على بيان حال هذه الطائفة الاتحادية تنبيهه في ثنايا

---

(١) أقوم بتحقيقه على نسختين خطيتين يسر الله تمامه.

(٢) وجيز الكلام ٣/ ٩٤١.

(٣) الضوء اللامع ٨/ ١٧.

(٤) القول المنبي ل/ ٢٧ب.

تراجمه لعلماء عصره في كتبه على منتحلي هذا الاعتقاد، [1] وبيان خَطَئِهم باتباعهم هذا المذهب، وقد يُنَبِّه أحيانا على أقل من هذا؛ كذكره لميول أو تعاطف صاحب الترجمة مع كتب ابن العربي الحاتمي وطائفته دون وجود اعتقاد منه له.

وهكذا فإن اهتمام السخاوي بمناقشة آراء ابن العربي الحاتمي على ضوء المقرر من أصول الإسلام، ونصوص العلماء المعتبرين لم يكن أبدا وَلِيدَ هَوًى خاص به في التأليف، أو مبارزة مَن صَنَّف فيه قبله، بل هو نَابِعٌ من اعتقاد صحيح منه رحمه الله بخطر هذا المعتقد على الأمة، ووجوب التصدي لبيان حقيقته للناس ومن ثَمَّ التحذير منه.

وكان حرص السخاوي على رد هذا الاعتقاد الدخيل يصل مداه أحيانا عندما يدفعه صدق إيمانه إلى طلب المباهلة مع بعض هؤلاء الاتحادية. [2]

وقد خَلُص بهذه التصانيف في ابن العربي الحاتمي وطائفته إلى أن اعتقاد وحدة الوجود حادث في أمة الإسلام، وطارئ على فكرها ودينها، وهو أقرب إلى الفلسفة منه إلى السلوك والزهد في الإسلام، إذ هو خَلِيطٌ مِن أفكار الفلاسفة، ومغالطات السوفسطائية في إنكار الحقائق، بل إنه بعيد عن تصوف المتقدمين الذين سلكوا في طريقتهم مسلك الكتاب والسنة كما نقل السخاوي عددا كبيرا من نصوصهم في ذلك؛ أعني بهم طَبَقَة بِشْر الحافي، والحارث المُحَاسِبِي، والجُنَيد وأمثالهم مِن الذين أثنى على طريقتهم الحفاظ المتقنون، وهم وإن كانوا قد استعملوا بعض الاصطلاحات الحادثة في كلامهم للتعبير عن سلوكهم والتي لم تكن موجودة عند مَن تقدمهم مِن الصحابة والتابعين، إلا أنهم كانوا يصرحون بلزوم السنة في عبادتهم وزهدهم، وعدم الخروج عن طريقة الأوائل.

وبخلاف هذا طائفة الاتحادية الذين أحدثوا في الدين باسم التصوف فكرا جديدا، واعتقادا غريبا تحت شعار التصوف، مُؤَدَّاه تَنظِيرٌ فَلسَفِيٌّ مَحْضٌ يُرِيدُون إضفاء صورة الشرعية عليه بجعله مذهبا خاصا، وطريقا في تأويل النص الشرعي لا ينبغي إقصاؤه، وإنما محاولة فهمه ـــ زعموا ـــ والعياذ بالله.

كما حفظ لنا السخاوي نُصُوصاً جيدة في هذا الباب تَفُوقُ الوَصْفَ على أن المسلكَ

---

(١) راجع في ذلك على سبيل المثال الضوء اللامع ١/ ٢٥٧، ٢٨٢، ٩/ ١٨٩، ١٠/ ١٩٠ وغيرها كثير.

(٢) الجواهر والدرر ٣/ ١٠٠٢.

المرتضى عند علماء المسلمين، والحفاظ المتقنين، رَدٌّ هذا المعتقد القبيح وهـــي نصـــوص مفقودة من تراثنا، كتب الله حفظها في مصنفه الحافل القول المنبـــي، وهو بهذا له فضـــل الجمع والحفظ.

وبالجملة فقد كان موقف السخاوي من تصوف وحدة الوجود قَوياً ومَشـــهُوداً نَصَر فيه مذهب السنة والسلف، وطريقة الإسلام في رد هذا الاعتقاد الخطير على فكـــر الأمة، وبكتابه القَولُ المُنبـــي يكون قد حَلَّ إشكالاتٍ كَثِيرةً شغلت العلماء وقتا طويـــلا من الزمن عن فكر ابن العربي الحاتمي، إذ هو بحق موسوعة شاملة عن هـــذه الشـــخصية الصوفية لم يصنف مثلها عبر التاريخ، و لم يبلغ أحد من الحفاظ قبله شَأْوَه في الترجمة لهـــا، والكشف عن حالها.

وعن موقف السخاوي من بعض القضايا المتعلقة بالتصوف نجده عالما ملتزما بالســـنة وضوابط الأثر؛ ففي قضية الخوارق والمكاشفات التي يَدَّعيها كثير من الصوفيـــة لبعـــض الصالحين، فالكَشفُ أَصْلٌ للتشريع والعلم عندهم، لذا فقد اعتبر ذلك كله متوقفا علـــى ميزان السلف الكتاب والسنة، والاستقامة على طريقتهما، فما كان من هـــذه الخـــوارق موافقا لذلك قبلناه كرامة، وما كان مخالفا اعتبره وَارِداً شيطانيا لا يُعبأ به. (١)

وفي مسألة لُبس خرقة التصوف يرى السخاوي ضعف الأحاديث التي استدل بهـــا الصوفية على جواز الخرقة، وبنوا عليها أحكاما وأَدْوَارًا؛ من ذلك حديث أم خـــالد أن النبي ﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء فقال: **من ترون أكسو هذه فسكت القوم، فقـال رسول الله إيتُونِي بأم خالد قالت: فأُتيَ بِي، فألبسنيها بيده، وقال: أَبْلِي وأَخْلِقِي.**

وهو حديث ضعفه الحفاظ كابن دحية وابن الصلاح وابن حجر والسخاوي. (٢)

ولا يصح استدلال الصوفية بأن عليا عليه السلام ألبس الحسن البصري الخرقـــة، يقـــول السخاوي:" ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصـــري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة".(٣)

ولكننا نجد السخاوي مع إبطاله لخرقة التصوف قد لَبِسَها وأَلْبَسَها بعـــض طلبتـــه

---

(١) الجواهر والدرر ٣/ ٩٤٢.

(٢) المقاصد الحسنة ص:(٣٣١) ـــ الجواهر والدرر ٢/ ٩٤٠.

(٣) المقاصد الحسنة ص:(٣٣١).

اقتداءً ببعض الحفاظ الذين لبسوها قبله كالدمياطي والذهبي والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن وغيرهم. (١)

وتوجيه ذلك أن السخاوي مع هؤلاء الحفاظ الأجلاء الذين لبسوا الخرقة بنية حسنة؛ وهي الحرص على اتصال إسناد الرواية، وهذا ما جعل بعض العلماء كابن تيمية يعتبرها من جنس المباحات. أما ما يفعله الصوفية من لُبس الخرقة باتخاذها سنة وطريقة، وتعليق اعتقادات باطلة عليها، فهذا مما يتبرأ منه السخاوي وغيره من الحفاظ الذين لبسوها لقصد حسن.

فالخرقة إذا تُلبَسُ لِمَقَاصد وحُكمُها مُتَعَلِّقٌ بذلك المقصد الذي لُبست له، نَبَّه على هذا الحكم أكثر من واحد من أهل العلم. (٢)

وهكذا فقد كان للسخاوي دور بارز في مواجهة تصوف وحدة الوجود، وبيان حال ابن العربي الحاتمي، وتقبيح مذهبه ورده لبطلانه، مع مبالغته في الحط على من يعتقده، أو ينظر في نصوصه ومقالته، ويمقته لَفْظاً وخَطاً، ويرى التوقف في الرواية عنه، مع ابتهاله إلى الله بزوالهم. (٣)

وخلاصة القول في اعتقاد السخاوي أنه عالم محدث أثري في جملة مسائل الاعتقاد، وافق الأشاعرة في بعض قضايا الصفات دون سلوك منه لمنهجهم الكلامي وأصلهم العقلي، وفي مباحث توحيد الألوهية خالف السخاويُّ السَّلَفَ في تقرير بعض المسائل، إذ حصل منه تجويز للتوسل بذات النبي ﷺ بعد موته، وللتبرك بآثار الصالحين في حياتهم وبعد موتهم بقصد زيارتهم.

أما عن موقفه من البدع فإنه أنكر عددا من البدع المحدثة في عصره التزاما بالدليل الشرعي، ولكنه كان يخالف هذا المنهج أحيانا بتجويز بعض البدع.

وبالنسبة لموقفه من التصوف فقد أولى اهتماما كبيرا في رد الفكر الاتحادي، ومذهب وحدة الوجود بعد أن شاع هذا المذهب بين الناس في وقته، وفُتِن العلماء والأمراء بابن

---

(١) المصدر نفسه، الضوء اللامع ٨/ ٥، إرشاد الغاوي ل/ ٢١ب.

(٢) انظر تلبيس إبليس ص:(١٩١)، مجموع الفتاوى ١١/ ٥١١، كتاب بَدْءُ الفَلَقَة بِلُبْسِ الخِرْقَة لابن ناصر الدين ل/ ١ب [مخطوط بالجامعة الإسلامية].

(٣) الجواهر والدرر ٣/ ١٠٤٧ ــ ١٠٤٨.

العربي الحاتمي، فصنف عدة مؤلفات في بيان حاله، وتوضيح فساد اعتقاده، وبخاصة كتابه القول المنبـــي عن ترجمة ابن العربي الذي شَفَى بِهِ الغَلِيل، ودَاوَى بِهِ العَلِيل.

المبحث الخامس

تراثه العلمي ووفاته

♦ وفيه مطلبان:

• المطلب الأول: تراثه العلمي.

• المطلب الثاني: وفاته.

المطلب الأول

تراث السخاوي العلمي

مِنَ المُقَدِّماتِ البَدهِيَّاتِ التي لا تحتاج إلى نظر أو برهان عند أهل العلم والباحثين القولُ بأن الحافظ السخاوي من العلماء المكثرين في التصنيف والتأليف، ضاهى بذلك شيوخه وأساتذته، وفاق أصحابه وأقرانه.

فقد شرع السخاوي في التصنيف قبل سنة ٨٥٠هـ كما أخبر بذلك عن نفسه،[١] وهذا يعني أنه كتب أول مصنف له في علم الحديث وبالضبط في فن التخريج، وهو فيما يظهر "العِقدُ الثَّمِين في مَشْيَخَة خَطِيبِ المسلِمِين"، وقرظه له شيخه ابن حجر[٢] في ابتداء طلبه العلم، و لم يكن بلغ سِنَّ العشرين بَعدُ. [٣]

وكان لهذا الاتجاه منه إلى التصنيف في وقت مبكر من عمره أثر مهم في كثرة مصنفاته، إلى جانب مجموعة من العوامل أُجمِلُها في الآتي:

ـ إن عدم تقلد السخاوي لشيء من مناصب الدولة كالقضاء ونحوه، وتفرغه للتدريس سواء في مدارس القاهرة العلمية، أو أثناء مجاورته بالحرمين الشريفين، وَفَّرَ له ظروف التفرغ للتأليف إلى جانب مجالس الإملاء التي كان يعقدها بعد موت أستاذه ابن حجر والتي تتطلب قدرا من الاستعداد العلمي بالتحضير لها، مع اشتغاله بالفتوى.

ـ لم يكن يشغله كعادة علماء عصره الحضور إلى مجالس السلطان والمداومة عليها،

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ١٥.

(٢) الجواهر والدرر ٢/ ٧٤٢.

(٣) وَهِم الباحث محمد عبد الله عنان بظنه أن السخاوي بدأ التصنيف قبل الخمسين من عمره، عندما التبست عليه عبارة السخاوي قبل الخمسين، ومعلوم من منهج السخاوي في الضوء اللامع أنه لا يعطف ذكر ثمانمائة على السنة التي يفصح عنها، وثُوقاً منه بعدم الالتباس لكون القرن الذي صنف الكتاب في تراجمه هو التاسع.

انظر شمس الدين السخاوي لمحمد عبد الله عنان [مقال بمجلة الرسالة، مصر، عدد ١٠٣ ص:(١٠٤٦)].

باستثناء ما حصل منه مع السلطان قايتباي، إذ صنف له عدة كتب وأهداها له لَمَّا وَجَد منه اهتماما بالعلم والكتب، أما مع غيره فقد كان قليل التردد على هذه المجالس مما ساعده على التفرغ للكتابة والتأليف.

ـ شدة المنافسة بين علماء عصره دَعَتْهُ إلى الاكثار من التأليف، وقد علمنا ما كان بينه وبين عَصْرِيَّيْه البقاعي والسيوطي مِنَ المنافسة وهُمْ على درجةٍ من الاكثار في التصنيف، وسبق أن نبهت على المؤلفات التي أفرزتها هذه المنافسة بينهم عند الكلام عن علاقته مع أقرانه.

ـ كثرة شيوخ السخاوي الذين أخذ عنهم واهتمامه بالرحلة للسماع والرواية جعله يتفنن بالتصنيف في فن التراجم والمشيخات، سواء ما كان منه مفردا **كالجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، أو ما خَرَّجه لبعض شيوخه في الرواية من مشيخات جمعها لهم منها، **القُربي في مَشْيَخَة العُقْبي** (٨٦١هـ)، **وبُغيَةُ الرَّاوي بِمَن أَخَذَ عنه السخاوي**، وهو بذلك شديد الوفاء لشيوخه وأساتذته، مُفْتخِرٌ بالرواية عنهم.

وفيما يخص رحلاته فقد صنف **الرِّحْلَة السَّكَندَرية**، **والرِّحْلَة الحَلَبِيَّة**، **والثَّبَتُ المصري** وغير ذلك مما جمع فيه أخباره مع شيوخه والأجزاء والأثبات التي تحملها عنهم.

ومن حيث العَدَدُ والكَمُّ فإن مصنفات السخاوي تميزت بعدة خصائص:

ـ كان يشرع في تأليف بعضها ولا يُكْمِلُه، ثم ينتقل إلى غيره وهي صفة كانت في أستاذه ابن حجر. (١)

ـ تصانيفه منها ما يقع في مجلدات وأجزاء وكراريس، وبعضها إجابات عن أسئلة واستفتاءات، أو نكت وفوائد حول مسألة تَطَلَّبَت منه الكتابة والتقييد.

ـ منها ما يُعَدُّ مُبْتَكَراً في بابه، ومنها الشروح والمختصرات، والتخريجات، ومنها الردود والتعليقات والملتقطات.

ـ يُعَنْوِنُ بعض تصانيفه بأكثر من عنوان كما حصل مع كتابه إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي.

وقد شَهِدَت مُؤَلَّفَاته ذُيُوعاً وانتشارا واسعين، وكانت تشكل أغلب الكتب التي يحرص أهل العلم في وقته على قراءتها عليه سواء أثناء مجاورته بالحرمين، أو إِبَّانَ تَدرِيسِهِ بالقاهرة.

---

(١) الجواهر والدرر ٢/ ٦٩٦.

• آراء معاصريه في مصنفاته:

اقتدى السخاوي بشيخه ابن حَجَر في عدم المُجَاملة عند سرد الحقائق سواءً تَعَلَّق الأمر بالأشخاص المُتَرجَم لهم، أو بالحوادث والحقائق التي يسردها ويُبَيِّنها، وقد جَرَّت عليه هذه الصراحة مُعَارَضَةً قَوِيةً من عصرييه خاصة بعد تصنيفه لكتابه العظيم في تراجم أعيان القرن الثامن الضوء اللامع.

ومن العلماء الذين عارضوه في مصنفاته بشدة معاصره السيوطي حينما اعتبرها سَلْقاً لأعراض الناس، وافتراء عليهم. (١)

والحق أن السخاوي لم يكن يَعْشَقُ سَلْخَ أعراض الناس في كل مناسبة تُتَاح له كما ادَّعَى السيوطي، بل لذلك كُلِّه أَسْبَابٌ بعضها محمود ويشكر له عندما يتعرض لأعيان صوفية وحدة الوجود بالتحذير والتنبيه على غلوهم في حب ابن العربي الحاتمي والاقتداء به، أو غَمْزِ مَن وَلَع باقتناء كتب هذه الطائفة لاستحسان ما فيها، وقراءتها على النلس في البيوت والمدارس، فإن هذا الصنيع منه في الكلام عن علماء وأعيان مَن اعتنق هذا المذهب ـــ كما أسلفت ـــ يُشْكَر ولا يُكْفَر، إذ النصح في الدين واجب.

أما ما اعتُبِر مِن صَنِيعِ السخاوي مذموما؛ فهو ما صدر عنه من نَقْدٍ لأحوال خاصة بالمترجم لا علاقة لها بالعلم أو الشرع، وإنما هي من نقائص البشر التي لا يسلم منها مخلوق، فكان ينبغي له تركه.

وقد أحسن السخاوي رحمه الله باستدلاله لهذا المعنى بمقولة سعيد ابن المسيب: "إنه ليس من شريف ولا عالم، ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن مِنَ الناس مَنْ لا ينبغي أن تُذكَرَ عُيُوبُه، فمن كان فَضلُه أكثر مِن نَقصِهِ وُهِب نَقصُه لِفَضلِه". (٢)

ولقد خالف السيوطي رأي العلماء المتقنين، والحفاظ المجيدين في مصنفات السخاوي، إذ أثنوا عليها وقرظوها، وبالغوا في وصف محاسنها، فقد قرظ ابن حجر للسخاوي أول مصنف ألفه في ابتداء طلبه العلم وقال فيه: "وقفت على هذا التخريج الفائق، وعرفت مَنَّ الله على عباده بأن ألحق الأخير بالسابق، ولولا ما أفرط فيه من

(١) انظر نظم العقيان ص:(١٥٢)، الكاوي في تاريخ السخاوي ٢/ ٩٤٤ (ضمن مقامات السيوطي).

(٢) التبر المسبوك ص:(٤).

الإطراء فِيَّ لما عاقني عن الثناء عليه عائق، والله المسؤول أن يعينه على الوصول إلى الحصول حتى يَتَعَجَّب السَّابِقُ من اللاحق".(١)

ووصفه الزين قاسم الحنفي من علماء عصره بقوله: "وقد كان هذا المصنف بالرتبة في حياة حافظ العصر وأستاذ الزمان حتى شافهني ـ أي ابن حجر ـ بأنه أنبه طلبتي الآن".(٢)

وقال أيضا: "حتى كان يُنَوِّه بذكره ويُعْرَفُ بِعَلِيِّ فَخْرِه، ويرجحه على سائر جماعته المنسوبين إلى الحديث وصناعته".(٣)

كما وَصَفَه الحافظ التقي ابن فهد الهاشمي: "زين الحفاظ، وعمدة الأئمة الأيقاظ، شمس الدنيا والدين، ممن اعتنى بخدمة سيد المرسلين، واشتهر بذلك في العالمين، على طريقة أهل الدين والتقوى، فبلغ فيه الغاية القصوى".(٤)

وأكد ذلك ابنه الحافظ النجم ابن فهد بقوله: "وهو والله بَقِيَّةُ مَنْ رأيت من المشايخ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية، والبلاد المصرية، وسائر بلاد الإسلام عيال عليه، ووالله ما أعلم في الوجود له نظير".(٥)

واعترف البرهان البقاعي ـ رغم المنازعة بينهم ـ بهذه الحقيقة فقال: "إذا وافقني فلان لا يضرني مَن خالفني".(٦) في آخرين منهم العلم البلقيني، والتقي الحصني، والبدر العيني، والتقي الشمني، والمحيوي الكافياجي وغيرهم. (٧)

---

(١) الجواهر والدرر ٢/ ٧٤٢.

(٢) الضوء اللامع ٨/ ٢٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه ٨/ ٢١.

(٧) المصدر نفسه ٨/ ٢١ ـ ٢٦.

- **عِدَّةُ كُــتُب السَّخَاوي:**

لم تهتم المصادر القديمة التي ترجمت للسخاوي بإحصاء مُصَنَّفَاته وتَتَبُّعِــها، وإنمــا اكتفت بالإشارة إلى نماذج منها لا تُشَكِّل شيئا يذكر في عِدَّة تراثه، ويــبقى ما سَـــطَّرَه يَرَاعُه في ترجمته الحافلة لنفسه إرشاد الغاوي، وما ضمنه الضوء اللامـــع مِـــن ترجمته المختصرة المصدر الأول في إحصائها، إضافة إلى ما وَرَدَ من إشَارَات مُتَفَرِّقَــــةٍ في عـــدة مواضع من كُــتُبه؛ حيث نجد عناوين لكتب لم يثبتها في ترجمته لنفسه لكونها جــاءت متأخرة عنها في التأليف، وقد اعتمدت ترجمته أصلا لي في إحصاء تراثه.

وقد ذكر ابنُ غَازِي بأن السخاوي صَنَّفَ كُرَّاسَةً أَوْدَعَ فيها أسماء مصنفاته[١] على غرار صنيع شيخه ابن حجر؛[٢] لكننا لا نعلم عن هذه الكراسة شيئا غـــير ذكرهـا في المصادر. [٣]

و لم يهتم عَصرِيُّهُ السيوطي بذكر مصنفات السخاوي مع كونه وقف على الكثـــير منها أثناء تردده عليه قبل فساد العلاقة بينهما. [٤]

واجتهد بعض الباحثين المعاصرين في حصر مصنفاته فقاربوا بمجمـــوع جـــهودهم الصواب، حيث كان البعض يُكَمِّل الآخر، و لم يتمكن أَحَدٌ مِن هذه الدراسات حـــول شخصية السخاوي مِن اسْتِيفَاء حصر عِدَّة تراثه.

فعدد الكتاني ما يَنِيفُ على أربعمائة مجلد للسخاوي نقلا عن ابن روزبهان في شـــرح الشمائل للترمذي، [٥] وهو عَدَدٌ إذا نظرنا إلى ما ذكره السخاوي عن مؤلفاته في إرشــاد الغاوي، والضوء اللامع لا يــبلغ هذا المقدار، إذ بَلَغَ عَدَدُ المصنفات التي ذكرها في الضوء اللامع ما يقرب من ١٩٢ عنوان في حين وصلت في إرشاد الغاوي إلى نحو ٢١٠ عنوان.

وعَدَّدَ البغدادي ١٢٧ مصنف وأورد قائمة بها، وفي بعضها نظر من حيـــث الجـــزم

---

(١) فهرس ابن غازي ص:(١٤٨).

(٢) الجواهر والدرر ٢/ ٦٦٠.

(٣) فهرس الفهارس ٢/ ٥٨٤.

(٤) الضوء اللامع ٤/ ٦٦.

(٥) فهرس الفهارس ٢/ ٩٨٩.

بثبوتها. [1]

وذكر الزِّركلي زهاء ٢٠٠ عنوان، وأشار إلى قائمة ببعضها. [2]

وكانت الدِّرَاسَةُ الإحصائية التي أنجزها الباحث مشهور سلمان عن تراث السخاوي بعنوان "مؤلفات السخاوي" قد وَصَلَت عِدَّتُها إلى ٢٧٠ عنوان اهتم فيها بذكر عنوان الكتاب ومصدره، مع الإشارة إلى نُسَخِه الخطية التي اهتدى إليها؛ وهي دراسة جيدة لتراث السخاوي، لكنها لا تسلم من نظر وتعقبات ظهرت لي أجملتها في الآتي:

ـ لم يعتمد على ترجمة السخاوي الحافلة لنفسه إرشاد الغاوي مما أفقده الوقوف على بعض مصنفاته، وقد استدركت على قائمته عشرين عنوانا لم ترد عنده ضمن قائمته، نَبَّهتُ عليها في موضعها.

ـ أدخل ضمن قائمته إجَازَاتِ السخاوي الخطية لتلاميذه برواية مروياته، وبعضها في ورقات؛ وهي في نظري أقرب ما تكون مكاتبات، خَاصةً عندما لا تتضمن مناقشات علمية أو إضافات تجعلنا نَعُدُّها ضمن مصنفاته، علما بأن الإجازة إذن بالرواية تكون مشافهة، كما تحصل مكاتبة.

ـ جزم بنسبة بعض المصنفات للسخاوي وفي ذلك نظر من أحد وجهين:

١ ـ إما لكونها من الكتب التي عزم السخاوي على تأليفها، ولا شيء يدل على أنه أنجز ذلك، والأصل في الشيء العدم حتى يثبت، هذا مع كون كلام السخاوي نفسه عنها لا يفيد شيئا من ذلك، كما لم ترد الإشارة إليها ضمن قائمة مصنفاته في ترجمته، ومثال هذا كتاب **اختصار خطط المقريزي**.[3] قال السخاوي أثناء ترجمة يوسف بن بردي الأتابكي: " والتمس مني اختصار الخطط للمقريزي".[4]

٢ ـ أو أن عبارة السخاوي لا تُسْعِفُ في أن يُفهَم منها بأنه مُصَنَّفٌ له، ومن ذلك

---

(١) هدية العارفين ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢١.

(٢) الأعلام ٦/ ١٩٤.

(٣) مؤلفات السخاوي ص:(٣٤).

(٤) الضوء اللامع ١٠/ ٣٠٨.

ترجمة البدر الدماميني، وترجمة العلاء البخاري.[1]

فقد اعتمد على عبارة السخاوي "وأثبت له من جملتها ترجمة البدر الدماميني لسؤاله في ذلك".[2] وهو نَصٌّ لا يُفْهَم منه أنه مصنف خاص، وإنما هو مما تضمنته إجازته الهائلة التي كتبها لتلميذه راجح بن داود، وفَصلٌ مِن فُصُوله، وتقع في ثلاثة كراريس.

ومِثْلُ ذلك يـُقَال عن **ترجمة العلاء البخاري**، و**ثبت الدمياطي**[3] فإن نص السخاوي في الضوء لا يفهم منه أنه مصنف مستقل، وإنما شيء طلب منه شيخه أن ينسخه.[4]

وأختم بدراسة الدكتور بدر العماش الذي ذكر بأنه وقف على ٤٠ عنوانا زائدا عما ذكره السخاوي لنفسه في إرشاد الغاوي وهو كما سلف ٢١٠ مصنفا.

وقد امتازت هذه الدراسة في جانبها الإحصائي لتراث السخاوي بالبحث البيبليوغرافي الوصفي أكثر من المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يكشف عن منهج السخاوي في التأليف والبحث. وفَاتَه من مؤلفات السخاوي ١٦ عنوانا ليست عنده، مَعَ وُقُوعه في أحيان قليلة جدا في الخلط بين عنوانين هما في الأصل لكتاب واحد، من ذلك ما حصل له من الخلط بين كتاب **الثبت المصري**، وبين **تراجم شيوخه الذين اجتمع بهم**، وبيان ذلك كالآتي:

ـ بالرجوع إلى مقدمة كل من الكتابين نجدها مقدمة واحدة وهي قوله: "فإن بعض الأصحاب سألني أن أكتب له تراجم الشيوخ الذين اجتمعت بهم في رحلتي إلى البلاد المصرية والشامية".

ـ لم يذكر السخاوي ضمن ترجمته عنوان "تراجم شيوخه الذين أخذ عنهم" بينما نَصَّ على عنوان "الثبت المصري".

شكل هذه المعطيات تُرَجِّح أنها نسخ لكتاب واحد وهو "الثبت المصري"، ولعل الذي قَوَّى الإشكال على الباحث العماش كون النسخة الكائنة بالجامعة الإسلامية معنونة

---

(١) مؤلفات السخاوي ص:(٧٢ ـ ٧٣).

(٢) الضوء اللامع ٣/ ٢٢٢.

(٣) مؤلفات السخاوي ص:(٧٨).

(٤) الضوء اللامع ٣/ ١٨٨.

بأسانيد السخاوي، وهي في الغالب خطأ من المفهرس.

ووهم الدكتور العماش في نسبة مؤلف خطأ إلى السخاوي؛ وهو كتاب **تكملة ضم المسند المعتلي إلى إتحاف المهرة** لاعتماده على نَصِّ السخاوي أثناء حديثه عن كتاب **إتحاف المهرة** لابن حجر وهو: "وقد كمل هذا الكتاب في ستة مجلدات ضخمة تجيء في ثمانية أسفار بُيِّضَ اليسير منه من أوائله في حياة مؤلفه، وأُلحق فيما بُيِّض منه أطراف مسند أحمد من كتابه في ذلك لكونه ما أدخله أولا فيها، ثم استوفيت تبييضه ولله الحمد بعد موته".(1)

ويظهر من سياق كلامه أن الذي ضم أطراف المسند المعتلي إلى إتحاف المهرة هو ابن حجر، وأن السخاوي إنما بيضه بعد موت شيخه، ولم يكن مؤلفا له والله أعلم.

وخلاصة القول فإن دراسة الدكتور العماش الإحصائية عن تراث السخاوي، وبحث الباحثين مشهور سلمان، وأحمد الشقيرات يعتبران أفضل ما وقفت عليه فيما يتعلق بتراث السخاوي من جهة الحصر العددي، وقد استفدت منهما في هذا الجانب، ووجود بعض الاستدراكات عليهم هو من باب النقص البشري الذي لا يسلم منه أحد من بني آدم، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه.

---

(1) الجواهر والدرر ٢/ ٦٧٢.

• منهجـــي في سرد مؤلفاتـــه:

_ التزمت في ترتيب مؤلفات السخاوي التقسيم الذي جعله لها أثناء ترجمتـــه عندمـــا صنفها أربعة أصناف وهي:

١_ التخاريج.

٢_ الحديث وعلومه.

٣_ التاريخ والتراجم.

٤_ أبواب ومسائل متفرقة.

هذا وقد تتداخل موضوعات بعض المصنفات مع بعضها.

_ أذكر اسم الكتاب مع بيان نسبته إلى السخاوي واعتمدت في ذلك علـــى إرشـــاد الغاوي، وترجمته في الضوء اللامع، أو ما يشير إليه في مصنفاته الأخرى، و لم أهتم بتوثيقها من باقي المصادر التي ترجمت له غيره؛ لاعتبار ثبوتها بما ينص نفسه عليه وفي ذلك الغُنيَة.

_ إذا وقفت على موضع نسخ الكتاب الخطية نبهت عليها، وإذا كان مطبوعا بينـــت نشرته.

_ لم أُثبِت المصنفات التي ذكر أنه يعزم على تأليفها، ولا دليل على حصول ذلك منه.

_ رَقَّمتُ مصنفات السخاوي ترقيما تَسَلْسُلِياً واحدا.

- **مصنفاته في التخريج والمرويات.**

١ــ أسانيد الكتب الستة والموطأ وغيرها. [١]

ذكر فيه أسانيده إلى الكتب الستة والموطأ وغيرها رواية عن شيوخه.

٢ــ بغية الراوي بمن أخذ عنه السخاوي.

ذكره في الضوء اللامع ووصفه بأنه: "تراجم شيوخه على حروف المعجم ثلاثة مجلدات".[٢] ونبه على رغبته في انتقائه، واختصاره لقلة الهمم وقصورها. وفي إرشاد الغاوي[٣].

٣ــ التذكرة. [٤]

٤ــ الثبت المصري. [٥]

٥ــ الرحلة السكندرية وتراجمها. [٦]

٦ــ الرحلة المكية. [٧]

٧ــ فهرست مروياته. [٨]

---

(١) منه نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية برقم: ٤٤٤١ميكروفلم، تقع في ١٤ق.
وأخرى في شستربتي ضمن مجموع برقم: ٣٦٦٤ ضمن مجموع من ١٠٤ ــ ١١٧ق.

(٢) الضوء اللامع ٨/ ١٧.

(٣) إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.
وللكتاب نسخة بالأحمدية بحلب ضمن مجموع ١/ ٧٥، وأخرى مصورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم: (٨٦٧).

(٤) الضوء اللامع ٨/ ١٦ وقال: "في مجلدات"، إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٥) ذكره في الضوء اللامع ٨/ ١٦ وقال: "في ثلاثة مجلدات"، وفي إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.
منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم: ١٩١٧ تاريخ، جاء في مقدمته: "فإن بعض الأصحاب سألني أن أكتب له تراجم الشيوخ الذين اجتمعت بهم في رحلتي إلى البلاد المصرية والشامية، وسمعت منهم وأجازوا لي الرواية عنهم، وتكرر السؤال منه لي في ذلك فاعتذرت مرات فلم يقبل، فامتثلت أمره، وأجبته إلى سؤاله والله تعالى ولي التوفيق" (ل/ ٣ أ).
وأخرى برواق الشام برقم: ٤٨ بالأزهرية. و يظهر أن الكتاب لم يصل كاملا وإنما وصل جزء منه.

(٦) الضوء اللامع ٨/ ١٦، ٩/ ٧٤، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٧) الضوء اللامع ٨/ ١٦، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٨) الضوء اللامع ٨/ ١٦وقال: "وهو وإن بُيِّضَ يكون من ثلاثة أسفار ضخمة، شرع في اختصاره وتلخيصه بحيث يكون على الثلث منه"، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

٨ــ مختصر فهرست مروياته.[١]

٩ــ الأحاديث البلدانيات.[٢]

١٠ــ الأحاديث المتباينة المتون والأسانيد.[٣]

١١ــ التحفة المنيفة فيما وقع لي من حديث الإمام أبي حنيفة.[٤]

١٢ــ الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة.[٥]

١٣ــ عشاريات الشيوخ.[٦]

١٤ــ أحاديث مسلسلات.[٧]

١٥ــ الأربعون للأمين الأقصرائي.[٨]

١٦ــ الأربعون لبدر الدين ابن الحافظ ابن حجر.[٩]

١٧ــ الأربعون لزوجة الحافظ ابن حجر.[١٠]

١٨ــ الأربعون لتقي الدين القلقشندي.[١١]

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ١٦، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٥وقال: "الأحاديث البلدانيات.... في مجلد ترجم فيه الأماكن مع ترتيبها على حروف المعجم مخرجا في كل مكان حديثا"، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

• ومنه نسخة في شستربتي برقم ١/٣٦٦٤ ضمن مجموع (١ ــ ٣٨) تقع في ٤٠ق بخط تلميذه أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الشافعي، ذكر في الكتاب ثمانين بلدا مرتبة على حروف المعجم، بحيث يتكلم عن كل بلد بضبط اسمه، وتحديد موقعه، وبيان فضله...

(٣) الضوء اللامع ٨/١٥وقال: في مجلد كبير. وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

منه نسخة في شستربتي ضمن مجموع (٣٩ ــ ٩٣) بخط أبي بكر بن الحيشي بمكة المكرمة سنة ٨٨٦هــ، وأخرى بحيدرآباد في ٧٢ق.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٥قال: "خرجت لها أربعين حديثا عن أربعين شيخا قرأتها عليها بحضوره ــ أي ابن حجر ــ أيضا وحملت عنه"، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

١٩ـــ الأربعون لزين الدين ابن مزهر. [1]

٢٠ـــ الأربعون لشرف الدين المناوي. [2]

٢١ـــ الأربعون لمحب الدين ابن الأشقر الحنفي. [3]

٢٢ـــ الأربعون لمحب الدين ابن الشحنة. [4]

٢٣ـــ الأربعون لكمال الدين ابن الهمام. [5]

٢٤ـــ ثبت الوالد. [6]

٢٥ـــ العقد الثمين في مشيخة خطيب المسلمين الرشيدي. [7]

٢٦ـــ الفتح القُرْبي في مشيخة العُقْبِي. [8]

٢٧ـــ فهرست لفخر الدين الأسيوطي. [9]

٢٨ـــ فهرست لأمين الدين الأقصرائي. [10]

٢٩ـــ فهرست لعلم الدين البلقيـــنـــي. [11]

٣٠ـــ فهرست للحسام ابن حريز. [12]

٣١ـــ فهرست لزين الدين ابن مزهر. [13]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس برقم: ٦٦٦٢، تقع في ٧ق.

(٦) إرشاد الغاوي ل/٧٩ أ ووصفه بأنه يقع في أجزاء.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٥، ٢/٢١٢، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٥، ١٠/٢٤، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٢) الضوء اللامع ٨/١٥، ٧/١٩٢، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٣) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

٣٢ــ فهرست زكريا الأنصاري. [١]

٣٣ــ فهرست العبادي. [٢]

٣٤ــ فهرست المحب الفاقوسي. [٣]

٣٥ــ فهرست للزين الفاقوسي. [٤]

٣٦ــ فهرست لشمس الدين القرافي. [٥]

٣٧ــ فهرست لمحب الدين القِمَّنـــي. [٦]

٣٨ــ فهرست لابن إمام الكاملية. [٧]

٣٩ــ فهرست للملتوتي. [٨]

٤٠ــ فهرست للمُنَاوي. [٩]

٤١ــ فهرست لابنة الهورينـــي. [١٠]

٤٢ــ فهرست لابن يعقوب. [١١]

٤٣ــ مشيخة ابن أخي التقي القلقشندي. [١٢]

٤٤ــ فهرست لهاجر المقدسية أو مشيخة المكثرة أم الفضل هاجر المقدسي. [١٣]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

منه مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم: ١٧٨١ تاريخ، وأخرى بجامعة الإمام بالريـــاض برقـــم: ٢/٢٩٥٤ ضمن مجموع (١٤ ــ ٤٧) تقع في ٣٣ق.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(١٢) وجيز الكلام ٣/٧٥٤.

(١٣) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

منه نسخة في المحمودية برقم: ١٧٨١ مجاميع تقع في ٤٦ق.

٤٥ـ مائة حديث عن مائة شيخ للعلم البلقيني. [١]

٤٦، ٤٧ـ مشيخة التقي الشمني الكبرى، والصغرى[٢].

٤٨ـ معجم لتغري بردي القادري. [٣]

٤٩ـ معجم لشمس الدين الأمشاطي. [٤]

٥٠ـ معجم لابن السيد عفيف الدين. [٥]

٥١ـ معجم لحفيد يوسف العجمي. [٦]

٥٢ـ الأمالي المطلقة. [٧]

٥٣ـ مشيخة ابنه أحمد. [٨]

٥٤ـ البغية في تخريج أحاديث الغنية المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني. [٩]

٥٥ـ تخريج أحاديث العادلين لأبي نعيم الأصفهاني. [١٠]

٥٦ـ تخريج الأربعين الصوفية. [١١]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٥، وإرشاد الغاوي ل/٧٨ب.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ وقال: إنه في مجلد.

(٨) الضوء اللامع ٢/١٢٠.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

وقد طبع الكتاب بتحقيق مشهور سلمان عن دار عمار الأردن، وعن دار البشائر الإسلامية بيروت على نسخة خطية مصورة من جامعة ييل بالولايات الأمريكية برقم: ٢٣٤ مجموعة لاندبيرج كتب عنوانها بخط السخاوي نفسه.

وللكتاب نسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس برقم: ٤٢٧٧ تقع في ١٤ق.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

وقد طبع الكتاب بتحقيق علي حسن عبد الحميد الحلبي عن دار المكتب الإسلامي (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، وعن دار عمار الأردن. على نسخة خطية من جامعة ييل بالولايات الأمريكية برقم: ٢٣٤ مجموعة لاندبيرج.

٥٧ــ فتح المعين بتخريج تصنيف النووي "الأربعين".[١]

٥٨ــ القول البار في تكملة تخريج الأذكار.[٢]

٥٩ــ المقاصد الحسنة في بيان كثيــر من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.[٣]

٦٠ــ الإيضاح المرشد من الغي في الكلام على حديث "حُبِّبَ مِن دُنْيَاكُم إِلَيَّ".[٤]

٦١ــ تحرير المقال في الكلام على حديث "كُل أَمْرٍ ذي بَال".[٥]

٦٢ــ تخريج حديث "إن الله لا يَقْبضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً".[٦]

٦٣ــ جزء في حديث "إذا انْتَصَف شَعبَانُ فلا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَان".[٧]

٦٤ــ جزء في حديث "إذا قُلتَ لِصَاحِبك يوم الجمعة أَنْصِت والإمام يَخطُبُ فقــد لَغَوْتَ".[٨]

٦٥ــ جزء في طرق حديث "تَزَوَّجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مُكَاثِرٌ بِكُم الأمَــمَ يَــومَ القِيَامَة".[٩]

٦٦ــ جزء في "تَلْقِين الميت بعد دَفْنِه".[١٠]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩أ.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٧. وقد طبع الكتاب عن مكتبة الخانجي (١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) بتحقيق عبد الله بن الصديق الغماري، وعبد الوهاب عبد اللطيف.

وللكتاب عدة نسخ أخرى في العالم انظرها في الفهرس الشامل (٣/١٥٥١ ــ ١٥٥٣).

(٤) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طبع الكتاب ضمن الأجوبة المرضية ١/ ١٨٩ ــ ٢٠٣.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٧) المقاصد الحسنة ص:(٣٥) قال: وقد أفردت فيه جُزْءا.

(٨) المقاصد الحسنة ص:(٤٢) وقال: وبسطت هذا كله في جزء، وقد طُبِع له جَوَابٌ حول الحديث ضمن الأجوبة المرضية ١/١٥٩ ــ ١٦٥، فلعله نفس الجزء.

(٩) المقاصد الحسنة ص:(١٦٥) قال: وقد جمعت طرقه في جزء.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية ١/ ٣٥٦ ــ ٣٦٢ جواب له عن سؤال مُوَجَّهٍ إليــه حــول هــذا الحديث فلعله نفس الجزء.

(١٠) المقاصد الحسنة ص:(١٦٣) قال: وأفردت في الكلام عليه جزءا.

٦٧ــ جزء في حديث "ثلاث لا يُعَادُ صَاحِبُهُن: الرَّمَد، وصَاحِب الضِّرْسِ، وصاحب الدُّمَّل ".[١]

٦٨ــ جزء في حديث "سَيِّدُ الإدَامِ اللَّحْمُ".[٢]

٦٩ــ جزء في حديث عبد الله بن سلام في قدوم النبي ﷺ المدينة.[٣]

٧٠ــ جزء في حديث "عليكم بألبان البقر وسمنانها، وإياكم ولحومها، فإن ألبانها وسمنانها دواء وشفاء، ولحومها داء".[٤]

٧١ــ جزء في حديث "كُلُّ مَولُودٍ يُولَد على الفِطْرَة".[٥]

٧٢ــ جزء في حديث "لَو كان لابن آدَمَ وَادِيَان مِن مَالٍ لابْتَغَى إليهما ثَالِثاً".[٦]

٧٣ــ جزء في حديث "لا يَدخُلُ الجَنَّةَ وَلَدُ زَانِيَة".[٧]

٧٤ــ جزء في حديث "مَنْ آذَى ذمِّياً فَأَنَا خَصْمُه".[٨]

٧٥ــ جزء في حديث "مَنْ بَاعَ دَاراً أو عَقَّاراً و لم يجعل ثَمَنَه في نَظِيره فَجَدِيرٌ ألا يُبَارَكَ لَه فِيه".[٩]

---

(١) أشار إليه في المقاصد الحسنة ص:(١٦٨) وقال: كما أوضحته مع غيره في جزء أفردته لهذا الحديث.

(٢) إرشاد الغاوي ل/١٩ أ، ونبه عليه في المقاصد الحسنة ص:(٢٤٥) وقال: وقد أفردت فيه جزءا.

(٣) نبه عليه في ذيل رفع الإصر ص:(٣٨١) وقال: "وقد كتبت على هذا الحديث لذلك جزءا".

(٤) ذكره في المقاصد الحسنة ص:(٣٩٠) وقال: وقد كتبت فيه جزءا.

منه نسخة في الظاهرية ضمن مجموع برقم: ٤٦٦٩ عام.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية له ١/ ٢١ ــ ٢٥ فتوى حول طرق هذا الحديث.

(٥) إرشاد الغاوي ل/١٠ب.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية ٦٨١/٢ ــ ٦٩٤ جواب له عن طرق هذا الحديث.

(٦) نبه عليه في المقاصد ص:(٣٤٨) وقال: وفي الباب عن جماعة بينتها في جزء.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية ١٧٧/١ ــ ١٨٨ فتوى له في طرق هذا الحديث.

(٧) أشار إليه في المقاصد الحسنة ص:(٤٧٠) وقال: كما بينت ذلك في جزء مفرد.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية ٩٦/٨ ــ ٩٩ فتوى له في طرق هذا الحديث.

(٨) نبه عليه في المقاصد الحسنة ص:(٣٩٣) وقال: وله شواهد بينتها في جزء أفردته لهذا الحديث أيضا.

وقد طبع ضمن الأجوبة المرضية ٤٣٥/٢ ــ ٤٣٧ فتوى له حول طرق هذا الحديث.

(٩) نبه عليه في المقاصد الحسنة ص:(٤٠٤) وقال: وقد كتبت فيه جزءا.

وطبع الكتاب ضمن الأجوبة المرضية ٢٦٤/١ ــ ٢٦٨ جوابا له حول هذا الحديث.

٧٦ـــ جزء في حديث "نِيَّةُ المؤمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِه".[١]

٧٧ـــ الجَوَابُ الذي انْضَبَط عَنْ "لا تَكُنْ حُلْواً فَتُسْتَرَط".[٢]

٧٨ـــ الكلام على حديث "إن الله يَكْرَهُ الحَبْرَ السَّمِين".[٣]

٧٩ـــ الكلام على حديث "تُنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ على المَيِّتِ المُعَظَّم".[٤]

٨٠ـــ الكلام على حديث الخاتم.[٥]

٨١ـــ الكلام على حديث "كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا".[٦]

٨٢ـــ الكلام على حديث "المُنْبَتُّ لا أَرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أَبْقَى".[٧]

٨٣ـــ جزء في الرد على المجد الشيرازي في كتابه الاغتباط.[٨]

٨٤ـــ جزء في طرق حديث "أَكْرِمُوا الخُبْزَ".[٩]

٨٥ـــ جزء في إحياء أبوي النبـــي ﷺ حتى آمَنَا به.[١٠]

---

(١) ذكره في المقاصد الحسنة ص:(٤٥٠) وقال: وقد أفردت فيه وفي معناه جزءا.

وطبع ضمن الأجوبة المرضية ١/٣٤٥ ـــ ٣٥٢ جوابا له حول طرق هذا الحديث.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طُبِع بتحقيـــق مشـــهور ســـلمان وأبي حذيفـــة الشـــقيرات عـــن دار التوحيـــد بالريـــاض ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م، اعتمد فيه نسخة مصورة من جامعة ييل بالولايات الأمريكية بخط الحـــافظ ابن فهد الهاشمي.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨،وإرشاد الغاوي ل/٨١ أ، ٦٥أ.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٩،وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٩،وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

و قد طُبِع ضمن الأجوبة المرضية ١/١٠ ـــ ١٥ جوابا له عن طرق هذا الحديث.

(٨) القول المنبـــي ص: (٥٤)، الضوء اللامع ١١/٧٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٩) نَبَّه عليه في المقاصد الحسنة ص:(٧٨) وقال: أوردته واضحا معللا في جزء مفرد.

وقد طبع ضمن الأجوبة ٢/٤٨٩ ـــ ٥٠٢ في جواب له عن طرق هذا الحديث.

(١٠) نبه عليه في المقاصد الحسنة ص: (٢٥) وقال: وقد كتبت فيه جزءا، والذي أراه الكَفّ عـــن التعرض لهذا إثباتاً ونفيا.

٨٦ـ جزء في قص الأظفار. [١]

٨٧ـ جزء فيه من حديث السخاوي. [٢]

٨٨ـ جزء في لُبس خِرقَة الصوفية. [٣]

٨٩ـ نظم اللآل في حديث الأبدال. [٤]

٩٠ـ الأحاديث الصالحة في المصافحة. [٥]

(١) الضوء اللامع ١٨/٨. وذكر له مشهور سلمان نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم: ٢٩٤٥ في مؤلفات السخاوي ص:(٨٢)، ولم أجده في دار الكتب بهذا الرقم، ومنه نسخة في دار الكتب الوطنية برقم: ٦٦٦٢.

(٢) ذكره في الأجوبة المرضية ٣٥٤/١.

(٣) أشار إليه في المقاصد الحسنة ص:(٣٣١) وقال: وأوضحت ذلك كله مع طرقها في جزء مفرد. وهو رَدٌّ على رسالة السيوطي في إجازة لبس الخرقة ضمن فتاواه ١٠٢/٢ ـ ١٠٤ أسماها "إتحاف الفِرْقَة بِرُفُوِّ الخِرْقَة".

(٤) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ. ويظهر أنه صنفه ردا على السيوطي في رسالته عن حديث الأبدال ضمن فتاواه ٤٥٥/٢.

(٥) الضوء اللامع ١٨/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

مؤلفاته في الحديث وعلومه:

٩١ــ الإيضاح في شرح نظم الاقتراح. [١]

٩٢ــ توضيح ألفية العراقي. [٢]

٩٣ــ التوضيح المعتبر لتذكرة ابن الملقن في علوم الأثر. [٣]

٩٤ــ الغاية في شرح منظومة ابن الجزري الهداية. [٤]

٩٥ــ فتح القريب في شرح مُؤَلَّفِ النووي التقريب. [٥]

٩٦ــ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. [٦]

٩٧ــ النكت على الألفية وشرحها. [٧]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٣) إرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

وقد طبع الكتاب قديما في مصر بتحقيق حسن إسماعيل الجمل عن مكتبة التربية عام ١٤١١هـ/١٩٩٠م، وأعيد طبعه عن أضواء السلف بتحقيق عبد الله البخاري عام ١٤١١هـ .

وللكتاب نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ١٧٠ مصطلح عربي، وأخرى برقم: ١٢٩ مصطلح حديث طلعت عربي.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ وغيرها.

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد سيدي محمد الأمين عن دار القلم عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م على ثلاثة نسخ خطية.

وللكتاب نسخ أخرى انظرها في الفهرس الشامل ٢/١١٢٥ ــ ١١٢٦.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٦وغيره، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ وغيرها.

منه نسخة خطية في لاله لي برقم: ٣١ [٣٦٩] استانبول في مجلد واحد، وأخرى في نور عثمانية برقم: ٣٧ [٦١٧].

(٦) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

وقد طبع الكتاب عدة طبعات أجودها :

ــ الطبعة الهندية نشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بنارس، الهند بتحقيق: الشيخ علي حسن علي في أربعة مجلدات اعتمد فيها على نسختين خطيتين، وقد حقق الكتاب في جامعة الإمام بالرياض من قبل باحثين اقتسما تحقيق الكتاب تكلمت عنهما في التمهيد لهذه الدراسة.

وللكتاب عدة نسخ خطية انظرها في الفهرس الشامل ٢/١١٨٢.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

٩٨ــ بلوغ الأمل بتلخيص كتاب الدارقطني في العلل. (١)

٩٩ــ تتميم تطريف أطراف أفراد الدارقطني لابن طاهر بالترتيب. (٢)

١٠٠ــ ترتيب كتاب رواية الصحابة عن التابعين للخطيب. (٣)

١٠١ــ ترتيب "مسند أبي يعلى" على المسانيد. (٤)

١٠٢ــ ترتيب "مسند الحميدي" على المسانيد. (٥)

١٠٣ــ ترتيب "مسند الطيالسي" على المسانيد. (٦)

١٠٤ــ ترتيب "مسند العدني" على المسانيد. (٧)

١٠٥ــ تعليقات على كتاب "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه" لابن حجر. (٨)

١٠٦ــ تكملة تلخيص ابن حجر كتاب المتفق والمفترق للخطيب. (٩)

١٠٧ــ الجمع بين مصنفي الدارقطني والخطيب فيمن حدث ونسي مع الترتيب على الحروف. (١٠)

١٠٨ــ جمع الكتب الستة بتمييز أسانيدها وألفاظها. (١١)

١٠٩ــ حواشي على كتاب الاغتباط للبرهان الحلبي. (١٢)

١١٠ــ زوائد واستدراكات على لسان الميزان لابن حجر. (١٣)

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٢) إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٣) إرشاد الغاوي ل/٧٩أ.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب، المقاصد الحسنة ص:(٢٧٠).

(٦) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٨) فتح المغيث ٤/٢٣٢، فتح القريب ل/٢٠ أ.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩/ أ.

(١٠) إرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٩، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(١٢) فتح القريب ل/١٣٨ أ.

(١٣) الضوء اللامع ٨/١٨، الإعلان بالتوبيخ ص:(٢١٩).

١١١ــ عمدة الأصحاب في معرفة الألقاب. [١]

١١٢ــ الكُنَـــى. [٢]

١١٣ــ أربعون حديثا من كتاب الأدب المفرد للبخاري. [٣]

١١٤ــ تجريد ما وقع في كتب الرجال سيما المختصة بالضعفاء مـــن الأحـــاديث وترتيبها على المسانيد. [٤]

١١٥ــ ترتيب فوائد تمام على المسانيد. [٥]

١١٦ــ ترتيب فوائد تمام على الأبواب. [٦]

١١٧ــ ترتيب الحنائيات على المسانيد. [٧]

١١٨ــ ترتيب الخلعيات على المسانيد. [٨]

١١٩ــ ترتـــيب الغيلانيات على الأبواب. [٩]

١٢٠ــ جامع الأمهات والأسانيد. [١٠]

١٢١ــ أقرب الوسائل إلى شرح الشمائل للترمذي. [١١]

١٢٢ــ تجريد حواشي شيخه ابن حجر على تنقيح الزركشي. [١٢]

---

(١) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ٨٠٤٦ حديث عربي.

(٢) المقاصد الحسنة ص:(٢٤٥).

(٣) منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية برقم: ١٤٣٤حديث عربي، ولم يـــرد ذكـــره ضمـــن مؤلفاته.

(٤) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٥) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٦) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٧) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٨) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٩) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(١٠) الضوء اللامع ١٩/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(١١) الضوء اللامع ١٦/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(١٢) الضوء اللامع ١٧/٨.

وذكر له الباحث العماش نسختين خطيتين في الأزهرية برقم:١٠٩ مصطلح ضمن مجمـوع (١٥٥ ــ ١٦٩)، وأخرى في كوبرلي برقم: ٤/١٥٩١ ص:(٢٦٧) مرقونة على الحاسب الآلي.

١٢٣ــ تكملة شرح الترمذي للحافظ العراقي. [١]

١٢٤ــ حاشية في أماكن من شرح البخاري لشيخه وغيره من مصنفاته. [٢]

١٢٥ــ القول المفيد في إيضاح شرح العمدة لابن دقيق العيد. [٣]

١٢٦ــ الإلمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام. [٤]

١٢٧ــ الإنتهاض في ختم الشفا لعياض. [٥]

١٢٨ــ الرياض في ختم الشفا لعياض. [٦]

١٢٩ــ بذل المجهود في ختم سنن أبي داود. [٧]

١٣٠ــ بغية الراغب المتمني في ختم سنن النسائي (رواية ابن السني). [٨]

١٣١ــ القول المعتبر في ختم النسائي (رواية ابن الأحمر). [٩]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ، الإعلان بالتوبيخ ص:(١٥٩).

منه نسخة دار الكتب الوطنية بتونس برقم: ٦٦٦٢.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة بمكتبة الحرم المكي برقم: ٥٣ مجاميع تقع في ٤ق.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة بالجامع الكبير بصنعاء ٣٦٣/١ برقم: ٣١٢ ضمن مجموع (٢٨٥ ــ ٣١٣ق) ذكره مشهور في مؤلفات السخاوي ص:(١٠١).

(٧) الضوء اللامع ٨/١٨وغيرها، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

ذكر له العماش نسخة خطية في المحمودية تقع في المحمودية تقع في ١٨ق دون ذكر رقم لها ص:(٢٧٣) مرقونة على الحاسب الآلي.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طُبع الكتاب عن دار الكتاب المصري القاهرة بتحقيق أبي الفضل إبراهيم بن زكريا عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، وأعيد طبعه بتحقيق د. عبد العزيز عبد اللطيف عن مكتبة العبيكان الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م اعتمد فيها نسخة رضارمبور الهند برقم: ٨٤٠٠ تقع في ٢٤ق.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

=

١٣٢ـ الجوهرة المزهرة في ختم التذكرة للقرطبي. (١)

١٣٣ـ رفع الالتباس في ختم السيرة لابن سيد الناس. (٢)

١٣٤ـ عجالة الضرورة والحاجة عند ختم السنن لابن ماجة. (٣)

١٣٥ـ غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج. (٤)

١٣٦ـ القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي. (٥)

١٣٧ـ عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع(٦).

١٣٨ـ اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع. (٧)

١٣٩ـ شرح ألفية السيرة للعراقي. (٨)

منه نسخة في مكتبة الحرم المكي برقم: ٥٣ مجاميع تقع في ٦ق، وقد طبع الكتاب عن دار ابن حـــزم عام ١٤٢١هـ محققا.

(١) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وقد طبع الكتاب بتحقيق نظر الفريابي عن مكتبة الكوثر الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وقد طبع بتحقيق علي العمران عن دار عالم الفوائد ١٤١٨هـ مكة المكرمة، اعتمد فيه على نســخة دار الكتب المصرية برقم: ٣٢٩حديث.

ومنه أخرى في تسشتربتي برقم: (٢/٦٥ ـ ٦٦) ذكر ذلك مشهور سلمان في مؤلفات الســخاوي ص:(١١٣) نقلا عن الفهرس الشامل ١/٣٤١ وبالرجوع إلى الفهرس الشامل اتضح لي أن رقــم الكتاب المحال عليه هو مُنتقىً من عمدة القاري للقسطلاني أسماه تحفة السامع والقــاري في ختــم البخاري، وليس عمدة القاري للسخاوي.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٦، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ، الإعلان بالتوبيخ ص:(١٦٤).

- **مؤلفاته في التاريخ والتراجم:**

١٤٠ـ أحسن المساعي في إيضاح البقاعي. [١]

١٤١ـ أسماء جماعة أجازوا للرضي الطبري والصلاح بن أبي عمر. [٢]

١٤٢ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ. [٣]

١٤٣ـ التاريخ المحيط. [٤]

١٤٤ـ التبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقريزي السلوك. [٥]

١٤٥ـ تجريد أسماء الآخذين عن ابن العربي. [٦]

١٤٦ـ تجريد حواشي ابن حجر على الطبقات الوسطى لابن السبكي. [٧]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب .

(٢) ذكر له الباحث العماش نسخة في مكتبة خَدَابخش بالهند برقم: ٢٨٩٥، ولعله نفس الجزء المتقدم "ترتيب شيوخ جماعة من شيوخ الشيوخ".

(٣) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

وقد طبع الكتاب بتحقيق المستعرب فرانز روزنتال، وترجمة د. صالح العلي عن دار الكتب العلمية مصورا، ونشر قسم منه ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لنفس المستعرب.

وطبع أيضا في القاهرة عن المكتبة التجارية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، وفي دمشق عن مطبعة الترقي عام ١٣٤٩هـ.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

وقال عنه: "وهو في نحو ثلاثمائة رزمة على حروف المعجم، ولا يعلم من سبقه إليه".

(٥) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

منه نسخة خطية بخط السخاوي نفسه في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم: ٢٢٩٤ تارخ نقع في ١٤٣ق، وأخرى في أيا صوفيا برقم: ٣١١٣ منها مصورة في معهد المخطوطات العربية برقم: ١٣٦ تاريخ، ونسخة بدار الكتب المصرية برقم: ٤٠ تاريخ عربي.

وقد طبع لأول مرة في بولاق بعناية شارل غليار دوبيك ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م، وأعيد طبعه في بولاق عن مكتبة الكليات الأزهرية.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب، القول المنبي ل/ ٢٧ب.

وقد ذكر بدر العماش أن السخاوي جرد أكثر هذا الكتاب في القول المنبي. ص:(٢٩٦) و لم يذكر عمدته في ذلك، وهو حُكمٌ فيه نَظَر!!

(٧) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

١٤٧ــ تجريد ما في المدارك لعياض مما لم يذكره ابن فرحون. [(١)]

١٤٨ــ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. [(٢)]

١٤٩ــ ترتيب شيوخ جماعة من شيوخ الشيوخ ونحوهم. [(٣)]

١٥٠ــ ترتيب شيوخ الطبراني. [(٤)]

١٥١ــ ترتيب شيوخ أبي اليمن الكندي. [(٥)]

١٥٢ــ ترتيب وتهذيب طبقات الشافعية لابن الصلاح. [(٦)]

١٥٣ــ ترتيب طبقات المالكية لابن فرحون. [(٧)]

١٥٤ــ تلخيص تاريخ اليمن للخزرجي. [(٨)]

١٥٥ــ تلخيص طبقات القراء لابن الجزري. [(٩)]

١٥٦ــ دفع التلبيس ورفع التنجيس عن الذيل الطاهر النفيس. [(١٠)]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

وقد طبع قسم من الكتاب عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م بتحقيق محمد الفقي عن نسخة خطية وحيدة مضطربة، وأعيد طبعه بعناية أسعد درابزوني عام ١٩٧٩م في القاهرة، ثم طبع مؤخرا عن دار الكتب العلمية بدون تحقيق عام ١٤١٤هـ/١٩٨٤م.

وقد أدخلت في الكتاب نصوص ليست من السخاوي، وإنما هي من أحد تلاميذه، أو من الناسخ نفسه نبه المعلق على بعضها.

والمطبوع من الكتاب إلى حرف الميم عند ترجمة محمد بن مبارك القسطنطيني المغربي(٨٦٨هـ) ٢/٥٧٢. ويظهر من صنيع السخاوي بإحالته على قسم الكنى والألقاب أنه أكمله في التصنيف، لكن لم يصلنا هذا القسم الباقي المكمل للكتاب، ولعله كان يتعاهده بالتصنيف إلى قبيل وفاته نظرا لطبيعة الكتاب.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٦) الإعلان بالتوبيخ ص:(٢٣٤).

(٧) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

منه نسخة في مكتبة خدا بخش بالهند، توجد منها مصورة بالجامعة الإسلامية برقم: ١١٨١.

١٥٧ــ ذيل إنباء الغمر لابن حجر. [١]

١٥٨ــ ذيل تاريخ مصر. [٢]

١٥٩ــ الذيل على طبقات القراء لابن الجزري. [٣]

١٦٠ــ الذيل على قضاة مصر لابن حجر. [٤]

١٦١ــ رُجْحَان الكِفَّة في أخبار أهل الصُّفَّة. [٥]

١٦٢ــ زيادات على ذيل ابن حجر على التبيان لابن ناصر الدين. [٦]

١٦٣ــ الشافي من الألم إلى وفيات الأمم. [٧]

١٦٤ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. [٨]

١٦٥ــ طبقات الحنفية. [٩]

١٦٦ــ طبقات المالكية. [١٠]

---

(١) فتح المغيث ٤/٣١٥ وقال: وقد شرعت في ذيل عليه يسر الله إكماله وتحريره.

(٢) ....

(٣) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

ورَمَزَ له الزركلي بكونه مخطوطا الأعلام ٦/١٩٤ــ ١٩٥.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وطبع الكتاب في مجلد بتحقيق جودة هلال،ومحمد محمود صبح عن الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م اعتمادا على نسخة دار الكتب المصرية برقم: ٥٢٨٩ تاريخ عربي.

ومنه نسخة بالخزانة العامة بالرباط برقم: ٢٣١٧ك، وغيرها. انظر مؤلفات السخاوي ص:(٥٧).

(٥) إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طبع الكتاب بتحقيق مشهور سلمان، وأحمد الشقيرات عن دار السلف بالرياض ١٤١٥هــ/١٩٩٥م عن نسختين خطيتين.

(٦) ذكره في الإعلان بالتوبيخ ص:(١٩٧).

(٧) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وقد طبع الكتاب في ستة مجلدات عن دار الجيل ببيروت عن نسخة خطية بخط ابن فهد الهاشمي، وطُبِع طبعات أخرى.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب برقم: ٥٤٦.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

١٦٧ـ طبقات الشافعية.[(١)]

١٦٨ـ الفخر المتوالي لمن انتسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي.[(٢)]

١٦٩ـ الفضل والبيان في مؤرخي الزمان.[(٣)]

١٧٠ـ الكوكب المضيء.[(٤)]

١٧١ـ تقفيص ما اشتمل عليه الشفا من الرجال ونحوهم.[(٥)]

١٧٢ـ مدارس الديار المصرية وجوامعها.[(٦)]

١٧٣ـ معجم من أخذ عنه.[(٧)]

١٧٤ـ معجم الآخذين عنه من الطلبة.[(٨)]

١٧٥ـ منتقى تاريخ مكة للفاسي.[(٩)]

١٧٦ـ وجيز الكلام في الذيل على كتاب دول الإسلام.[(١٠)]

١٧٧ـ إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي بترجمة السخاوي.[(١١)]

---

(١) ذكر في الإعلان بالتوبيخ ص:(١٧٦) بأنه ينوي التأليف في ذلك.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٨، وإرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

وقد طبع الكتاب بتحقيق مشهور سلمان عن مكتبة المنار الأردن عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م واعتمد على نسخة خطية مصورة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تقع في ٩ق.

(٣) إرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٤) رمز له الزركلي بكونه مخطوطا الأعلام ٦/١٩٤، وذكره د. الشقاري في السخاوي مؤرخا ص:(٢٥٧) ويظهر أنه وقف عليه.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٦) وجيز الكلام ٢/٤٦٢.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٨) إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

وقد طبع الكتاب بتحقيق د. بشار عواد، وعصام الحرستاني، وأحمد الخطيبي عن مؤسسة الرسالة عام ١٤١٦هـ.

(١١) الضوء اللامع ٨/١٧، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

منه نسخة بليدن برقم: ١١٦٠، وأخرى في أيا صوفيا برقم: ٢٩٥٠.

١٧٨ــ اختصار إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي بترجمة السخاوي. [١]

١٧٩ــ الاهتمام بترجمة النحوي الجمال ابن هشام. [٢]

١٨٠ــ الاهتمام بترجمة الكمال ابن الهمام. [٣]

١٨١ــ التحصيل والبيان في قصة السيد سلمان ﷺ. [٤]

١٨٢ــ ترجمته نفسه. [٥]

١٨٣ــ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. [٦]

١٨٤ــ عمدة الناس في مناقب سيدنا العباس. [٧]

١٨٥ــ القول المبين في ترجمة القاضي عضد الدين. [٨]

١٨٦ــ القول المرتقي في ترجمة البيهقي. [٩]

---

(١) ذكره العماش ص:(٣٣٨) نقلا عن ذيل طبقات الشافعية للأسدي ل/٩٠ب.

(٢) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٣) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٤) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٦٩ب.

وذكر مشهور سلمان في مؤلفات السخاوي ص:(٦٤) أن أحمد الشقيرات حققه على نسخة جامعة ييل بالولايات الأمريكية.

(٥) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وقد يكون مضمنا في كتابه إرشاد الغاوي.

(٦) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

طبع لأول مرة قسم يسير منه ضمن علم التاريخ عند المسلمين للمستعرب روزنثال ص:(٧٢٧ ــ ٧٥١) في بغداد عام ١٩٦٣م، وطبع مرة أخرى قسم منه بتحقيق د. حامد عبد المجيد، ود.طه الزيني عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م عن نسختين خطيتين، وطبع مؤخرا كاملا بتحقيق الباحث إبراهيم باجس عن دار ابن حزم عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م معتمدا على أربع نسخ خطية.

(٧) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم: ١٥٦٩ تاريخ عربي.

(٨) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/ ٧٩ب.

(٩) الضوء اللامع ١٠٩/٩، ١٠٢/٢، وإرشاد الغاوي ل/٢٠٣ أ.

١٨٧ــ القول المنبـــي عن ترجمة ابن العربي. [١]

١٨٨ــ الكفاية في طريق الهداية. [٢]

١٨٩ــ النهاية في ابن العربي. [٣]

١٩٠ــ الهداية في ابن العربي.[٤]

١٩١ــ المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي.[٥]

---

(١) الضوء اللامع ١٧/٨،وقال: في مجلـــد حـــافل،٣٥/١٠ ـــ ١٧٠، ١٣/١٠، وإرشـــاد الغـــاوي ل/٧٩ب، وجيز الكلام ٩٤١/٣، الإعلان بالتوبيخ ص:(٣٧٩)، ذيل رفـــع الإصـــر ص:(٣٩٢)، الكفاية في طريق الهداية ل/١ب.

والكتاب منه عدة نسخ خطية أرجئ الكلام عنها إلى حين موضعها من دراسة الكتاب.

(٢) الضوء اللامع ١٧/٨،وقال: نافعة جِداً، ٨١/٥، ٣/١١، ٦ــ٦٦، وجيز الكلام ٩٤١/٣.

منه نسخة بالمكتبة بالهند برقم: ١٣٣٤ تقع في ٧ق، وأخرى في دار الكتب المصرية بتونـــس برقـــم: ٦٦٦٢، تقع في ٣ق نسخت عام ١٤٠٤هـــ منقولة من نسخة بخط تلميذ السخاوي محمـــد بـــن عثمان بن محمد الديمي، وعليها إجازة السخاوي له.

(٣) الضوء اللامع ٦٦/١١.

(٤) وجيز الكلام ١٢١٨/٣ ـــ ١٢٩٤.

وعندي منه مصورة عن نسخة خطية ترجح لدي أنها نفس الكتاب.

(٥) الضوء اللامع ١٧/٨، وإرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

وقد طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣٥٤هـــ بتصحيح الشيخ محمود حسن ربيع عن جمعيـــة النشـــر والتأليف، وأعيد طبعه بتحقيق د. محمد العيد الخطراوي عن دار التراث بالمدينة المنورة عام ١٤٠٩هـــ.

ومنه عدة نسخ خطية انظرها في مؤلفات السخاوي ص:(١٥٦ــ١٥٧).

• مؤلفات في أبواب ومسائل متفرقة:

١٩٢ـــ الاتعاظ بالجواب عن مسائل الوعاظ. [١]

١٩٣ـــ من أثنى عليه من الشيوخ والأقران فَمَن دونهم وما عليه مما صدر عنه مـــن السجع. [٢]

١٩٤ـــ أجوبة عن بعض الأسئلة المكية في التاريخ. [٣]

١٩٥ـــ أجوبة عن أسئلة ابن الحاكمي. [٤]

١٩٦ـــ الأجوبة العلية عن الأسئلة الدمياطية. [٥]

١٩٧ـــ الأجوبة العلية عن الأسئلة النثرية. [٦]

١٩٨ـــ الأجوبة المرضية فيما سُئل عنه من الأسئلة الحديثية. [٧]

١٩٩ـــ الاحتفال بالأجوبة عن مائة سؤال. [٨]

٢٠٠ـــ النفحة المسكية والأجوبة المكية. [٩]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ، ل/٦٤ب.

وقد طبع عن الدار السلفية بالهند بتصحيح عمرو علي عمر عام ١٤٠٩هـــ.

منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية برقم: ٦٦٦٢، وأخرى بالأزهرية.

والكتاب بحاجة إلى إعادة تحقيق.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٧، إرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٣) ذكره في ذيل رفع الإصر ص:(٦٢).

(٤) الضوء اللامع ٩/١٣٥.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة في جامعة ييل بالولايات الأمريكية برقم: ٢٣٤، وأخرى بدار الكتب الوطنية بتونس برقم: ٦٦٦٢ تقع في ٦ق.

وقد طبع الكتاب عن دار ابن حزم ببيروت ١٤٢٠هـــ.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٧) الضوء اللامع ١/٢٣٠، إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

وقد طبع الكتاب بتحقيق د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، عن دار الراية بالرياض عام ١٤١٨هـــ.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٩) أشار إليه في كشف الظنون ٢/١٩٦٩، هدية العارفين ٢/٢٢١.

٢٠١ـ الابتهاج بأذكار المسافر والحاج. [١]

٢٠٢ـ الاحتفال بجمع أولي الظلال. [٢]

٢٠٣ـ ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد. [٣]

٢٠٤ـ الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة. [٤]

٢٠٥ـ استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف. [٥]

٢٠٦ـ الإسعاف بالجواب عن مسألة الأشراف. [٦]

٢٠٧ـ الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل. [٧]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى بتحقيق رضوان عن دار الكتاب العربي بمصر، وأخرى بتحقيق علي رضا عن مكتبة لينة بمصر.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة وحيدة في مدرسة الحجيات بالموصل، انظر مخطوطات الموصل ص:(١٠٢)، وأخرى بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة بشستربتي برقم:(٣٤٦٣) تقع في ٦٠ اق، وأخرى برقم:(٥١٧٤)، ونسخة في عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم:(١٩٢٤) تقع في ١٣٢ق، وفي الخزانة الخالدية في القدس، وفي دار الكتب المصرية برقم:(٦٥٨)، ونسخ أخرى انظرها في مؤلفات السخاوي ص:(٣٨).

(٤) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وهو رد على رسالة السيوطي "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" [ضمن الحاوي للفتاوى ٢/٤٧٣-٤٩٢]، وللسخاوي مسألة مطبوعة ضمن الأجوبة المرضية له ٣/١١٠٠-١١١٥.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس برقم: ٦٦٦٢ تقع في ٢١ق، ونسخ أخرى انظرها في مؤلفات السخاوي لمشهور سلمان ص:(٤١-٤٢).

وقد حقق من قبل الباحث خالد بابطين بجامعة أم القرى لنيل الماجستير عام ١٤٢٠هـ، و الباحث محمد بن عيسى الحميري بجامعة القرويين بفاس لنيل الدكتوراه عام ١٤٢١هـ.

(٦) إرشاد الغاوي ل/ ٦٤ب، وطبع ضمن الأجوبة المرضية ١/٤١٦.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٨، ١/١٠٦، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ، الإعلان بالتوبيخ ص:(٢٩٣)، القول المنبي ل/١٠أ، الكفاية في طريق الهداية ل/ ٦ب.

صنفه السخاوي في الرد على البقاعي حيث ذهب إلى جواز النقل من أهل الكتاب في الأقوال القويمة صرح بذلك في الضوء اللامع ١/١٠٦.

٢٠٨ــ الامتنان بالحرس عن دفع الافتتان بالفرس. [١]

٢٠٩ــ الأمثال النبوية. [٢]

٢١٠ــ انْتِقَاد مُدَّعي الاجتهاد. [٣]

٢١١ــ الإيثار بنبذة من حقوق الجار. [٤]

٢١٢ــ الإيضاح والتبيين في مسألة التلقين. [٥]

٢١٣ــ بذل الهمة في أحاديث الرحمة. [٦]

٢١٤ــ البستان في مسألة الإختتان. [٧]

٢١٥ــ تجديد الذكر في سجود الشكر. [٨]

٢١٦ــ تحرير الجواب عن مسألة ضرب الدواب. [٩]

٢١٧ــ تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان. [١٠]

---

(١) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

صنفه للسلطان قايتباي بعد حادثة سقوطه عن فرسه.

(٢) الجواب الذي انضبط ص:(٣٠)، المقاصد الحسنة ص:(٢٥٠).

(٣) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

رد فيه على السيوطي تصنيفه في ادعائه الاجتهاد المطلق لنفسه من ذلك "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل عن الاجتهاد في كل عصر" (طُبِع ضمن الحاوي للفتاوى).

(٤) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب.

(٥) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ، المقاصد الحسنة ص:(١٢٤).

(٦) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٧) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

من الكتب التي صنفها للسلطان قايتباي.

(٨) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٩) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

وقد طبعتين الأولى بتحقيق هادي بن أحمد المري عن دار ابن حزم ببيروت عام ١٤١٥هـ، وأخرى بتحقيق محمد رمضان يوسف عن دار ابن حزم عام ١٤١٨هـ، ونشر في مجلة الحكمة العدد الرابع (٢١٥- ٢٥٧) بتحقيق مشهور سلمان، وأحمد الشقيرات عام ١٤١٥هـ.

(١٠) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

نُشر في مجلة البحوث الإسلامية العدد: ٥٦ (١٤٥-١٧٣) بتحقيق بدر العماش عن نسخة الظاهرية بخط محمد بن محمد الميداني الشافعي(١٠٣٣هـ)، وأخرى بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع (١٣٤-١٣٥ق).

٢١٨ـ التحقيق الوجيه في شرح التنبيه. [١]

٢١٩ـ التماس السعد في الوفاء بالوعد. [٢]

٢٢٠ـ التوجه إلى الرب بدعوات الكرب. [٣]

٢٢١ـ جزء في الم تنزيل السجدة عند النوم. [٤]

٢٢٢ـ جزء في الأنين. [٥]

٢٢٣ـ جزء في الرد على البقاعي في إنكاره قول المؤذنين بعد الفراغ من أذان الصبح "يا دائم المعروف، يا كثير الخير". [٦]

٢٢٤ـ جزء فيه رد على تعقب بعضهم حكم ابن حجر على رجال حديث "عَرَفَة في البُدن". [٧]

٢٢٥ـ جزء في فقد البصر. [٨]

٢٢٦ـ جزء في القرافة. [٩]

٢٢٧ـ جزء في اللحن في اللغة. [١٠]

٢٢٨ـ جزء في الوارد في المعز والشياه. [١١]

---

(١) إرشاد الغاوي ل/ ٧٩ أ.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

صنفه للسلطان قايتباي، وطبع الكتاب بتحقيق د. عبد الله عبد الواحد الخميس عن مكتبة العبيكان عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م معتمدا على ثلاثة نسخ خطية.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب.

منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ٦٣٧٩ تصوف ضمن مجموع (٢٨-٣٤ق)، وأخرى بالمسجد النبوي برقم:٦/١٢٥(ضمن مجموع) ، وأيا صوفيا برقم: ١٧٤٣.

(٤) إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب، وطبع ضمن الأجوبة المرضية ١/٤٥٨.

(٥) المقاصد الحسنة ص:(٣٨٢).

(٦) وجيز الكلام ٢/٧٨٣.

(٧) ذيل رفع الإصر ص:(١٧٩).

(٨) إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب، وطبع ضمن الأجوبة المرضية ٢/٦٥٢.

(٩) البلدانيات ل/ ٣٢ب.

(١٠) فتح القريب له ل/٧٢ب.

(١١) طبع ضمن الأجوبة المرضية ١/٢٥٣.

٢٢٩ــ الجمع بين شرحي الألفية لابن المصنف وابن عقيل وتوضيحها. [١]

٢٣٠ــ الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة. [٢]

٢٣١ــ الحث على تعلم النحو. [٣]

٢٣٢ــ الرأي المصيب في المرور على الترغيب. [٤]

٢٣٣ــ رفع الشكوك في مفاخر الملوك. [٥]

٢٣٤ــ رفع الأرق والقلق بجمع المبتدعين من الفرق. [٦]

٢٣٥ــ السر المكتوم في الفرق بين المآلين المحمود والمذموم. [٧]

٢٣٦ــ السير القوي في الطب النبوي. [٨]

٢٣٧ــ الصلاة على النبي ﷺ بعد موته. [٩]

٢٣٨ــ عمدة المحتج في حكم الشطرنج. [١٠]

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٦، إرشاد الغاوي ل/٧٩ أ.

(٢) المقاصد الحسنة ص:(٦٣، ٣٢٥، ٣٦٥)، ونبه على ذلك في الضوء اللامع ٨/١٠٥.

وطبع بتحقيق محمد خير رمضان عن دار ابن حزم ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م عن نسخة الأسكوريال برقم: ٥٠٢ تقع في ١٣٧ق، وله نسخة أخرى ببيتنا برقم: ١٤٧/١ ١٤١٥.

(٣) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب.

(٤) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٨، ١/٢٨١، ٦/٢١١، ٩/٩٢، ١١/٦٦، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ، ٦٤ب، ١٥٧ب، ١٩٤ أ، ٢٢٧ب، الأجوبة المرضية ٢/٥٨٨، استجلاب ارتقاء الغرف ل/١٨ أ، وصرح بأنه صنفه للسلطان قايتباي.

منه عدة نسخ خطية في أيا صوفيا برقم ١/١١١، ونسخة خاصة ضمن مجموع كُتِب عنوانها بخط السخاوي، وأخرى بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة وهي نسخة مختصرة، وأخرى بالمسجد النبوي، وأخرى بالمكتبة البريطانية.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٩، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

منه نسخة في أسعد أفندي برقم ٢/٤٠٣ بعنوان الصلاة على السيد البشير انظر مؤلفات السخاوي ص:(٨٥).

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

منه نسخة بالظاهرية برقم ٤٦٠.

٢٣٩ـ الفخر العلوي في المولد النبوي. (١)

٢٤٠ـ الفرجة بكائنة الكاملية التي ليس فيها للمعارض حجة. (٢)

٢٤١ـ فضائل مصر. (٣)

٢٤٢ـ الفوائد الجلية في الأسماء النبوية. (٤)

٢٤٣ـ قرة العين بالثواب الحاصل للميت والأبوين. (٥)

٢٤٤ـ القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة. (٦)

٢٤٥ـ القول الأتم في الاسم الأعظم. (٧)

٢٤٦ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع. (٨)

٢٤٧ـ القول التام في فضل الرمي بالسهام. (٩)

٢٤٨ـ القول المألوف في الرد على منكر المعروف. (١٠)

---

(١) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ أ.

وقد طُبِع ضمن الأجوبة المرضية ٣/١١١٦.

(٢) الضوء اللامع ٨/١٧، إرشاد الغاوي ل/٧٩ب.

(٣) البلدانيات ل/٣٤ب قال: "وسكنه خلق من الصحابة، وفضائله كثيرة كتبت فيها أوراقا".

(٤) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٥) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٦) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم٣٠٥ حديث تيمور عربي، وأخرى ببرلين الغربية منها مصورة بالجامعة الإسلامية برقم ١٨٠٣.

وقد طبع الكتاب بتحقيق عصام فارس الحرستاني، ومحمد إبراهيم الزغلي عن دار البيارق ودار عمار عام ١٤١٨هـ بعنوان أشرطة الساعة دون ذكر للنسخ الخطية التي اعتمدها.

(٧) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٨) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

منه عدة نسخ خطية في خزائن العالم انظرها في الفهرس الشامل ٢/١٢٤٩-١٢٥٠، وقد طبع عدة طبعات أولها في حيدرآباد الدكن عام ١٣٢١هـ.

(٩) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

منه نسخة بمكتبة البعيدية بحيدرآباد برقم: ٦٠حديث، وفي دار الكتب المصرية برقم ٢فنون حربية، وفي خزانة دير الأسكوريال منها مصورة في الجامعة الإسلامية برقم ٩٢٠ تقع في ١٢٣ق.

(١٠) الضوء اللامع ٨/١٨، إرشاد الغاري ل/ ٨٠ أ.

رد فيه على البقاعي كما صرح به في الضوء اللامع ١/١٠٦، ووجيز الكلام ٢/٧٨٣.

٢٤٩ـ القول المتين في تحسين الظن بالمخلوقين. (١)

٢٥٠ـ القول المسطور في إزالة الشعور. (٢)

٢٥١ـ القول المعهود في ما على أهل الذمة من العهود. (٣)

٢٥٢ـ القول النافع في بناء المساجد والجوامع. (٤)

٢٥٣ـ الكلام على قوله تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ (٥).

٢٥٤ـ الكنز المُدَّخر من فتاوى ابن حجر. (٦)

٢٥٥ـ ما في البخاري من الأذكار. (٧)

٢٥٦ـ المجموع الصغير. (٨)

٢٥٧ـ المستجاب دعاؤهم. (٩)

٢٥٨ـ كناشة السخاوي. (١٠)

---

(١) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٢) الضوء اللامع ٢١١/٦، إرشاد الغاوي ل/ ١٥٧ب، وطبع ضمن الأجوبة المرضية ٥١٦/٢.

(٣) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٤) الضوء اللامع ١٨/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(٥) إرشاد الغاوي ل/ ٧٧ب.

(٦) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/٨٠ب.

(٧) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ب.

(٨) ذكره العماش ص:(٤٢٩) نقلا عن الكشف الإلهي للطرابلسي ٧٨٢/٢ مع عدم الجزم بهذه النسبة.

(٩) الضوء اللامع ١٩/٨، إرشاد الغاوي ل/ ٨٠ أ.

(١٠) ذكره له الكتاني في فهرس الفهارس ٥٨٤/٢، وابن غازي في فهرسته ص:(١٤٨).

مؤلفات منسوبة إلى السخاوي:

تُنْسَب إلى السخاوي مجموعة من الكتب بسبب الاشتباه في نسبته إلى سخا؛ لكثرة العلماء الذين يُنْسَبُون إليها، أو لوهم بعض الباحثين في نسبتها إليه، ومن هذه الكتب:

_ كتاب **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات** نسبه إليه البغدادي،[1] ويوسف سركيس،[2] ومحمد عبد الله عنان؛[3] لكن هذا الأخير تدارك الخطأ وحذفه من مؤلفات السخاوي في كتابه "مؤرخو مصر الإسلامية"،[4] وجاء منسوبا إلى السخاوي في فهرس دار الكتب المصرية.[5]

والصحيح أن الكتاب لسخاوي آخر غير شمس الدين أبي الخير؛ وهو أبو الحسن نور الدين علي بن أحمد بن خلف السخاوي الحنفي (كان حيا عام ٩٦٠هـ) استنادا لعدة أمور:

_ عدم ذكر شمس الدين السخاوي له ضمن مؤلفاته في تراجمه لنفسه.

_ اختلاف أسلوب الكتاب عن نَفَسِ شمس الدين السخاوي في التأليف.[6]

_ كتاب **الإصطفا في أسماء المصطفى** وهي أرجوزة في أسماء النبي ﷺ وَرَدَ نِسبتُها خطأً للسخاوي في دار الكتب المصرية برقم ١٢ مجاميع (من٣٤-٤٠ق).

في حين أننا لا نجد لها ذكرا أو إشارة في ترجمة السخاوي، أضف إلى ذلك أن السخاوي لم يشتهر بنظم الشعر ولو كان كذلك لذكره عن نفسه في ترجمته.

ويظهر أن نسبتها إلى شخص يُدْعَى عبد الباسط البلقيني ورد ذكر اسمه مقرونا بالدعاء له بالمغفرة في آخر أبياتها.[7]

_ كتاب **الدُّرة المُضِيئَة في المآثِرِ الشَّرِيفَة** في سيرة السلطان قايتباي نسبه إليه أحمد

---

(١) هدية العارفين ٢/٢٢٠.

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة ص:(١٠١٢).

(٣) مجلة الرسالة عدد: ١٠٤ عام ١٣٥٤هـ ص:(١٠٤٨).

(٤) مؤرخو مصر الإسلامية ص:(١٣٩).

(٥) نسخة برقم ٤١ تاريخ تيمور.

(٦) تنبه لذلك مجموعة من الباحثين منهم محمود ربيع في نشرته لكتاب السخاوي في ترجمة النووي، ود. عبد الله الشقاري. ينظر السخاوي مؤرخا ص:(٣٠٨-٣٠٩) وغيرهم.

(٧) السخاوي مؤرخا ص:(٣١٠).

فؤاد سيد اعتمادا على نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٨٥٥٤ حديث.

بينما لا نجد لهذا الكتاب ذِكْراً عند ترجمة السخاوي لنفسه، ولا عند ترجمة السلطان قايتباي؛[١] حيث تكلم فيها عن المؤلفات التي صنفها بطلبه وأهداها له، ولو ألف في سيرته لما تأخر عن نسبتها لنفسه ولذكرها، وقد رجح بعض الباحثين نسبتها إلى السيوطي، وكونها جزءا من كتابه في سيرة السلطان قايتباي.[٢]

(١) الضوء اللامع ٦/٢٠١-٢١١.

(٢) السخاوي مؤرخا ص:(٣١١).

المطلب الثاني:

وفـــــاتـــــه

ذهب جمهور المؤرخين إلى الاتفاق على تحديد تاريخ وفاة السـخاوي، واختلفـوا في موطن موته هل هو مكة، أو المدينة؟ كما يظهر من كلام الغزي. [1]

وبالاعتماد على نصوص معاصريه يتضح أن السخاوي توفي أثناء مجاورته الأخيرة بالمدينة المنورة عصر يوم الأحد سادس عشر من شهر شعبان لعام ٩٠٢هـ حسب ما ذكره ابـن فهد المكي، [2] وقد كان صاحبا وملازما له في جميع مجاوراته بالحرمين الشريفين، وجـزم غريمه السيوطي بسنة وفاته. [3]

وقد صُلِّيَ عليه بعد صلاة الصبح من يوم الاثنين ثاني تاريخه بالروضة الشريفة، ودفـن بالبقيع بجوار قبر الإمام مالك، وبجانب قبر العلامة الشهاب الأبشيطي رحمهم الله.

وكانت جنازته حافلة[4] رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن العلم وأهله خـير الجزاء.

---

(١) الكواكب السائرة ١/٥٤.

(٢) انظر البدر الطالع ٢/١٨٦.

(٣) نظم العقيان ص:(١٥٣).

(٤) النور السافر ص:(١٦)، شذرات الذهب ٨/١٧، فهرس الفهارس ٢/٩٩١.

الباب الثاني:

دراسة محيي ابن العربي الحاتمي موضوع الكتاب.

◆ وفيه ثلاثة فصول:

❖ الفصل الأول: ترجمة محيي الدين ابن العربي.

❖ الفصل الثاني: حياة محيي الدين ابن العربي العلمية.

❖ الفصل الثالث: مذهب محيي الدين ابن العربي الفقهي وعقيدته.

الفصل الأول:

ترجمة محيي الدين ابن العربي الحاتمي.

❖ وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.
- المبحث الثاني: مولده وأسرته وموطنه.
- المبحث الثالث: نشأته وطلبه العلم.

المبحث الأول:

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه[1]

....

(١) تُرجم له في:

١ـ المصادر العربية القديمة والمراجع والدراسات الحديثة:

ـ الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية.

ـ رسالة روح القدس.

ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.

ـ مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم.

ـ التدبيرات الإلهية.

ـ ثبت مؤلفات ابن العربي (نشرة كوركيس عواد ضمن الذخائر الشرقية له/ نشرة دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ....)، جميعها لابن العربي الحاتمي.

ـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار الموصلي (مخطوط نسخة أسعد أفندي برقم: (٢٣٢٨) ج ٧ ق ١٧٩.

ـ آثار البلاد للقزويني ص:(٣٣٤) نشرة وستنفلد.

ـ تاريخ إربل لابن المستوفي القسم الثاني ص: (٦٤٠)

ـ تاريخ ابن الدُّبَيثي (مخطوط ل/٩٢).

ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي ص:(١٧٠).

ـ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٢/١٤٥-١٤٦.

ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٣٢.

ـ فوات الوفيات لابن شاكر ٣/٤٣٥-٤٤٠.

ـ عنوان الدراية للغبريني ص:(١٥٦-١٧٣).

ـ الوافي بالوفيات للصفدي ٤/١٧٣-١٧٨.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٦/٣٣٩-٣٤٠.

ـ التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٣/٥٥٥.

ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/٧٣٦.

ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ص:(٥٨).

=

ـــ سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨-٤٩.
ـــ العبر في خبر من عبر ٣/٢٣٣.
ـــ ميزان الإعتدال ٣/٦٥٩-٦٦٠.
ـــ تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـــ ص:(٣٧٤-٣٨١).
ـــ الإعلام بوفيات الأعلام ٢/٤٣٢، سِتَّـتُها للذهبي.
ـــ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي السفر السادس ص:(٦٩٣).
ـــ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي ص:(٢٨).
ـــ تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٥/٨٤٨.
ـــ طبقات الأولياء لابن الملقن ص:(٤٦٩-٤٧٠).
ـــ نثر الجمان في تراجم الأعيان لأحمد بن محمد الفيومي (مخطوط ج: ٢ ق: ١٢٤-١٢٧).
ـــ عقد الجان في تاريخ أهل الزمان للعيني (مخطوط ج: ١٨ ق: ٢٤٣- ٢٤٤).
ـــ نزهة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دقماق (مخطوط ق: ٥٠-٥٣).
ـــ مرآة الجنان لليافعي ٤/١٠٠.
ـــ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ٢/١٦٠-١٩٩.
ـــ لسان الميزان لابن حجر ٦/٣٩٧-٤٠٥.
ـــ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/٢٠٨.
ـــ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ص:(٢٩٦).
ـــ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المناوي ٢/١٥٩-١٨٥.
ـــ المقفى الكبير للمقريزي ٦/٣٤٨-٣٥٥.
ـــ العسجد المسبوك ٢/٥٠٠-٥٠١.
ـــ ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة لابن رُشَـيد الفِـهْري السَّبْتي ٢/٣٠٢-٣٠٣.
ـــ طبقات المفسرين للداوودي ٢/٢٠٤-٢١٠.
ـــ جذوة الاقتباس لابن القاضي ١/٢٨١-٢٨٢.
ـــ روضات الجنات للخونساري ص:(١٩٢-١٩٨).
ـــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمَقّري ٢/١٦١-١٨٤.
ـــ طبقات المفسرين للسيوطي ص:(٩٨).
ـــ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥/١٩٠.
ـــ الطبقات الكبرى للشعراني ١/٣١٧-٣١٨.
ـــ اليواقيت والجواهر له ص:(٦-١٥) وبهامشه الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر له أيضا.
ـــ الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي ١/٣٤٤.
ـــ جامع كرامات الأولياء للنبهاني ١/١٩٨-٢١٠.

=

ـــ كشف الظنون للحاج خليفة ١٤، ٥٨، ٨٢، ١٠٧، ١٦٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩٦، ٢٥٢، ٣٥٢، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٣٨، ٤٩٤، ٥٣٣، ٦٣١، ٦٥٠، ٦٨٨، ٧٢٢، ٧٣٨، ٧٩٥، ٨٤٤، ٨٤٩، ٨٥٢، ٨٦٩، ٨٧٤، ٨٧٩، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٧، ٨٩٤، ٩٠٠ وغيرها كثير.

ـــ إيضاح المكنون ٧٣/١، ٨٤، ١٣٤، ١٥٢، ١٦١، ١٧٧، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٦٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤٠١، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٥٩، ٤٦٥، ٥٦٦، ٥٩٨، ٦٠٥ وغيرها كثير.

ـــ هدية العارفين ١١٤/٢، ١٢١.

ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢١٤/١، ١٠٨/٢-١٠٩.

ـــ فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ٣١٦/١-٣١٩.

ـــ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للحَجْوي الفاسي ٦٤/١.

ـــ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية لشكيب أرسلان ٣٨٦/٣-٣٩٨.

ـــ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لشيخ الإسلام مصطفى صبري ١٤٩/٣-١٩٨ (نشرة: دار إحياء التراث العربي-بيروت).

ـــ الأعلام للزركلي ٢٨١/٦-٢٨٢.

ـــ معجم المؤلفين لكحالة ١١/ ٤٠-٤١.

ـــ عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر لجميل العظم ص:(١٣-٣٩).

ـــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس ص:(١٧٥-١٨٠).

ـــ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان القسم الرابع ص:(٣٧٧-٤١٦) (نشرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

ـــ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ١٠٠/٣.

ـــ تاريخ فلاسفة الإسلام لمحمد لطفي جمعة ص:(٢٧٥-٣٠٣).

ـــ دائرة المعارف لبطرس البستاني ٥٩٨/١-٦٠١.

ـــ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٣٠٨/٦-٣١٢.

ـــ الكنى والألقاب للقمي ١٣٦/٣-١٣٨.

ـــ فلسفة الأخلاق في الإسلام لمحمد يوسف موسى ص:(٢١٥-٣١٢).

ـــ محيي الدين ابن عربي لطه عبد الباقي سرور (نشرة مكتبة الخانجي- القاهرة).

ـــ مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد لكتاب مناقب ابن عربي لإبراهيم بن عبد الله القاري (نشرة مؤسسة التراث العربي - بيروت ١٩٥٩م).

ـــ الموسوعة الصوفية للدكتور عبد المنعم الحفني ص:(٢٨٦-٢٩١).

ـــ من أين استقى محيي الدين ابن عربي فلسفته الصوفية للدكتور أبو العلا عفيفي (مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة العدد الأول- مايو ١٩٣٣م ص:(٣-٤٥)).

=

ـــ الملامتية والصوفية وأهل الفتوة له أيضا (نشرة دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م).

The Mystical Philosophy Of Muhiy El Din Ebn Al Arabi, Campridge University. —
د. أبو العلا عفيفي.

ـــ موقف ابن عربي من أهل الظاهر والفلاسفة للدكتور محمود قاسم (حوليات كلية دار العلوم - جامعة القاهرة- سنة ١٩٧١-١٩٧٩م ص:(١٤٧-١٧٠)).

ـــ الصوفية ووحدة الوجود لموسى محمد علي (مجلة الأزهر ص:(١٤٧٨-١٤٧٩)).

ـــ التصوف الأندلسي بين الدين والسياسة خلال النصف الأول من القرن السادس إلى الثاني عشر د. جمعة شيخة (مجلة دراسات أندلسية- عدد:٢١- رمضان ١٤١٩هـ- تونس ص:(٦٥-٨٢)).

ـــ الحب الخلاق في حضارة الأندلس الإسلامية مدخل مقارن لابن حزم وابن عربي د. قيصر موسى الزين ص:(٦٦٥-٦٨٠).

ـــ النزعة الإنسانية في الخطاب الأندلسي: ابن رشد ومحيي الدين بن عربي لبومدين بوزيد ص:(١٧١-١٨٥).

ـــ الحب الإلهي عند ابن عربي لمنشاوي عبد الرحمن رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة بكلية دار العلوم عام ١٤٠٣هـ.

ـــ دراسة عن ابن العربي الحاتمي مقدمة لتحقيق كتابه رسالة روح القدس في مناصحة النفس للدكتور حامد طاهر رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة بكلية دار العلوم عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ـــ الولاية عند محيي الدين ابن عربي لعبد الحميد عبد المنعم مدكور رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم عام ١٤٠٠هـ.

ـــ نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي لأحمد عبد المهيمن عبد الله دقينش رسالة ماجستير بكلية دار العلوم عام ١٩٩٤م.

ـــ الكتاب التذكاري محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ١١٦٥-١٢٤٠م (مجموعة من الأبحاث مقدمة بهذه المناسبة عن ابن العربي الحاتمي - نشرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

ـــ الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي د. أحمد الجزار (نشرة: مكتبة نهضة الشرق - القاهرة).

ـــ ابن عربي ومولد لغة جديدة د. سعاد حكيم (نشرة: دار دندرة للطباعة والنشر- بيروت عام ١٤١١هـ/١٩٩١م).

ـــ مدرسة ابن عربي الصوفية ومذهبه في الوحدة لمحمد العدكوني الإدريسي (نشرة: دار الثقافة- الدار البيضاء عام ١٩٩٨م).

=

ـــ محيي الدين ابن عربي حياته، مذهبه، زهده د. فاروق عبد المعطي (نشرة: دار الكتب العلمية- بيروت عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

ـــ ابن عربي لسميح عاطف الزين (نشرة: الشركة العالمية للكتاب- دار الكتاب اللبناني عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ـــ فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي د. نصر حامد أبو زيد (نشرة: المركز الثقافي العربي- بيروت عام ١٤١١هـ/١٩٩٨م).

ـــ محيي الدين ابن عربي من أئمة الموحدين لعبد الرحمن حسن محمود (نشرة: عالم الفكر- القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

ـــ مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها د. عثمان يحي ترجمة: د. أحمد الطيب (نشرة: دار الصلبوني/ دار الهداية عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

ـــ أضواء على التصوف د. طلعت غنام (نشرة: عالم الكتب- القاهرة).

ـــ اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي د. علي الخطيب (نشرة: دار المعارف- القاهرة).

ـــ ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق لعبد القادر السندي (نشرة: دار البخاري- المدينة المنورة).

ـــ شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي لمحمود محمود الغراب (نشرة: مطبعة نضر- الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

ـــ من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد السيد الجليند (نشرة: مكتبة الزهراء-القاهرة عام ١٩٩٠م).

ـــ أعمال الندوة الخاتمية المقامة بمراكش في ذي الحجة من عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢ـــ دراسات المستعربين:

ـــ ابن عربي حياته ومذهبه لأسين بلاثيوس Asin palacios ترجمة د. عبد الرحمن بدوي (نشرة: مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة عام ١٩٦٥م).

ـــ في التصوف الإسلامي وتاريخه لرينولد نيكلسون Rinold nickolson ترجمة: د. أبو العلا عفيفي (نشرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر).

ـــ Asin.placios:mohidin.in.homenaje.a.menendez.y.pelayo.

محيي الدين بحث مقدم ضمن فعاليات تكريم مينيندس إبلايو لأسين بلاثيوس.

ـــ Asin placios:la psicologia segun mohidin abenarabi

الدراسات النفسية عند محيي الدين ابن العربي لأسين بلاثيوس.

ـــ R. nickolson: the lives of umar ibnul farid and ibnul arabi

حياة عمر ابن الفارض و ابن العربي لنكلسون.

هو الشيخ المتصوف الفيلسوف محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله(1) الطائي المرسي الحاتمي دَفِين دمشق، من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم.(2)
ويُكْنَى أبا عبد الله(3) وأبا بكر،(4) ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بابن العربي(5) الصوفي.

Asin placios: la psicologia del extasis en dos grandes misticos musulmanses: — algazel y mohidin abenarabi

دراسة النفس عند علمين من أعلام التصوف الإسلامي الغزالي وابن العربي لأسين بلاثيوس.

Asin placios: el mistico murciano abenarabi —

المتصوف المرسي ابن العربي لأسين بلاثيوس.

Asin placios: L'islam Cristianizado Estudi Del Sufismo A Travers Del Las Obras — De Abenarabi De Murcia.

الإسلام المتَمَسِّح: دراسة عن التصوف من خلال أعمال ابن العربي المرسي.

M.A.Ayni: La Quitessence De La Philosophie De Ibn Arabi. —

جوهر فلسفة ابن العربي.

H. Corbin: L'imagination Creatice Dans Le Soufisme D'ibn Arabi. —

الخيال الإبداعي عند المتصوف ابن العربي لهنري كوربان.

— الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي لعلي شودكيفيش ترجمة د. أحمد الطيب (نشرة: دار القبة الزرقاء - مراكش ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

(١) لم تزد المصادر القديمة في ترجمته على ذكر اسم جده عبد الله.

ويُنظر: فوات الوفيات ٣/٤٣٥، الوافي بالوفيات ٤/١٧٣، عنوان الدراية ص:(١٥٦)، العقد الثمين ٢/١٦٠، طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٠٤، نفح الطيب ٢/١٦١.

(٢) ذكره في محاضرة الأبرار ١/٤٤١.

(٣) الذيل على الروضتين ص:(١٧٠)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي ص:(٢٨)، المختصر المحتاج إليه ص:(٥٨)، عنوان الدراية ص:(١٥٦).

(٤) التكملة لابن الأبار ٢/١٤٦، السير ٢٣/٤٨، جذوة الاقتباس ١/٢٨١.

(٥) **درج غالب علماء المشرق على ذكر ابن عربي بالتنكير**، تفريقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) للاشتباه الحاصل في الاسم واسم الأب والكنية بينهما؛ خلافا لما هو مُقَرَّر عند علماء المغرب والأندلس، وبعض علماء المشرق، من الصواب في اسمه بذكره مُعَرَّفا بأل دون تنكير هكذا — ابن العربي — ويُفَرِّقون بين العلمين بالنَّسَب؛ وهو أمر واضح ولا يَلتَبِس، بين ابن العربي المَعَافِري المالكي، وبين ابن العربي الحاتمي الصوفي الظاهري.

وقد نبه المَقَّري في نفح الطيب على هذه القضية فقال:" وكان بالمغرب يعرف بابن العربي بالألف واللام، واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام، فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي". [نفح الطيب ٢/١٧٥].

=

وقد اشتهر بابن سُرَاقَة،[1] وبالشيخ الأكبر،[2] وبابن أفلاطون،[3] وبالقشـــيري،[4] وذلك لتصوفه.

أضف إليه أن اسم ابن العربي الحاتمي ورد ذكره معرفا بأل في ديباجة ثبت مؤلفاته الـذي صنعـه لنفسه. [ينظر ثبت مؤلفاته ضمن الذخائر الشرقية لكوركيس عواد .../١٧٠].

وصرح ابن العربي الحاتمي بذكر اسمه معرفا أيضا عند ديباجة نص إجازته للملك المظفر بهاء الديـن بن الملك العادل (ت ٦٣٥هـ)، فقال:"أقول وأنا محمد بن علي بن العربي الحاتمي" [مخطـوط منـه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ١٩٩٤٥ب تصوف، وأخرى بها برقم: ٣٦٥ مصطلح، وغيرها]، ونَصَّ على مِثل ذلك في رسالة روح القدس ص:(١١٠).

ومن علماء المشرق الذين ترجموا لابن العربي الحاتمي مُعَرَّفاً تحقيقا للصواب في اسمه ابن الشـعار في عقود الجمان (مخطوط) نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية د.محمد بن شـريفة ص:(١٢٧)، وأبو شامة في الذيل على الروضتين ص:(١٧٠)، وابن الدُّبَيثي في تاريخه كما في المختصر المحتاج إليـه ص:(٥٨)، وابن الدمياطي في المستفاد ص:(٢٨)، والفيومي في نثر الجمان في تراجم الأعيان (مخطوط ج/٢ ق/١٢٤)، والذهبي في السير ٢٣/٤٨، وفي ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩، وفي تـاريخ الإسـلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، وابن الملقن في طبقات الأوليـاء ص:(٤٦٩)، والـداودي في طبقات المفسرين ٢/٢٠٤، والبغدادي في الدر الثمين ص:(٢١).

أما عند علماء المغرب والأندلس فإن الأمر معلوم ومشهور، ومن العلماء الذين نصوا على ذلـك التقي الفاسي في العقد الثمين ٢/١٦٠، والغبريني في عنوان الدراية ص:(١٥٦)، وابـن القـاضي في جذوة الاقتباس ١/٢٨١، وابن خاتمة في مَزِية ألمرية نقلا عن نفح الطيب ٢/١٧٥، والمقري في نفـح الطيب ٢/١٧٥، والكتاني في فهرس الفهارس ١/٣١٦.

هذا وقد دَرَجتُ في بحثي على ذكر ابن العربي الحاتمي مُعَرَّفا موافقة لما نص عليه بنفسه، ولمن تقـدم من الحفاظ المتقنين، ومتى ذكرته غُفلا عن نسبه الحاتمي، فالمراد هو عَينُه فَتَنَبه!!

(١) عنوان الدراية ص:(١٥٦).

ولا يظهر وجه تلقيبه بابن سراقة؛ خاصة إذا علمنا بأن ابن سراقة متأخر عن ابن العـربي في وفاتـه (٦٦٢هـ) كما في ترجمته في فوات الوفيات ٣/٢٤٥، والوافي بالوفيات ١/٢٠٨، ونفح الطيب ٢/٦٣.

(٢) نفح الطيب ٢/١٦٢، فهرس الفهارس ١/٣١٦، الحلل السندسية ٣/٣٨٦.

(٣) ابن عربي حياته ومذهبه لأسين بلاثيوس ص:(٥).

(٤) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، وذكره الحافظ ابن مَسْدي في معجمه كمـا في لسان الميزان ٦/٤٠٣.

المبحث الثاني

مـــولـــده وأســـرتـــه ومـــوطنـــه

ولد ابن العربي الحاتمي في مدينة مُرْسِية[1] ليلة الاثنين سابع عشر رمضان مـــن ســـنة ٥٦٠هـ، [2] في عهد خلافة المستنجد بالله العباسي[3] في المشرق، وكانت مدينتا مُرْسِية وبَلَنْسِية[4] آنذاك تحت حكم أبي عبد الله محمد بن مَرْدَنِيش الثائر، [5] الذي استقل بإمارته عن حكم دولة الموحدين بالمغرب زمن السلطان أبي يعقوب يوســف بن عبــد المؤمــن

---

(١) راجع عن مرسية ص:(١٦٦) من النص المحقق.

(٢) عقود الجمان لابن الشعار (مخطوط) نقلا عن تراجم مغربية في مصادر مشرقية نقلا عن د.محمـد بن شريفة ص:(١٢٨)، فوات الوفيات ٤٣٥/٣، الوافي بالوفيـات ١٧٣/٤، طبقـات المفسـرين للداوودي ٢٠٤/٢، نفح الطيب ١٦٢/٢، الدر الثمين للقاري ص:(٢٢)، نـشر الجمـان للفيومـي (مخطوط ج/٢ ل/١٢٤ب).

(٣) هو: المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي ولد في ربيع الأول سنة ٥١٨هـ، وبويع له بعد موت أبيه المقتفي سنة ٥٥٥هـ، واستمر في ولايته إلى أن مات عام ٥٦٦هـ.

ترجمته في الكامل في التاريخ ٣٥٧/٩، وفيات الأعيان ٢٣٤/٦، المنتظم ١٣٩/١٨ وما بعدها.

(٤) **بَلَنْسِية :Valencia**مدينة أندلسية ضخمة، ذات طبيعة سَهْلِية، ومن أمصار الأندلس وحواضرها المعروفة، وتعد اليوم ثالث المدن الإسبانية بعد مدريد وبرشلونة، وتقع في منطقة زراعيـة وصناعيـة على مقربة من الشاطئ الغربي الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، على بعد ٤٩٠ كيلو من مدريد، وقـد سقطت بأيدي النصاري الصليبيين سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م.

انظر الروض المعطار ص:(٩٧)، الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان ص:(٩٣).

(٥) هو: محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي أبو عبد الله، تملـك علـى شـرق الأندلس مدة وحكمها، عرف بشجاعته وبطولته منذ سن مبكرة من عمره، ونقم عليه أهل الأندلـس أمورا مخلة، وانتهى ملكه على يد السلطان يوسف بن عبد المؤمن الموحدي سنة ٥٦٦هـ، والـذي استرد جميع ما كان تحت يد ابن مردنيش من ولايات، ومات في نفـس السـنة، وقيـل في عـام ٥٦١هـ، وقيل غير ذلك.

انظر المعجب للمراكشي ص:(٢٧٨-٢٧٩)، الإحاطة ١٢١/٢-١٢٨، تاريخ ابن خلدون ٣/٦، نفح الطيب ٤٧٨/٤-٤٧٩.

الموحدي.[1][2]

وقضى سِنِي عمره الثماني الأولى بمرسية، ثم انتقل بعد ذلك إلى إشبيلية[3] سنة ٥٦٨هـ،[4] وأقام بها مدة ثلاثين سنة؛ أي إلى غاية ٥٩٨هـ قبل أن يرحل إلى بلاد المشرق.[5]

نشأ محيي الدين ابن العربي بين أحضان أسرة غنية نبيلة؛ حيث رَغَدُ العيش، ورفاهية الحياة، إذ كان أبوه وزيرا للسلطان.[6]

وذكر عَصرِيُّه ابن الشعار (ت ٦٥٤هـ) أن أهله كانوا أجنادا في خدمة المستولين على البلاد،[7] وصرح ابن العربي بأن أحد أخواله؛ وهو يحيى بن يُغَان كان قد تملك على مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط.[8]

ويَنُصُّ ابن العربي على أن نسب خؤولته ينتهي إلى التابعي الجليل أبي مسلم الخولاني.[9]

أما عن أعمامه فإن ابن العربي يشيد بعمه أبي محمد عبد الله بن محمد بن العربي؛ وهو شقيق والده، سلك طريق التصوف قبل أن يَلِجَه محيي الدين وقت جاهليته، كما يحلو له

---

(١) هو: السلطان يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب الكومي ولد سنة ٥٩٤هـ، وبويع له بحكم دولة الموحدين على بلاد المغرب، وبعض أجزاء الأندلس سنة ٦١٠هـ، واستمر في الحكم إلى أن مات عام ٦٢١هـ، وقيل في سنة ٦٢٠هـ. عرفت فترة حكمه اهتماما من دولة الموحدين بعدوة الأندلس جهادا، ودفاعا عن حوزتها.

ترجمته في: المعجب ص:(٤٠٤) وما بعدها، تاريخ ابن خلدون ٣١٩/٦-٣٢٥، نفح الطيب ٤٧/٤ الإستقصا للناصري ١٣٦/٢-١٥٨.

(٢) صرح بذلك في محاضرة الأبرار ٨٧/١.

(٣) ينظر عن إشبيلية ص:(٣٠٠) من النص المحقق.

(٤) نفح الطيب ١٦٢/٢.

(٥) التكملة لابن الأبار ١٤٥/٢-١٤٦، عنوان الدراية ص:(١٥٧)، نفح الطيب ١٦٢/٢.

(٦) الدر الثمين ص:(٢٢).

(٧) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية في مصادر مشرقية د. محمد بن شريفة ص: (١٢٨).

(٨) الفتوحات المكية ٣٥٢/١١ (نشرة: عثمان يحيى)، محاضرة الأبرار ١١٤/٢.

(٩) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٧).

أن يطلق عن هذه الفترة من عمره.[1]

ولم يُغْفِل محيي الدين الحديث عن والده علي بن محمد بن العربي، فقد وصفه بسلوك الطريق الصوفي، والمعرفة الذوقية حال موته؛ عندما علم بيوم وفاته، وأخبره به قبل موته، فكان كذلك، ويصف حال موته بأنها حالة يَشُك معها الناظر فيه بين الحياة والموت؛ وهو ما يطلق عليها محيي الدين في فكره الصوفي "منزل الأنفاس"؛ وهي منزلة لا يدركها عنده سوى الأنبياء والأولياء، يصفها بقوله:" وقد رأيت ذلك لوالدي رحمه الله يكاد أنَّا ما دَفَنَّاه إلا على شك مما كان عليه في وجهه من صورة الأحياء، ومما كان من سكون عروقه، وانقطاع نفسه من صورة الأموات، وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته، وأنه يموت يوم الأربعاء، وكذلك كان. فلما كان يوم موته، ــ وكان مريضا شديد المرض ــ استوى قاعدا غير مستند، وقال لي: يا ولدي اليوم يكون الرحيل واللقاء".[2]

ولا نجد في المصادر القديمة التي ترجمت لابن العربي الحاتمي كلاما عن حياة والده عدا الإشارات، التي يلتقطها القارئ مُشَتَّتة بين ثنايا الفتوحات المكية.

وفيما يخص زوجاته فقد تزوج ابن العربي الحاتمي عدة نساء، أنجبن له أولادا ذاع صيتُ بعضهم في العلم والأدب، ومنهن مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البِجَائِي، أثنى عليها ابن العربي، ووصفها بالصلاح والتقوى، ويظهر من كلامه عنها أنها كانت على مسلكه الصوفي؛ ولذا ساق عنها رؤية منامية قصتها عليه، ظهر له من خلالها معالم ما أسماه بمذهب القوم.

يقول عنها:" حدثتني المرأة الصالحة مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البِجَائي قالت: رأيت في منامي شخصا كان يتهادني في وقائعي، وما رأيت له شخصا قط في عالم الحس. فقال لها: تقصدين الطريق؟ قالت: فقلت له: إي والله وأقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا؟ قالت: فقال لي: بخمسة: وهي التوكل، واليقين، والصبر، والعزيمة، والصدق. فعرضت رؤياها علي، فقلت لها: هذا مذهب القوم".[3]

---

(١) الفتوحات المكية ١٧٩/٣ (نشرة: عثمان يحيى)، روح القدس ص:(١١٠).

(٢) الفتوحات المكية ٣٥٤/٣ (نشرة: عثمان يحيى).

(٣) نفس المصدر ٢٦٠/٤-٢٦١.

ومن زوجاته فاطمة بنت يونس بن يوسف بن أمير المؤمنين.(١)

ومنهن ابنة قاضي قضاة المالكية في دمشق،(٢) الذي كان يخدمه بنفسه؛ إلا أننا نجد كلا من الحافظ التقي الفاسي، والحافظ السخاوي يبطلان خبر زواجه من ابنة القاضي المالكي، ويعتبران ذلك ضربا من اختلاق الأخبار؛ ذلك أن القضاء لم يَصِر ببلاد مصر والشام على المذاهب الأربعة إلا بعد سنة ٦٦٥هـ، ولم يكن قبل هذا التاريخ قَضَاءٌ على المذهب المالكي بمصر والشام، وابن العربي توفي عام ٦٣٨هـ، فكيف يتفق زواجه بابنة قاضي قضاة المالكية في حياته بدمشق، وقضاء المالكية إنما وُجِد بعد ذلك بالشام.

وبهذا يظهر بطلان ما ذكرته المصادر من خبر زواجه بابنة قاضي قضاة المالكية.(٣)

ومن زوجاته والدة تلميذه وصاحبه صدر الدين القونوي، تزوجها أثناء رحلته إلى بلاد الروم،(٤) وتتلمذ الصدر القونوي على يديه، ولازمه ، وأخذ فكره الصوفي عنه، مما جنى عليه إنكار الفقهاء والعلماء.(٥)

وبخصوص أولاده فقد خلف ابن العربي من الأولاد ثلاثة؛ سعد الدين، وعماد الدين، وزينب.

أما ولده سعد الدين بن محمد بن علي بن العربي فقد كان أديبا، ذا شعر جيد في صنعته ونظمه، ولد بمَلَطْية(٦) في رمضان سنة ٦١٨هـ، وسمع الحديث، واهتم بالدرس والتحصيل، وله ديوان شعر مشهور، ومات عام ٦٥٦هـ.(٧)

ومن أبنائه محمد بن محمد بن علي عماد الدين ابن العربي توفي بالصالحية سنة ٦٦٧هـ، ودفن بسفح قاسيون بدمشق عند والده بتربة القاضي ابن الزَّكي،(٨) وجرت بينه وبين أخيه سعد الدين مكاتبات أدبية.(٩)

---

(١) الفتوحات المكية ٥٥٤/٤ (ط. بولاق).

(٢) نفح الطيب ١٧٩/٢، الدر الثمين ص:(٣٠).

(٣) القول المنبي للسخاوي (مخطوط ل/ ١٣ب).

(٤) الدر الثمين ص:(٢٣).

(٥) الوافي بالوفيات ٢٠٠/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٢٢/١.

(٦) ينظر عن ملطية ص:(٣٠٠) من النص المحقق.

(٧) نفح الطيب ١٧٠/٢.

(٨) ينظر ترجمته عند مبحث تلاميذ ابن العربي.

(٩) المصدر نفسه ١٧٢/٢.

ومنهم ابنته زينب التي يحكي عنها أنها كانت تُلهَم في المهد وهي لا زالت صَبِيَّةً بعدُ، لا يبلغ عمرها السنتين، إذ أجابت والدها عن مسألة فقهية، وافقت فيها الصواب.

يقول ابن العربي:" كانت لي بِنْتٌ ترضع، وكان عمرها دون السنتين، وفوق السنة، لا تتكلم، فأخذت ألاعبها يوما، فقلت لها: يا زينب، فأصغت إِلَيَّ، فقلت: إني أريد أن أسألكِ عن مسألة مُستَغْنِيا، ما قولك في رجل جامع امرأته و لم يترل، ماذا يجب عليه؟ قالت: يجب عليه الغسل، بكلام فصيح، وأمها وجَدَّتها يسمعان، فصرخت جدتها، وغشي عليها". (١)

(١) الفتوحات المكية ١٧/٣ (نشرة: بولاق).

المبحث الثالث:

نشأته وطلبه العلم

نشأ محيي الدين ابن العربي في مقتبل عمره على الشغف بالعلم والمعرفة، والقراءة على الشيوخ في عدة فنون، فأخذ بحظ وافر من علوم القراءات، واللغة والأدب، والحديث والفقه، وتلقى عن جماعة من علماء الأندلس والمغرب؛ سواء تعلق الأمر بموطنه مرسية أو بخارجها، كما سيتضح في موضعه عند الحديث عن شيوخه.

ويظهر جليا أن ابن العربي لم يسلك مسلك التصوف منذ حياته الأولى من سنوات شبابه، فقد ظل في هذه الفترة المبكرة مولعا بالأدب حتى مال إليه ميولا كبيرا، وأجاد في نظم الشعر،[١] ومكنه حدة ذكائه، وتيقظ ذهنه لأن يصبح من كتاب بعض الأمراء في الأندلس.[٢]

ويذكر لنا معاصره ابن الشعار أنه عمل جنديا في خدمة ولاة البلاد؛[٣] وهم أمراء الموحدين بالمغرب، الذين ظلوا يحكمون بعض الأراضي الأندلسية لفترة طويلة، ثم رجع بعد ذلك عن الجندية في سنة ٥٨٠هـ؛ بسبب حادثة حصلت له مع الأمير أبي بكر بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، اعتبرها ابن العربي سبب سلوكه الطريق الصوفي، وتركه الخدمة بالجندية عند الولاة.

يقول ابن الشعار: وحدثني ـــ أي ابن العربي ـــ من لفظه قال:" كان سبب انتقالي عن الجندية، ونبذي لها، وسلوكي هذه الطريقة وميلي إليها، أنني خرجت صحبة مخدومي الأمير أبي بكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بقرطبة قاصدين المسجد الجامع، فنظرته في ركوع وسجود، وخشوع كثير الابتهال إلى ربه ﷻ فخطر لي خاطر أن قلت في نفسي: إذا كان هذا ملك البلاد خاضعا متذللا يصنع هذا بين يدي الله تعالى ﷻ فما

---

(١) التكملة لابن الأبار ١٤٦/٢، نفح الطيب ١٦٣/٢.

(٢) التكملة ١٤٦/٢، السير ٤٨/٢٣.

(٣) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية د. محمد بن شريفة ص:(١٢٨).

الدنيا بشيء، ففارقته من ذلك اليوم، وما عدت رأيته أبدا، ثم لزمت هذه الطريقة".[1] وتعتبر هذه الإضافة من الإضافات الجيدة التي انفرد بها ابن الشعار في حياة ابن العربي عن باقي المصادر التي ترجمت له، ساعده على ذلك لقاؤه به وسماعه منه، وكان هذا اللقاء في حلب يوم الأربعاء سادس ربيع الأول سنة ٦٣٥هـ، كما يذكر ابن الشعار عن نفسه، علما بأن ترجمة ابن الشعار لابن العربي تتميز بقيمة علمية خاصة عن باقي التراجم الأخرى له، فقد صرح بأنه قرأها عليه، وأجازه بها وبباقي كتبه وأشعاره[2].

وكان ابن العربي في هذه الحقبة من عمره شغوفا بحب الصيد، والتفرغ له، ووصف هذه الفترة بأنها فترة جاهلية، يقول عنها:" مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعي والدي، وأنا ما بين قَرْمُونة وبَلمَة من بلاد الأندلس، وإذا بقطيع وَحْشٍ ترعى، وكنت مولعا بصيدها".[3]

وقد وجد ابن العربي الجو المناسب بين أهله وأسرته لولوج طريق التصوف، وسلوك هذا المسلك، إذ كان أبوه وأعمامه وأحد أخواله صوفية،[4] وهو تصوف لا يعدو كونه سلوكا لا يصل إلى مستوى مذهب ابن العربي في وحدة الوجود، الذي تشكل عنده بعد هذه المرحلة من حياته، حتى غدا فكرا صوفيا فلسفيا لم يسبق إليه بالصورة التي طرحها.

والمُهِم أن ابن العربي وجد في بيئة والديه وأهله الصوفية مناخا ملائما لسلوك التصوف، والاتصال بشيوخ هذا الطريق في المغرب والأندلس، عبر الجولات والرحلات التي كان يعقدها للجلوس إليهم، إلى جانب شيوخه في باقي العلوم النقلية والعقلية؛ من حديث وفقه وقراءات وتاريخ ولغة وأدب وغيرها.

إذن فبداية الطريق الصوفي مع ابن العربي كانت سنة ٥٨٠هـ، عندما تخلى عن خدمة الأمير الموحدي، واتجه إلى شيوخ الصوفية ليملأ بهم فراغه الروحي كما يقول عن نفسه،[5] وهو ما يوافق سن الحادية والعشرين من عمر محيي الدين؛ وهو مقتبل العمر، وأيام الصفاء والتأسيس الفكري.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص:(١٢٩).

(٣) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٨-٩).

(٤) الفتوحات المكية ٣/١٧٩، ٣/٣٥٤ (نشرة: عثمان يحيى).

(٥) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية من مصادر مشرقية ص:(١٢٨).

ويفصح ابن العربي في هذه الفترة من حياته عن علاقته مع الفيلسوف الفقيه أبي الوليد ابن رشد[1] الذي سعى إلى لقائه، وهو بَعدُ شاب لم يَبْقُل[2] وجهه، وأرسل إلى والده في طلب حضوره لرؤيته ومجالسته، ويصف لنا ابن العربي هذا اللقاء بينهما بقوله: " ولقد دخلت يوما بقرطبة على قاضيها أبي الوليد ابن رشد، وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله به عَلَيَّ في خلوتي، فكان يظهر التعجب مما سمع، فبعثني والدي إليه في حاجة قصدا منه حتى يجتمع بي، فإنه كان من أصدقائه، وأنا صبي ما بَقَل وجهي، ولا طُرَّ شاربي، فعندما دخلت عليه قام من مكانه إِلَيَّ محبة وتعظيما".[3]

ويمكن القول بأن ابن العربي قد بدأ طريقة الصوفية في الرياضات والخلوات، والانقطاع لها في وقت مبكر من عمره، مع العكوف على مطالعة كتب التصوف، واللقاء بشيوخ الطرق، يؤكد ذلك إشاراته المتفرقة في كتابه الفتوحات خاصة،[4] لأسماء الشيوخ الصوفية بعدوة الأندلس.

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد أبو الوليد ابن رشد الأندلسي ولد سنة ٥٢٠هـ، فيلسوف فقيه من أهل قرطبة، صنف أكثر كتبه في الفلسفة والطبيعيات، وعُني بكلام أرسطو وترجمة كتبه إلى العربية، له خمسون كتابا مصنفا، مات عام ٥٩٥هـ بمراكش.

ترجمته في: تاريخ قضاة الأندلس للنبهاني ص:(١٤٤)، بغية الملتمس للضبي ص:(٥٤)، عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص:(٥٣٠)، التكملة لابن الأبار ٢/٧٣-٧٤.

(٢) بَقَل الشيء ظهر، وهو مشتق من البَقْل، وبقلت الأرض أنبتت، واستعير مجازا فقيل بَقَل وجه الغلام إذا خرج شعره يعني لحيته.

ينظر لسان العرب [مادة: بقل]، تاج العروس ١٤/٥٩.

(٣) الفتوحات المكية ٢/٣٧٢ (نشرة: عثمان يحيى).

(٤) ينظر الفتوحات المكية ١١/٢٧٢-٢٧٣، ٣٢٢، ٤/١٠٧، ٣/٣٠٤ (نشرة: عثمان يحيى).

الفصل الثاني

حياة ابن العربي العلمية

◆ وفيه ثلاثة مباحث:

● المبحث الأول: شيوخه ورحلاته العلمية.

● المبحث الثاني: تلاميذه الذين أخذوا عنه.

● المبحث الثالث: مصنفاته ووفاته.

المبحث الأول

شيوخه ورحلاته العلمية

• شيوخه:

سبقت الإشارة إلى كثرة شيوخ ابن العربي الحاتمي الذين أخذ عنهم، وحرصه على اللقاء للإفادة والسماع منهم؛ وهم نوعان: شيوخ أفاد منهم في علوم الحديث والقراءات والفقه ونحوها من العلوم التي حرص عليها كآلة تساعده في الفهم والدرس، وشيوخ أخذ عنهم التجربة الصوفية، وأفادوه أصول التصوف السلوكي؛ وهم على درجة من الأهمية بالغة في حياة ابن العربي العلمية والفكرية أكثر من النوع الأول.

كما أن كثرة رحلات ابن العربي داخل الأندلس والمغرب، وفي المشرق بعد ذلك كان لها دور واضح، وطابع متميز في دَرسِهِ العلمي، وتجربته الصوفية الفلسفية، التي سأعرض للكلام عنها بعد الحديث عن أبرز شيوخه الذين ساهموا في إنتاج فكره الصوفي الممزوج بعدة ثقافات مختلفة.

وقد حرص ابن العربي على الأخذ عن شيوخ بلده إشبيلية، وباقي بلاد الأندلس، والمغرب، ومصر، والشام، والحجاز، فمزج في شيوخه بين مَعِين مغربي أندلسي، ومورد مشرقي، مما شكل عنده خليطا من الثقافات، والدرس العلمي السائد في عصره، ولذلك نجد الحفاظ لا يترددون في وصف سعة علمه واطلاعه، رغم عدم اتفاقهم معه في مسلكه العقدي الصوفي. يقول الحافظ ابن الزبير:" وله سعة وتصرف في الفنون من العلم".[1]

ونَصَّ على مثل ذلك الحافظ ابن مَسْدي بقوله:" وكان جميل الجملة والتفصيل، مُحَصِّلا لفنون العلم، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق".[2]

واعترف الحافظ الذهبي بهذا الأمر فقال:" وكان ذكيا كثير العلم".[3]

ولكن ابن العربي استثمر هذا الرصيد العلمي الذي تلقاه عن شيوخه، وهذه المعرفة الثقافية الواسعة التي وصفوه بها في تأسيس مذهب صوفي فلسفي دخيل على حياة الأمة، وعقيدتها الصافية التي ورثتها عن الجيل الأول.

---

(١) لسان الميزان ٦/٤٠٢.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، لسان الميزان ٦/٤٠٣.

(٣) السير ٢٣/٤٨.

وتعتبر رسالته "روح القدس"[1] التي صنفها وبعث بها لصاحبه محمد بن عبد العزيز ابن أبي بكر القرشي المهدوي، نزيل تونس، على صِغَر حجمها مصدرا مهما لمعرفة الكثير عن رحلاته وشيوخه الذين التقى بهم، وأخذ عنهم، يضاف إلى هذه الرسالة ما بَثَّه في كتابه الضخم الفتوحات المكية من كلام متفرق عن مشيخته ولقياه.

ومن أبرز الشيوخ الذين أفاد منهم ابن العربي في بداية حياته العلمية في علوم القرآن والقراءات أبو بكر محمد بن خلف بن صاف اللَّخْمِي،[2] قرأ عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع في إشبيلية، وأخذ عنه كتاب "الكافي" لأبي عبد الله محمد بن شريح الرُّعَيْني[3] المقرئ في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدث به عن ابن المؤلف[4] عن أبيه.[5]

ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط القرطبي،[6] قرأ عليه القرآن الكريم

---

(١) طبعت عدة طبعات أولها بتحقيق المستعرب أسين بلاثيوس (ط. مدريد١٩٣٩م)، وأعيد نشرها بمصر، وتقدم د. حامد طاهر بدراستها وتحقيقها لنيل درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

(٢) هو: الإمام أبو بكر الإشبيلي المقرئ النحوي، أحد الحذاق، له شرح كتاب الفصيح، و"الأشعار الستة" مات ٥٨٥هـ.

ترجمته في: السير ٢١/١٢٥، معرفة القراء الكبار ٣/١٠٦٢، غاية النهاية ٢/١٣٧-١٣٨، بغية الوعاة ١/١٠٠-١٠١.

(٣) هو: الإمام أبو عبد الله الرعيني الإشبيلي المقرئ الأستاذ، من جلة قراء الأندلس، له كتاب "الكافي" و"التذكير" مات عام ٤٧٦هـ.

ترجمته في: فهرسة ابن خير ص:(٣٢، ٣٥، ٣٨) وغيرها، بغية الملتمس ص:(٨١)، معرفة القراء الكبار ٢/٨٢٤-٨٢٥، غاية النهاية ٢/١٥٣.

(٤) لسان الميزان ٦/٤٠١، طبقات المفسرين للداوودي ٢/٢٠٤، نفح الطيب ٢/١٦٢، غاية النهاية ٢/٢٠٨.

(٥) هو: شريح بن أحمد أبو الحسن الرعيني الإشبيلي الإمام المقرئ ابن مصنف كتاب "الكافي" ولد سنة ٤٥١هـ، ومات عام ٥٣٩هـ.

ترجمته في: فهرسة ابن خير ص:(٣٨، ٣٩، ٤٠)، الصلة ١/٢٢٩، السير ٢/١٤٢، معرفة القراء الكبار ٢/٩٥٣.

(٦) هو: أبو القاسم ابن الشراط الأنصاري شيخ القراء بقرطبة، مات عام ٥٨٦هـ.

ترجمته في: التكملة للمنذري ١/١٣٩، السير ٢١/١٥٠، معرفة القراء الكبار ٣/١٠٩٢، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٦٠.

بالسبع بكتاب الكافي، وحدث به عن ابن المؤلف. [١]

ومنهم قاضي مدينة فاس أبو محمد عبد الله بن محمد التادلي[٢] سمع عليه كتاب "التبصرة" في مذاهب القراء السبعة لأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ. [٣][٤]

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة[٥] الفقيه المقرئ، سمع عليه كتاب "التيسير" لأبي عمرو الداني[٦] عن أبيه عن ابن المؤلف. [٧]

ومن علماء الحديث الذين أخذ عنهم ابن العربي الحاتمي، وأجازوه القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري،[٨] سمع عليه مصنفات الحافظ المحدث ابن

---

(١) لسان الميزان ٤١/٣، طبقات المفسرين للداوودي ٢٠٤/٢، نفح الطيب ١٦٢/٢.

(٢) هو: أبو محمد التادلي فقيه أديب مفتي قاضي فاس ولد سنة ٥١١هـ ومات عام ٥٩٧هـ.
ترجمته في: لسان الميزان ١٢٨/٤، السير ٣٩٣/٢١.

(٣) هو: الإمام أبو محمد القيسي المغربي القيرواني الأندلسي القرطبي المقرئ ولد سنة ٣٥٥هـ، صاحب التصانيف الكثيرة في علوم القرآن مات عام ٤٣٧هـ.
ترجمته في: بغية الملتمس ص:(٤٦٩)، إنباه الرواة ٣١٣/٣-٣١٩، السير ٥٩١/١٧-٥٩٣، معرفة القراء الكبار ٧٥١/٢-٧٥٢، بغية الوعاة ٢٩٨/٢-٣١٩.

(٤) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداودي ٢٠٥/٢.

(٥) هو: العلامة أبو بكر ابن أبي جمرة الأموي مولاهم المرسي، صنف وحدث، وسمع وروى عن الكبار مات عام ٥٩٩هـ.
ترجمته في:معرفة القراء الكبار ١١١٥/٣، غاية النهاية ٦٩/٣، شذرات الذهب ٣٤٢/٤.

(٦) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني الأموي مولاهم القرطبي، ويعرف أيضا بابن الصيرفي الإمام المقرئ الحافظ ولد سنة ٣٧١هـ، قرأ بالروايات، وسمع الحديث، وبرع في علم القراءات والحديث والعربية وغيره، وله مصنفات في غاية الحسن والإتقان مات عام ٤٤٤هـ.
ترجمته في: فهرسة ابن خير ص:(٢٩، ٤١، ٧٢) وغيرها، بغية الملتمس ص:(٤١١)، إنباه الرواة ٣٤١/٢، معرفة القراء الكبار ٧٧٣/٢، السير ٧٧/١٨، غاية النهاية ٥٠٣/١، نفح الطيب ١٣٥/٢.

(٧) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٤/٢، نفح الطيب ١٦٢/٢.

(٨) هو: الإمام الفقيه المقرئ أبو عبد الله بن زرقون الأنصاري الأندلسي الإشبيلي المالكي، سمع عن جلة من الأعلام بالمغرب والأندلس عدة كتب كبار، مات عام ٥٨٦هـ.
ترجمته في: السير ١٤٧/٢١، الوافي بالوفيات ١٠٢/٣، غاية النهاية ١٤٣/٢، النجوم الزاهرة ١١٢/٦.

عبد البر؛[1] كالتمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، والانتقاء.[2]

ومنهم المحدث الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي،[3] سمع عليه جميع مصنفاته في الحديث؛ منها الأحكام الصغرى، والوسطى، والكبرى، وكتاب التهجد، وكتاب العاقبة.

وقد ذكر ابن العربي في إجازته للملك المظفر الأيوبي أنه لقي الحافظ عبد الحق الإشبيلي، وأنه حدثه بهذه المصنفات، وبكتب الإمام أبي محمد بن حزم؛[4] إلا أننا نجد الحافظ ابن مَسْدي صاحب المعجم الكبير في أهل الأندلس، يتوقف في سماع ابن العربي من عبد الحق الإشبيلي، ويقول:"وفي ذلك عندي نظر".[5]

ومنهم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحَرَسْتاني،[6] ذكر أنه سمع عليه صحيح مسلم، وأنه أجازه الإجازة العامة.[7]

---

(١) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمْري الأندلسي القرطبي المالكي، ود سنة ٣٦٨هـ، إمام المغرب بلا منازع، وحافظ الدنيا في وقته، محدث فقيه أديب، صاحب التصانيف الباهرة الفائقة، عالم بالقراءات وبالخلاف، وبعلوم الحديث ورجاله، من آثاره المجيدة"التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" رتبه على أسماء شيوخ مالك، وله غير ذلك من المصنفات المتقنة.

ترجمته في: جمهرة أنساب العرب ص:(٣٠٢)، جذوة المقتبس ص:(٣٤٤)، ترتيب المدارك ١٢٧/٨، السير ١٥٣/١٨، تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣.

(٢) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، نفح الطيب ١٦٢/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١، فهرس الفهارس ٣١٧/١.

(٣) هو: الإمام الحافظ البارع أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الأزدي يعرف بابن الخراط، ولد سنة ٥١٤هـ، فقيه عالم بالحديث وعلله، وعارف بالرجال، سارت بمصنفاته الركبان، منها "الأحكام الكبرى"، و"الأحكام الصغرى" والوسطى، مات عام ٥٨١هـ.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢٥٦/٢، السير ١٩٨/٢١، تذكرة الحفاظ ١٣٥٠/٤، عنوان الدراية ص:(٢٠)، شذرات الذهب ٢٧١/٤.

(٤) نفح الطيب ١٦٤/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١.

(٥) العقد الثمين ١٦١/٢، نفح الطيب ١٦٤/٢.

(٦) هو: أبو القاسم جمال الدين ابن الحرستاني الأنصاري الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٢٠هـ، الإمام العالم المفتي المعَمَّر، مسند الشام، مات عام ٦١٤هـ.

ترجمته في: الذيل على الروضتين ص:(١٠٥)، طبقات الإسنوي ٢١٣/١، العقد المذهب ص:(١٥٢)، السير ٨٠/٢٢، ذيل التقييد ٣٦/٣.

(٧) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١.

ومنهم يونس بن يحيى بن أبي الحسن العباسي الهاشمي[1] نزيل مكة، ذكر أنه سمع عليه كتبا كثيرة في الحديث والرقائق، ومنها كتاب صحيح البخاري.[2]

ومن هؤلاء العلماء المحدثين الذين سمع منهم بمكة زاهر بن رستم الأصفهاني[3] إمام المقام بالحرم، صرح بأنه سمع منه كتاب الجامع للترمذي أبي عيسى، وأجازه الإجازة العامة.[4]

ومنهم البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري، إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف،[5] نص على أنه سمع عليه كتبا كثيرة؛ كالسنن لأبي داود السجستاني، وأجازه الإجازة العامة.[6]

ومن شيوخه الذين صرح بهم في الحديث أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطَّالْقَاني القزويني،[7] ذكر أنه حدثه بتأليف البيهقي، وأنه أجازه الإجازة العامة.[8]

وقد طعن الحافظ الذهبي في سماع ابن العربي من الطالقاني، وقال:"هذا إفك بَيِّنٌ ما لحقه أبدا".[9]

---

(١) هو: الهاشمي الأزجي القصار المجاور، حدث عنه جماعة، مات عام ٦٠٨هـ بمكة.

ترجمته في: السير ١٢/٢٢، ذيل التقييد ٣٥٨/٣، إتحاف الورى لابن فهد ٦٣/٣، شذرات الذهب ٣٦/٥.

(٢) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١.

(٣) ينظر ترجمته من النص المحقق ص:(٢٩٨).

(٤) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١.

(٥) هو: نصر بن أبي الفتوح بن محمد أبو الفتوح برهان الدين بن أبي الفرج البغدادي الحنبلي يعرف بابن الحُصْري، ولد سنة ٥٣٦هـ، قرأ بالروايات الكثيرة على جماعة، يُشار إليه بالحفظ والإتقان مات عام ٦١٩هـ.

ترجمته في: الذيل على الروضتين ص:(١٣٣)، التكملة للمنذري ٦٩/٣، معرفة القراء الكبار ١١٧٦/٣، السير ١٦٣/٢٢، تاريخ الإسلام وفيات سنة ٦١١-٦٢٠هـ ص:(٤١٩-٤٢١)، العقد الثمين ٣٣٢/٧.

(٦) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٣/١.

(٧) ينظر ترجمته من النص المحقق ص:(١٦٣).

(٨) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، جامع كرامات الأولياء ٢٠٤/١، فهرس الفهارس ٣١٨/١.

(٩) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥).

ومنهم المحدث أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي[(١)] صرح بأنه أجازه الإجازة العامة، وبرواية كتب عبد الرحمن السلمي عنه.[(٢)]

ومن علماء الحديث الكبار الذين ذكر ابن العربي بأنهم أجازوه الحافظ ابن عساكر القزويني[(٣)] صاحب تاريخ دمشق، والحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،[(٤)] بإجازته له برواية جميع مصنفاته، ونظمه ونثره، وبخاصة كتاب "صفة الصفوة"، و"مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن" وغيرها.[(٥)]

وأجازه بسبتة[(٦)] أبو محمد عبد الله بن عبيد الله الحجري[(٧)] في فن الحديث،[(٨)]

---

(١) ينظر ترجمته من النص المحقق ص:(٥٨).

(٢) التكملة لابن الأبار ١٤٦/٢، لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، جامع كرامات الأولياء ٢٠٤/١، فهرس الفهارس ٣١٨/١.

(٣) هو: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الشافعي ولد سنة ٤٩٩هـ، إمام علامة حافظ كبير، محدث الشام، صاحب تاريخ دمشق وغيره من المصنفات الجيدة مات عام ٥٧١هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣٠٩/٣، السير ٥٥٤/٢٠، تذكرة الحفاظ ١٣٢٨/٤، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص:(١٨٦)، النجوم الزاهرة ٧٧/٦.

(٤) ينظر ترجمته من النص المحقق ص:(٣٣).

(٥) لسان الميزان ٤٠١/٦، طبقات الداوودي ٢٠٥/٢، نفح الطيب ١٦٢/٢، فهرس الفهارس ٣١٨/١.

(٦) **سبتة:** مدينة مغربية عتيقة، تقع شمال المغرب الأقصى، وتطل على البحر الأبيض المتوسط، تبعد عن مدينة تطوان شمال المغرب بنحو ٤٥ كيلو تقريبا، ولا زالت المدينة تئن تحت وطأة الاستعمار الإسباني إلى اليوم، فرج الله عنها الكربة.

وينسب إلى هذه المدينة العتيقة جماعة من كبار الحفاظ والعلماء المغاربة.

(٧) هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن ذي النون الحجري الأندلسي المرسي الفقيه الحافظ الزاهد المالكي ولد سنة ٥٠٥هـ، أحد أئمة الأندلس، كان له بصر بصناعة الحديث، مات عام ٥٩١هـ.

ترجمته في: صلة الصلة ١١٩/٣-١٢٤، بغية المتلمس ص:(٣٢٥)، السير ٢٥١/٢١، الوافي بالوفيات ٥٧٥/١٧، جذوة الاقتباس ٤٢٧/٢، شذرات الذهب ٣٠٧/٤.

(٨) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية د.محمد بن شريفة ص:(١٢٨)، العقد الثمين ١٦٠/٢، طبقات الداوودي ٢٠٨/٢.

وأبو الحسين يحيى بن الصايغ السبتي،[1] ومحمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسي،[2] [3] وسمع بقرطبة[4] من الحافظ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال،[5] ومن جماعة غيره بها.[6]

وممن أجاز ابن العربي أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الأندلسي،[7] صرح بأنه حدثه بكتاب **الروض الأنف** في شرح السيرة والمعارف والأعلام، وبجميع مصنفاته.[8]

هؤلاء بعض أبرز الشيوخ والأعلام الذين أجازوا ابن العربي الحاتمي، وقد اهتم بذكر جميعهم، ونَصَّ على أسانيده في روايته عنهم كتب السنة والتواريخ والأنساب والأدب في كتابه **المسامرات**،[9] كما ترجم لشيوخه في كتابه **الدرة الفاخرة فيمن انتفعت به في**

---

(١) هو: يحيى بن محمد بن علي أبو الحسين بن الصايغ الأنصاري السبتي الصوفي، مات عام ٦٠٠هـ.
ترجمته في: الذيل والتكملة ٨/٤١٣-٤٢٠، رسالة روح القدس ص:(١٣٤).

(٢) هو: أبو عبد الله الفاسي رحل إلى المشرق، وروى جماعة، محدث حافظ عارف بالرجال وتورايخهم، وله مصنفات كثيرة.
ترجمته في: الذيل والتكملة ٨/٣٥٢-٣٥٦، فهرس الفهارس ٢/٩٤.

(٣) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية د. محمد بن شريفة ص:(١٢٨)، جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٦.

(٤) ينظر عن قرطبة النص المحقق ص:(٢٩٩).

(٥) ينظر ترجمته من النص المحقق ص:(٢٩٨).

(٦) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٣٨هـ ص:(٣٧٥)، لسان الميزان ٦/٤٠٢، جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٤.

(٧) هو: أبو القاسم وأبو زيد السهيلي الخثعمي ولد سنة ٥٠٨هـ، حافظ عالم باللغة والسير والتفسير، حافظ للتاريخ القديم والحديث، لد عدة مصنفات جيدة منها "الروض الأنف" في شرح سيرة ابن هشام وغيره مات عام ٥٨١هـ.
ترجمته في: صلة الصلة ٣/١٩٢-١٩٤، بغية الملتمس ص:(٣٥٤)، وفيات الأعيان ٣/١٤٣، نكت الهميان ص:(١٨٧)، إنباه الرواة ٢/١٦٢.

(٨) جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٦.

(٩) ذكر له الشيخ عبد الحي الكتاني نسخة خطية، عليها خط المؤلف، وقف عليها بتونس، ينظر فهرس الفهارس ١/٣١٨.

طريق الآخرة وهو في مجلدين،[1] وضمن إجازته للملك المظفر الأيوبي التي كتبها له إجابة لاستدعائه لها بذكر أسماء شيوخه، وبعض سماعاته، وما تيسر لـــه من أسمـــاء مصنفاته[2]

هذا عن الشيوخ والحفاظ الذين أجازوا ابن العربي بالرواية في العلوم الشرعية النقليــة؛ وهي تشكل جانبا مهما من درسه العلمي، واطلاعه المعرفي، وسيظهر أثناء عرض مصلدر ابن العربي المعرفية في عقيدته، كيف اجتهد في توظيف هذا الجانب العلمي من ثقافتـه في خدمة مذهبه في وحدة الوجود.

وفيما يتعلق بالصنف الآخر من شيوخ ابن العربي في التصوف، الذين صرح باستفادته منهم رجالا ونساء، فقد اهتم بالكلام عنهم، ومدح كلامهم، وبَيَّن مدى تأثره بذلك كله في رسالته روح القدس، وبين ثنايا كتابه الضخم الفتوحات المكية.

ولا أرى مانعا من ذكر بعض هؤلاء شيوخ الصوفية الذين أفاد ابن العربي الحاتمي منهم في مسلكه الصوفي رجالا ونساء.

منهم الشيخ أبو جعفر الرعيني أخذ عنه بإشبيلية عند دخوله إليها، وقد أثنى عليه كثيرا عند ترجمته له، واعترف بإفادته منه؛ وهو أحد شيخين ذكر ابن العربي أن لهما تأثيرا على فكره الصوفي، وبخاصة في بداية طريقه.[3]

ومنهم الشيخ يوسف بن يخلف الكومي العبسي، مدحه ابن العربي كثيرا، ونَوَّه بتقدمه في طريق التصوف، وبلوغه درجة الولاية الصوفية، ويظهر من كلامه أنه كان ذا تأثـير قوي عليه، وترك طابعا صوفيا واضحا على فكره؛ إذ يقول:" جل ما أنا فيه من بركتــه، وبركة أبي محمد المروزي[4]".[5]

ومن هؤلاء الشيوخ الصوفية الذين أفاد منهم ابن العربي في فكره الصوفي، الشيخ أبـو عمران موسى بن عمران المَارْتِلي،[6] أثنى عليه ثناء بالغا، وأشاد باقتدائه به في السلوك

---

(١) فهرس الفهارس ٣١٨/١.

(٢) راجع إن شئت نص هذه الترجمة كاملة في جامع كرامات الأولياء ٢٠٢/١-٢١٠.

(٣) روح القدس ص:(٩٠) وما بعدها.

(٤) ترجمته في روح القدس ص:(١١١) وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه ص:(٩١).

(٦) المصدر نفسه ص:(١٠١).

والمسلك.[1]

ومن شيوخه الصوفية نِسَاءٌ اختلف إليهم ابن العربي للأخذ عنهم؛ منهم شمس مَرْشَانة الزيتون الملقبة بأم الفقراء،[2] تردد عليها مرارا، ومَجَّد همتها العالية في التصوف، فقال: "ما لقيت في الرجال مثلها في الحمل على نفسها، كبيرة الشأن...".[3]

وزُبْدَةُ الحديث أن شيوخ ابن العربي في التصوف كُثْرٌ، ولا يتسع المقام لجميعهم؛ ولكن أردت ذكر أبرزهم، وأكثرهم تأثيرا في حياته، ويبقى ما أثبته في رسالته روح القدس، وفي الدرة الفاخرة، وبين أحضان كتابه الفتوحات المكية الغُنْيَة والكِفَاية، لمن أراد المَزِيدَ والدِّرَاية.

- **رحلاته العلمية:**

تَاقَت نَفْسُ ابن العربي الحاتمي إلى الرحلة عن بلده إشبيلية، إلى أرجاء عَدْوَة الأندلس، وعدوة المغرب كبداية للبحث عن الشيوخ للقائهم، والسماع منهم، وكانت رغبته قد اتجهت نحو طريق التصوف؛ فهو يركز في أسفاره على لقاء شيوخ الصوفية أكثر من غيرهم.

ويمكن القول بأن رحلة ابن العربي أخذت وجهتين: وجهة أندلسية مغربية، ووجهة مشرقية، ولكل من هاتين الوجهتين أثرها الواضح في ثقافته وفكره.

شكلت الوجهة الأندلسية بمدها وقُرَاها رحلة ابن العربي الأولى للقاء الشيوخ، وكانت بداية هذه الرحلة من مُرْسِية بَلَدِ ولادته، إلى مدينة إشبيلية مَحَلِّ إقامته، مع أهله سنة ٥٦٨هـ، واستمرت إقامته بها إلى غاية عام ٥٩٨هـ[4] تاريخ رحلته إلى المشرق، تخلل هذه الفترة من عمره عدة تنقلات له داخل الأندلس وبلاد المغرب، وكان اهتمامه بالأخذ عن شيوخ بلده إشبيلية؛ عندما درس القرآن ببعض الروايات على شيخه المقرئ محمد بن خلف بن صاف سنة ٥٧٨هـ، كما حرص على اللقاء بالقاضي الفيلسوف أبي الوليد ابن

---

(١) المصدر نفسه ص:(١٠١-١٠٥).

(٢) المصدر نفسه ص:(١٣٧) وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه ص:(١٣٧).

(٤) نفح الطيب ١٦٢/٢.

رشد في قرطبة بطلب منه.[1]

ثم توجه إلى مَوْرُور[2] (Moror) بحثا عن شيخ صوفي هو أبو عبد الله بن الأستاذ المَوْرُوري الحاج ليأخذ عنه مقام التوكل، وقد أشار عليه بتأليف أول كتبه وهو **التدبيرات الإلهية**، صرح بذلك في ديباجة الكتاب فقال:" سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنه لما زرت الشيخ الصالح أبا محمد الموروري بمدينة مَوْرُور، وجدت عنده كتاب **سر الأسرار** صنعه الحكيم أرسطو لذي القرنين لما ضعف عن المشي معه. فقال لي أبو محمد: هذا المؤلف قد نظر في تدبير هذه المملكة الإنسانية التي فيها سعادتنا، فأجبته وأودعت في هذا الكتاب من معاني تدبير الملك الكبير".[3]

وانتقل بعد ذلك إلى مرشانة الزيتون؛[4] حيث كان يتردد إلى الشيخة الصوفية شمس أم الفقراء،[5] وجرت له حادثة مع شخص كان يدرس كتاب **المدينة الفاضلة** للفارابي، أنكر عليه ابن العربي ما تضمنه الكتاب من آراء فلسفية.[6]

ثم تحول إلى مدينة الزهراء[7] وفيها أنشد أبياتا يتحسر فيها على خراب قرطبة؛ فبعد أن كانت ملاذا للعلم والعلماء، غدت المدينة مَأْوىً للوحوش والطير[8].

---

(١) الفتوحات المكية ٣٧٢/٢ (نشرة: عثمان يحيى).

(٢) **مَوْرُور**: كور متصلة بأحواز مدينة قرمونة من جزيرة الأندلس، وهي من مدن قرطبة بين الغرب والقبلة، تبعد عن قرطبة ستين ميلا، ولم أتوصل إلى معرفة محلها اليوم.

انظر الروض المعطار ص:(٥٦٤)، فرحة الأنفس لابن غالب ص:(٢٩٣) (طبعة مقتطعة من الكتاب ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية عدد: ١ عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م).

(٣) التدبيرات الإلهية نقلا عن ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٣٠-٣١).

(٤) **مرشانة الزيتون**: مدينة بكورة إشبيلية، ومرشانة أيضا من حصون ألمرية.

انظر الروض المعطار ص:(٥٤٢).

(٥) روح القدس ص:(١٣٧).

(٦) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٣١).

(٧) **مدينة الزهراء**: بناها الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله في سنة ٣٢٥هـ، واستمر بناؤها إلى حين وفاته سنة ٣٥٠هـ، وقد اعتني ببنائها جودة وإتقانا وجمالا، وكان معمارها من الروعة والعظمة بمكان، وتقع أطلالها اليوم غربي قرطبة، على بعد نحو سبعة أميال منها، ويطلق عليها الإسبان قرطبة القديمة Cordoba La Vieja.

انظر كتاب فرحة الأنفس لابن غالب ص:(٢٩٩) وما بعدها (مجلة معهد المخطوطات العربية)، الآثار الأندلسية الباقية لعنان ص:(٣٥) وما بعدها.

(٨) محاضرة الأبرار ٢٦٠/١.

كما اتجه إلى قرية قَبْرَفِيق[1] للقاء شيخ صوفي هو أبو عبد الله بن جنيد القَبْرَفِيقي، ذكر عنه بأنه كان على مذهب المعتزلة، وجرت بينهما مناقشة ومذاكرة، انتهت كما يقول ابن العربي برجوعه عن قوله في بعض المسائل.[2]

ومنها رحل إلى مدينة سبتة بالمغرب؛ حيث لقي الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبد الله الحَجْري وكان ذلك عام ٥٨٩هـ،[3] ثم إلى جزيرة طريف،[4] التقى فيها بالشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن طريف،[5] وذكر محبته له، وقصده له في بلده مرتين.[6]

وانتقل بعدها إلى تلمسان[7] عام ٥٩٠هـ، وفي نفس السنة إلى تونس، وبها لقي شيخه أبي محمد عبد العزيز المهدوي،[8] كما حاز حظوة كبيرة عند حاكمها، وحرص على قراءة كتاب **خلع النعلين** لابن قسي الصوفي، وعمل شرحا على هذا الكتاب.[9]

وفي عام ٥٩١هـ دخل مدينة فاس بالمغرب، ولقي فيها بعض شيوخ التصوف،[10] ثم اتجه في السنة التي بعدها ٥٩٢هـ إلى إشبيلية؛ حيث أخذ علم الحديث من عمه أبي الوليد أحمد بن محمد بن العربي،[11] وفي هذه السنة أيضا اجتمع محيي الدين عند الشيخ أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل بجماعة من الشيوخ، الذين وصفهم باحترامه، وسلوك

---

(١) **قَبْرَفِيق**: قرية من أعمال رندة، ورندة Ronda مدينة تقع غربي مالقة، سقطت في يد القشتاليين في جمادى الأولى سنة ٨٩٠هـ، ويظهر أن هذه القرية لا أثر لها اليوم.

انظر الفتوحات المكية ٤٥/٣ (ط. بولاق)، الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان ص:(٢٧١).

(٢) الفتوحات المكية ٩٥/٣ (ط. بولاق).

(٣) المصدر نفسه ١٤٢/١ (نشرة: عثمان يحيى).

(٤) **جزيرة طريف**: مدينة صغيرة عليها سور تراب، ويشقها نهر صغير، وبها عدة مرافق، وتبعد عن جزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا، ولم أتمكن من معرفة موقعها اليوم.

انظر الروض المعطار ص:(٣٩٢).

(٥) ترجمته في: روح القدس ص: (131).

(٦) روح القدس ص:(١٣٠-١٣١).

(٧) الفتوحات المكية ٤٩٨/٤ (ط. بولاق).

(٨) المصدر نفسه ٩/١، ٤٨٩/٤.

(٩) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٣٦).

(١٠) الفتوحات المكية ٢٢٠/٤ (ط. بولاق).

(١١) المصدر نفسه ١٤٢/١ (نشرة: عثمان يحيى).

الأدب والحشمة مع حضرته.[١]

وفي سنة ٥٩٣هـ رجع ابن العربي إلى مدينة فاس ولقي بها جماعة من الصوفية، ويظهر أن إقامته بالمغرب في هذه المرة قد طالت بما يقرب من سنتين؛ أي إلى حدود عام ٥٩٥هـ،[٢] وكان بُستَان ابن حيُّون في هذه المدة بفاس مَحَلَّ تَجَمُّع الطلبة للقائه، وأخذ الطريقة الصوفية عنه.[٣]

ثم رجع إلى الأندلس عام ٥٩٥هـ ودخل إلى ألمرية وصنف بها كتابه "مواقع النجوم" بإلهام إلهي[٤] ـ زعم ـ، ويُعَد هذا الكتاب من بين كتبه المهمة لمعرفة مذهبه الصوفي، والتقى في نفس هذه السنة بشيخه أبي محمد عبد الله الشكاز بغرناطة.[٥] وكان قبل ذلك قد زار مدينة مرسية، لكنه لم يُقم بها طويلا، وإنما كانت زيارة قصيرة،[٦] ويظهر من خلال تردده في سنتي ٥٩٧هـ، و ٥٩٨هـ بين مدن المغرب؛ مراكش،[٧] وفاس، وسلا،[٨] وسبتة، وبين مدن الأندلس، اسْتِعدادُه لعقد الرحلة إلى بلاد المشرق؛[٩] وبخاصة إذا علمنا بأن ابن العربي لم يلق حظوة كبيرة لدى حكام المغرب في فترة حكم الموحدين، كما نال من أمراء المشرق وحكامها في الشام والروم.

وقبل الحديث عن رحلة محيي الدين المشرقية، وقبل أن نُلقي عصا التجوال ببلادها، يجدر بنا التنبيه على لقاء مهم جرى بينه وبين شخصية صوفية بارزة؛ وهي أبو العباس

(١) المصدر نفسه ٥٣٩/٤ (ط. بولاق).

(٢) المصدر نفسه ٧٦/٤، ١٥٣.

(٣) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٤٤).

(٤) الفتوحات المكية ٢٦٣/٤ (نشرة: بولاق).

(٥) المصدر نفسه ٩/٤ (ط.بولاق).

(٦) المصدر نفسه ٣٤٣/١٠ (نشرة: عثمان يحيى)، ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٤٩).

(٧) مدينة عتيقة تقع جنوب المغرب الأقصى، وكان يطلق عليها بعض المؤرخين الحمراء، تبعد عن عاصمة المغرب بنحو ٥٨٠ كيلو، وينسب إليها عدد من العلماء والأدباء، جمعهم المراكشي في كتابه الحافل "الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام".

(٨) مدينة أصيلة قديمة تجاور عاصمة المغرب اليوم الرباط، يحيط بها سور كبير، وينسب إليها عدد من العلماء والحفاظ.

(٩) قارن الفتوحات المكية ٢/ ١٨٢، ٤٣٦، ٦٩/٣، ١١٥، ١٩٨ وغيرها.

السبتي[1] دفين مراكش، وأن فكرة الرحلة إلى المشرق جاءت بفعل هاتف من طائر كان يَطُوف حول قوائم عرش الرحمن، سَلَّم على ابن العربي، وأشار عليه بأن يذهب إلى مدينة فاس؛ حيث يجد رجلا اسمه محمد الحصار، اختاره الله لصحبته في رحلته إلى المشرق، وكان ذلك في سنة ٥٩٧هـ، فاستجاب ابن العربي لهذا الهاتف، وذهب في طلبه، وفي ذلك يقول: "...فرأيت فيها طائرا من أحسن الطيور، فسلم عَلَيَّ، فألقى لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد المشرق، وكنت بمدينة مراكش حين كشف لي عن هذا كله. فقلت: ومن هو، قيل لي: محمد الحصار بمدينة فاس، سأل الله الرحلة إلى بلاد المشرق، فخذه معك، فقلت: السمع والطاعة".[2]

وهكذا انطلقت رحلة ابن العربي الحاتمي المشرقية سنة ٥٩٧هـ إلى بجاية [3] بصحبة محمد الحصار، الذي لن يسعفه الأمل بالاستمرار مع ابن العربي في هذه الرحلة كاملة؛ إذ سيوافيه الأجل بالديار المصرية.[4]

ودخل ابن العربي بجاية في رمضان سنة ٥٩٧هـ، ولقي بها أبا عبد الله بن العربي،[5] وجماعة من الشيوخ،[6] وخلال سنة ٥٩٨هـ كان قد وصل إلى تونس، واستقبله بها أحد وجهائها يقال له ابن معتب،[7] ودامت مدة إقامته بها تسعة أشهر إلا بضعة أيام،[8]

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن يحيى الحضرمي أبو العباس السبتي الصوفي مات عام ٦٧٥هـ.

ترجمته في: هدية العارفين ٩٨/١، وذكره الناصري في الإستقصا الجزء السادس ص:(٣،٣٣).

(٢) الفتوحات المكية ٤٣٦/٢ (ط. بولاق).

(٣) **بجاية:** مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط، تقع على جرف حجر، يحدها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول، وتقع اليوم شمال الجزائر تطل على ساحل البحر المتوسط، تبعد عن العاصمة بنحو ٢٤٠ كيلو.

انظر الروض المعطار ص:(٨٠-٨٢)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص:(٨٢).

(٤) الفتوحات المكية ٤٣٦/٢ (ط. بولاق).

(٥) هو: أبو عبد الله العربي شيخ صوفي، كان حيا في أوائل القرن السادس الهجري.

ترجمته في: عنوان الدراية ص:(٤٩-٥١).

(٦) عنوان الدراية ص:(١٥٧).

(٧) الفتوحات المكية ٤٨٩/٤ (ط. بولاق).

(٨) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٥٦).

بدأ أثناءها تأليف كتابه كتابه **إنشاء الدوائر والجداول**؛[1] ولكنه توقف عن الكتابة فيه ليكمله بعد ذلك، ثم استأنف رحلته من جديد إلى المشرق، ومر بمصر و لم يُقِم طويلا بالقاهرة والإسكندرية، فسرعان ما هَبَّ نسيم الحجاز، والشوق إلى الحرمين، وبالفعل نزل مكة في نفس السنة؛ أي في ٥٩٨هـ، ولقي بها جماعة من الفضلاء والأدباء والشيوخ، وذاع صِيتُه بينهم، وصار حديث مجالسهم، وقد توطدت صلته بأحد شيوخ مكة ووجهائها؛ وهو أبو شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجاء الأصفهاني، فأثنى على حسن عبادته، وزهده وعلمه، وسمع عليه كتاب الجامع للإمام أبي عيسى الترمذي، و لم تفته اسْتِجَازَةُ أخته شيخة الحجاز فخر النساء بنت رستم؛ لعلو سندها في الرواية، وقد أجابته وأذنت لأخيها أن يكتب لابن العربي نيابة عنها إجازة بجميع مروياتها.[2]

هذا ولعل من أهم ما يلفت النظر في مُقَام ابن العربي بمكة في هذه الفترة؛ شغفه وحبه لِنظَام ابنة هذا الشيخ، وتُلَقب بعين الشمس والبهاء، وهي على حد كلام محيي الدين عنها عابدة صالحة زاهدة، وذات جمال أَخَّاذٍ، وحسن طرف، وروعة ظرف، الشيء الذي أثلو وجدانه وهُيَامَه، وحاز إعجابه، وتملك عليه قلبه وإحساسه،[3] فكان سببا لنظم ديوانه الغزلي الرمزي **ترجمان الأشواق**.

يقول ابن العربي في ذلك:" فاستخرت الله تعالى تقييد هذه الأوراق، وشرحت ما نظمته بمكة المشرفة من الأبيات الغزلية في حال اعتماري في رجب وشعبان ورمضان".[4]

وقد دفع إنكارُ فقهاء حلب على ديوانه الغزلي ابنَ العربي إلى الاجتهاد في التَمَلُّص من تَبِعَة ما ورد فيه من أوصاف غزلية، بالتمويه بعباراته كعادته في ما يصدر عنه من متناقضات، فتأول ما ذكره من غزل بأنه واردات إلهية، وتنزلات روحانية، جريا على طريقته ومذهبه، وتبرأ مما يمكن أن يسبق إلى خاطر بعض النفوس من معان تحملها الكلمات في ظاهرها، لا تليق بالنفوس الأبية، والهمم العلية، فيقول:" و لم أزل فيما نظمته في هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية، والتنزلات الروحانية، والمناسبات العلوية،

(١) ينظر عن نسخه الخطية مؤلفات ابن عربي ص:(٢٠٨-٢٠٩)، وقد طبع الكتاب لأول مرة في ليدن عام ١٩١٩م.

(٢) ترجمان الأشواق ص:(٧-٨).

(٣) المصدر نفسه ص:(٨-٩).

(٤) المصدر نفسه ص:(١٠).

جريا على طريقتنا المثلى، فإن الآخرة خير لنا من الأولى...والله يعصم قاري هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية، والهمم العلية، المتعلقة بالأمور السماوية"[١]

وقال عن المعاني الغزلية الواردة في الديوان: "...أشير بها إلى معارف ربانية، وأنوار إلهية وأسرار روحانية، وعلوم عقلية، وتنبيهات شرعية، وجعلت العبارة عن ذلك بلسان الغزل والتشبيب".[٢]

هذا الصنيع من ابن العربي بتوجيه المتناقضات بأن لها ظاهرا غير مراد، وباطنا هو المراد، هو أصل في منهجه الصوفي، سيأتي التنبيه على بعض صوره عند الكلام عن اعتقاده بعد حين إن شاء الله.

ويمكن القول بأن ابن العربي منذ هذا التاريخ عام ٥٩٨هـ، تاريخ نزوله بمكة شهد نوعا من الاستقرار الفكري والنفسي، بعد القلق والاضطراب الذين عاشهما ردحا من عمره في المغرب والأندلس ومصر، نظرا لما سببته أفكاره من حالة إزعاج وعدم قبول بين العلماء وبعض الحكام.

ولهذا نجده ابتداء من هذا الوقت، وبالتحديد من سنة ٥٩٩هـ يؤلف كتاب **مشكاة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ من الأخبار**[٣] جمع فيه أربعين حديثا قدسيا بأسانيدها المتصلة، وكتاب **حلية الأبدال**[٤] تلبية لرغبة بعض تلاميذه،[٥] وقد توطدت علاقة ابن العربي مع شيوخ التصوف بمكة؛ حيث كان الوضع العلمي مناسبا لقبول أفكاره في واقع طغى عليه التوجه الصوفي.

وفي سنة ٦٠٠هـ قام بتأليف كتابه **رسالة روح القدس** وتم له ذلك بمكة المكرمة[٦] ثم رحل عنها في سنة ٦٠١هـ متوجها إلى الموصل، إذ لقي بها بعض الشيوخ الصوفية، كان أهمهم علي بن عبد الله بن جامع الذي شغف ابن العربي بلقائه بالموصل لتلقي خرقة

---

(١) المصدر نفسه ص:(٩).

(٢) المصدر نفسه ص:(١٠).

(٣) ينظر عن نسخ الكتاب الخطية مؤلفات ابن عربي ص:(٥٦٠-٥٦٢)، وقد طبع الكتاب بالقاهرة بدون تاريخ، وبحلب سنة ١٣٤٦هـ.

(٤) طبع بحيدرآباد سنة ١٩٤٨م.

(٥) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٥٩).

(٦) روح القدس ص:(١٧٦).

التصوف منه مباشرة، وكان قد تلقاها ابن جامع من الخضر نفسه، [1] وهو أمر بالغ الأهمية في فكر ابن العربي الصوفي؛ جعله مَقْصِد الصوفية بعد هذا الوقت لتوطيد طريق الصحبة والأخوة الصوفية، [2] كما ظفر في هذه المرحلة الموصلية بتصنيف كتاب جديد له **التنزلات الموصلية**. [3]

ولم يلبث بعد ذلك محيي الدين أن توجه إلى بغداد في سنة ٦٠١هـ، ثم إلى مَلْطِية، والخليل، [4] وفي سنة ٦٠٣هـ رجع مرة أخرى إلى مصر؛ حيث قضى مع بعض أصحابه بِزُقَاق القناديل بالقاهرة ليالي مثيرة منقطعين إلى الخلوات الصوفية، والأفكار الغريبة، كانت بداية جهره بمذهبه في وحدة الوجود بما يحمله من متناقضات، وسوابق لم تعرفها الأمة قبل ذلك. [5]

وقد لقيت أفكاره في مصر إنكار الفقهاء والعلماء الشديد، وحاولوا جاهدين استصدار حكم من سلطان مصر في ذلك الوقت بقتله، اقتداء بصنيع علماء بغداد مع الحلاج الصوفي؛ ولكن شاءت الأقدار عدم تمام ذلك، بعد تدخل أحد الوجهاء؛ وهو الشيخ أبو الحسن البجائي[6] صديقه لدى السلطان شافعا له، وطالبا منه التجاوز عنه، وملتمسا التأويل لكلامه، فأصدر السلطان عفوه عن ابن العربي، وأطلق سراحه من السجن[7].

وسرعان ما رحل ابن العربي بعد ذلك عن القاهرة متوجها إلى مكة، فدخلها سنة ٦٠٤هـ، وقام بزيارة صديقه أبي شجاع ابن رستم وأسرته[8] ثم اتجه إلى حلب، فبغداد،

---

(١) الفتوحات المكية ١٨٥/٣ (نشرة: عثمان يحيى).

(٢) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٦٢).

(٣) ينظر عن نسخه الخطية مؤلفات ابن عربي ص:(٢٦٠-٢٦١).

(٤) **الخليل**: بلدة تقع بالقرب من مدينة القدس، وهي اليوم على بعد كيلومترات قليلة، وبها يقع قبر نبي الله الخليل . عليه السلام

انظر معجم البلدان ٤٤٢/٢-٤٤٣.

(٥) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٦٣-٦٤).

(٦) هو: علي بن أبي نصر بن عبد الله أبو الحسن البجائي، عالم فقيه عابد ولد سنة ٦٠٦هـ، ومات ببجاية عام ٦٥٢هـ.

ترجمته في: عنوان الدراية ص:(١٣٧)، نيل الابتهاج :(٢٠٢).

(٧) عنوان الدراية ص:(١٥٨).

(٨) الفتوحات المكية ٣٧٦/٢ (ط. بولاق).

وظل يتردد عليها بين سنوات ٦٠٦هـ و ٦١١هـ[١] لقي أثناءها شهاب الدين السهروردي، وجرى له معه حوار غريب غامض،[٢] ثم عزم في سنة ٦١٢هـ على السفر إلى قونية بعد أن تلقى هاتفا صوفيا، عندما أخبره شيخ صوفي يخدمه بمكة بأن الله سيذل له أعز خلقه من الناس في زمانه.[٣]

في هذا الوقت كانت أخبار ابن العربي قد وصلت حاكم الروم في وقته، فوجد ابن العربي احتفاءً طيبا عند هذا الحاكم بعد وصوله إلى بلاده، ومنحه دارا فخمة تساوي مائة ألف قطعة فضية، فقبلها منه، ولكنه كما يذكر عن نفسه ما لبث بعد ذلك أن تصدق بها على أول سائل جاءه، وكان لا يملك غير هذه الدار.[٤]

وتزوج ابن العربي أثناء إقامته ببلاد الروم بأم تلميذه وصاحبه الصدر القونوي،[٥] الذي لازمه زمنا طويلا، وقام بشرح بعض كتبه، والدفاع عنه بعد موته، وسيأتي ذكره عند الكلام عن تلاميذه.

وأخيرا ظل محيي الدين يتردد بين مدن الشام وبلادها لنشر فكره الصوفي، ولقاء مريديه وتلاميذه بآرائه، إلى أن استقر به المقام بدمشق سنة ٦٢٠هـ، ولم يخرج منها سوى إلى حلب في سنة ٦٢٨هـ للقاء أحد الشيوخ الصوفية، ثم رجع مرة أخرى إلى دمشق وبقي بها إلى وافاه أجل الموت.

وقد شهدت فترة إقامته بدمشق إكرامه، ورتبت له أرزاق من قبل حكام الشام في زمانه، ولكنه كان يتصدق بها جميعا كما ذكر عنه علماء التراجم.[٦]

وكان لهذا الاستقرار النفسي في حياته إبان هذه المدة في الشام أثرا في تصنيف أهم كتبه التي أودع فيها مذهبه في وحدة الوجود "الفتوحات المكية"، و"فصوص الحكم"، والتي أفصحت بجلاء عن فكره الصوفي الغريب، وكانت مثار جدل ونقاش بين العلماء فترة

---

(١) المصدر نفسه ٥٢٩/٢-٥٣١، ٥٤٧/٤-٥٤٨.

(٢) راجع إن شئت هذه الواقعة الغريبة في القول المنبي ص:(٩٣).

(٣) الوافي بالوفيات ١٧٣/٤.

(٤) المصدر نفسه، ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٦٦).

(٥) الدر الثمين للقاري ص:(٢٣).

(٦) نفح الطيب ١٦٦/٢.

طويلة من الزمن، وغيرت من مجرى الفكر الصوفي، وأثرت على عدد من العلماء والحكـام سَلباً، وأبعدتهم عن صفاء الوحي النابع من الكتاب والسنة المطهرة، على فهم سلف الأمة.

المبحث الثاني:

تلاميذه الذين أفادوا منه

أفرَزَت تنقلاتُ ابن العربي الكثيرة، وتنوعُ رحلاته مغربا ومشرقا، وتعدد لقاءاته بالشيوخ والوجهاء، والحكام والولاة، ذيوعَ صيته بين الناس، وانتشار أخباره في سائر البلاد في زمانه، كما أن الجدل الدائر حول مذهبه واعتقاده؛ بسبب عدم تهيء فرصة مطالعة كتبه، ونصوص مذهبه، إذ ظل يتعاهدها بالإضافة والزيادة، وبخاصة الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، اللذين لم تكتمل مفرداتهما إلا قبيل موته بسنوات قليلة، دفع الكثير من أهل العلم إلى البحث عن أخباره، رغبة منهم في معرفة حاله.

ولا يخفى على باحث أن كَثرَةَ التَنقّل والرحلة عبر الأقطار، وتَنَوُّعَ الاتصال بالعلماء والوجهاء، يدفع الطلبة الراغبين في اللُّقيا بمن تكون هذه صفاته اندفاعا إلى الأخذ عنه، والسماع منه؛ وهو طابع طبع الأعلام المشاهير عبر أجيال التاريخ، لكن شخصية ابن العربي الحاتمي لم يصلنا عن التلاميذ الآخذين عنه في حياته سوى نزر يسير لا يقارن بما وصل إليه من شهرة في عصره، وبكثرة تنقلاته لنشر مذهبه، ولقاء الشيوخ، ولعل عدم الاستقرار الذي غلب على أكثر حياته كان له أعظم الأثر.

ولا نجد من المصادر القديمة التي ترجمت لابن العربي اهتماما بذكر تلاميذه، أو اجتهادا في تتبعهم سوى القليل، مما يجعلنا نقول بأنه أمرٌ قد أغفله المترجمون له، ولعل الجانب الصوفي في تجربته، وغموض مذهبه في وحدة الوجود، وعلاقة العبد بربه، زَهَّد العلماء في تتبع تلاميذه الذين لقوه واستجازوه.

ويبقى ما سَطَّره يَرَاعُ الحافظ السخاوي في دراسته المُوَسَّعِية عن محيي الدين ابن العربي **القَولُ المنبي** في الفصل السادس المتعلق بسرد أسماء الآخذين عنه أحسن ما وصلنا من مؤلفات المؤرخين قديما، وأصحاب التراجم عن تلاميذه، فقد ذكر لنا قائمة طويلة بأسماء من وافق محيي الدين وأخذ عنه، بلغ عددهم زهاء المائتين، وإن كُنّا نَلْحَظ في هذه القائمة الطويلة إدراج أَشْخَاصٍ لم يدركوا ابن العربي، أو تقدموا عليه في فترتهم، ولم يكونوا من عَصْرِيِّه حتى يتأتى لهم الأخذ عنه، ولعل مراد الحافظ السخاوي أوسع من ذلك؛ إذ لم يقتصر على التلاميذ الذين أخذوا عنه مباشرة في عصره؛ بل نظر إلى كل من تأثر بمسلكه

الصوفي على أنه آخذ عنه، ولمن تقدمه في عصره على أن ابن العربي سَائِرٌ على دربه، آخِذٌ بِنَاصِيَة فكره.

هذا وقد بلغ اهتمام السخاوي بتلاميذ ابن العربي درجة فائقة من العناية عندما صنف في ذلك مصنفا آخر لا نعلم عنه شيئا ـ على الأقل إلى الآن ـ أسماه طبقات الآخذين عن ابن العربي، سبق الكلام عنه عند دراسة مؤلفات الحافظ السخاوي.

وسأحاول ذكر أبرز التلاميذ الآخذين عن ابن العربي دون توسع، وأحيل الراغب في الاستزادة على الفصل السادس من النص المحقق من القول المنبي.

ولا ينبغي أن يفوتنا بأن السماعات المثبتة على النسخ الخطية لمؤلفاته، تُعَد من المصادر الجيدة لجمع أسماء الآخذين عنه، وهي تكشف بحق عن فوائد مهمة لمعرفة أتباعه وتلاميذه.

ومن هؤلاء التلاميذ الآخذين عن محيي الدين الشيخ محمد بن إسحاق بن محمد أبو عبد الله صدر الدين القُونَوي الرومي، صَحِبَه صُحْبَةَ مُلازَمَة، وتتلمذ على فكره الصوفي، حتى تزوج ابن العربي أمه.

قرأ القُونَوي جامع الأصول على بعض العلماء، وصنف في التصوف عدة كتب منها **الفكوك في مسندات حكم الفصوص** شرح به كتاب فصوص الحكم، وله **النفحات**، **وتحفة الشكور**، وغيرها من التصانيف، ومات عام ٦٧٢هـ، وأوصى بأن يُحمَل تابوته إلى دمشق، وأن يُدفَن مع شيخه ابن العربي، فلم يتهيأ له بذلك.[(١)]

ومنهم إسماعيل بن سَوْدَكِين أبو الطاهر شمس الدين النُّورِي الحنفي الصوفي، صحب محيي الدين ابن العربي وأخذ عنه، ولد بمصر سنة ٥٧٨هـ، وسمع الحديث بها من عدة شيوخ،وله **التجليات الإلهية** مات عام ٦٤٦هـ.[(٢)]

ومنهم عبد الله بن بدر بن عبد الله أبو محمد الحبشي اليمني، صحب ابن العربي مُدَّة، وصنف له بعض كتبه،[(٣)] وأثنى عليه ابن العربي كثيرا.

ومنهم محمد بن مكي بن أبي الذكر القرشي الصقلي الرَّقَّام، روى بمصر عن جماعة من العلماء، ذكر الحافظ الذهبي بأنه سمع من ابن العربي كتاب التيسير في مذاهب القراء

---

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى ٤٥/٨، الوافي بالوفيات ٢٠٠/٢، طبقات الأولياء ص: (٤٦٧).

(٢) ترجمته في: العبر ٢٥٤/٣، شذرات الذهب ٢٣٣/٥، هدية العارفين ٢١٢/١.

(٣) ينظر: روح القدس ص:(١٧٦)، الفتوحات المكية ٧٢/١ (نشرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

السبعة لأبي عمرو الداني بسماعه من شيوخه،[1] ومات عام ٦٩٩هـ.[2]

ومنهم القاضي يحيى بن محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين أبي الحسن علي منتجب الدين أبي المعالي القرشي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٩٦هـ، ولي قضاء دمشق مرتين، كان صدرا معظما في القضاء، وله عقيدة في ابن العربي تتجاوز الوصف، وقد صحبه مدة، وتفرغ لخدمته، ورتب له كل يوم ثلاثين درهما،[3] ومات عام ٦٦٨هـ.[4]

ومنهم الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن محمود بن الحسن البغدادي، يعرف بابن النجار ولد سنة ٥٧٨هـ، سمع من جماعة من الحفاظ، ورحل إلى الشام ومصر، وكان ثقة تام الحفظ، تام المعرفة بفن الحديث، لقي ابن العربي وأخذ عنه بعض مصنفاته،[5] مات عام ٦٤٣هـ.[6]

---

(١) ميزان الاعتدال ٦٥٩/٣.

(٢) ترجمته في: العبر ٤٠٣/٣، شذرات الذهب ٤٥٣/٥.

(٣) نفح الطيب ١٦٦/٢.

(٤) ترجمته في: العبر ٣١٨/٣، النجوم الزاهرة ٢٣٠/٧، شذرات الذهب ٣٢٥/٥.

(٥) الدر الثمين ص:(٣١).

(٦) ترجمته في: العبر ٢٤٨/٣، النجوم الزاهرة ٣٥٥/٦، شذرات الذهب ٢٢٦/٥.

المبحث الثالث:

مصنفاته ووفاته

- وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: مصنفاته.
- المطلب الثاني: وفاته.

المطلب الأول:

مصنفاته

يُعَد محيي الدين بن العربي من المصنفين المكثرين في التأليف، كان للجانب الصوفي النصيب الأوفر من هذه المؤلفات،عبر عن فكره الصوفي الغريب، الذي يطلق عليه الصوفية "علم الأسرار والحقائق"، وإذا كان عدم الاستقرار في بلد معين، وكثرة الأسفار والرحلات تؤثر في الغالب على عطاء المؤلف ضعفا وقلة، فقد كان الأمر مخالفا عند ابن العربي، إذ لم يزده تنوع الأسفار إلا إكثارا في التأليف، وشغفا عظيما بالتصنيف. وتصانيف ابن العربي تختلف حجما وموضوعا؛ منها ما يقع في كراسة واحدة، وهو أصغرها، ومنها ما يكون في نحو مائة مجلد؛ وهو أضخمها. [١]

وقبل الحديث عن مصادر مصنفات ابن العربي، وعِدَّتِها الإحصائية، وطبيعة هذه المصنفات بشكل إجمالي، وقبل وصف بعض الدراسات الحديثة المتميزة في تتبع كتبه المصنفة بصورة وثائقية متكاملة في سبيل اكتمال الرؤية عن مصنفاته، كطريق ممهد للراغب في دراستها دراسة تحليلية على ضوء فكره نقدا وتقويما، قبل ذلك كله يجدر بنا الحديث عن أشهر كتب محيي الدين في تصوير مذهبه، والكشف عن آرائه الصوفية الفلسفية؛ أعني بذلك كتابي الفتوحات المكية، وفصوص الحكم.

بدأ ابن العربي تصنيف كتاب **الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية** بمكة لأول مرة أثناء حجه عام ٥٩٨هـ، وأكمله بدمشق عام ٦٢٩هـ، وظل يتعاهده بالتنقيح والإضافة بدمشق في الفترة ما بين (٦٣٢-٦٣٦هـ)، كما تفصح عنه بعض الفتوحات الخطية؛[٢] وهو أمر يُنْبِي عن الاهتمام البالغ الذي أولاه لهذا الكتاب، باعتباره المصدر الأول لتصوير فكره ومذهبه؛ بل إنه بمثابة الخلاصة الشاملة لجميع مؤلفاته. [٣]

---

(١) ذكره في مسرد مؤلفاته ضمن إجازته للملك المظفر، انظر جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٧.

(٢) مؤلفات ابن عربي ص:(٤٣٠) وما بعدها.

(٣) ابن عربي حياته ومذهبه ص:(٨٩).

وعن سبب تأليف محيي الدين لهذا الكتاب صرح في مقدمته بأنه بعد إنهاء زيارته القدس والمدينة النبوية، ووصوله إلى مكة المشرفة، أراد أن يعرف صديقيه أبو محمد عبد العزيز المهدوي في تونس، وعبد الله الحبشي بما ورد عليه من إلهامات أثناء طوافه بالبيت العتيق بمكة، وفي فترة إقامته بها، ومن هنا جاءت تسميته بالفتوحات المكية.

ويمكن للباحث في الدراسات الصوفية أن يَستَشِف درجة تعظيم دعاة الفكر الصوفي بعد ابن العربي الحاتمي لفتوحاته، وشغفهم بمطالعته وفهمه، مغربا ومشرقا، حيث لا يزال الدرس الصوفي يحفل به إلى يومنا ببلاد الشام في بعض المساجد بدمشق. وقد اعتبره الصوفية بمثابة موسوعة تصوف غنية لدَرْسِ ما يطلقون عليه "علم الأسرار والحقائق"، لخص فيها ابن العربي ما تشتت من آرائه عن مذهبه الصوفي في باقي كتبه.

واهتم بعض الصوفية بحل رموز كتاب الفتوحات، وعمل شرح عليه، [١] وقام آخرون باختصاره ككتاب "لواقح الأنوار القدسية"، و"الكبريت الأحمر". [٢]

ومن قبيل كتاب الفتوحات المكية، وعلى نفس المنهج صنف ابن العربي كتاب **الفتوحات المدنية والتنزلات الموصلية** دون فيهما أفكاره وآراءه في هذه الفترة من إقامته بالمدينة والموصل.

أما كتابه **فصوص الحكم وخصوص الكلم** وهو كتاب صغير الحجم إذا ما قورن بكتابه الفتوحات، صنفه أثناء إقامته بدمشق سنة ٦٢٧هـ، وزعم بأن سبب تصنيفه له رؤية منامية، رأى فيها النبي ﷺ يسلمه هذا الكتاب بينما هو في نومه، ويأمره بإخراجه إلى الناس. [٣]

رتب محيي الدين كتابه الفصوص على سبعة وعشرين فصا، كل فص منه باسم نبي من الأنبياء، وشحنه فيه بالتنقيص من الرسل والأنبياء، والتشكيك في يقينهم، وتحريف معاني النص القرآني بتأويله الباطني الرمزي. ويعتبر هذا الكتاب عند تأصيلا لنظرية الإنسان الكامل، والوحدة الإلهية، والتي يدعي أنها إلهامات إلهية حظي بها وتميز عن غيره.

---

(١) من ذلك كتاب "شرح مشكلات الفتوحات المكية" لعبد الكريم الجيلي (ت ٨٢٦هـ)، طبع عن دار سعاد الصباح، الكويت عام ١٩٩٢م بتحقيق د. يوسف زيدان.

(٢) كلاهما لعبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، والكتابان مطبوعان.

(٣) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص:(٩).

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في حياة ابن العربي الحاتمي، وبعد موتـــه لمـــا يتضمنه من آراء فلسفية باطنية صوفية، بين علماء السنة قاطبة، وحاول كثير من شـــيوخ الصوفية الهروب من هذه المشكلة بتأويل ما ورد فيه من عقائد باطنية، وانتقاص للأنبيـــاء، برفض حملها على ظاهرها، والبحث عن معاني بعيدة لها، لدفع حكم علماء السنة علـــى نصوص هذا الكتاب بالكفر الصريح المخرج من الملة لمن اعتقده، وثبت عليه إلى موتـــه. ولاهتمام الصوفية الكبير بكتاب الفصوص شرحا وتعليقا، بلغت عدد الشروح ما يربـــو عن ١٥٠ كتابا بما فيها ردود علماء السنة عليه.

ومن مؤلفات ابن العربي المهمة في تصوير مذهبه وفكره **ديوان ترجمان الأشواق** الذي يحمل بين أبيات قصائده طابعا رمزيا غزليا، يتقن فيها التلاعب بالألفاظ.

كما اهتم في كتابيه **عنقاء مغرب والتترلات الإلهية** بتدوين نظريته في الإنسان الكامل.

وصاغ كتابه الضخم في تفسير القرآن **الجمع والتفصيل في أسرار معاني التتريل**، وهو تفسير كبير يقع في أربعة وستين مجلدا،[١] بلغ فيه إلى غاية سورة الكهف عند قوله تعالى ﴿ وإِذ قَالَ مُوسى لِفَتَاهُ لا أَبرَحُ حتى أَبلُغَ مَجمَعَ البَحْرَين ﴾[٢] ولم يصلنا عن هذا التفسـير شيء إلى اليوم، ويزعم ابن العربي أنه لم يُسبق بالتصنيف إلى مثله من أحد علـــى وجـــه البسيطة،[٣] وأنه رتّب الكلام فيه على كل آية على ثلاثة مقامات: مقام الجلال أولا، مقام الجمال، ثم مقام الاعتدال.[٤] وذكر فيه بأنه لم يعتمد في على كلمة لأحد أصلا، سوى ما كان على سبيل الاستشهاد؛ وهو قليل.[٥]

ويعتبر تفسير ابن العربي نموذجا واضحا للتفسير الرمزي الفلسفي المعقد عنـــد دعـــاة الفكر الصوفي، جمع فيه بين التفسير الصوفي النظري الفلسفي القائم على التأصيل لمذهـــب وحدة الوجود؛ والذي كان له الأثر السيئ في تفسير القرآن الكريم تفسيرا يخرج النـــص القرآني عن مدلوله، ومراده المترل له من الرب جل وعلا. وبين التفسير الإشاري من جهة أخرى، وكثير منه لا يفهم له معنى، ولا يوجد له من سياق الآية ما يدل عليه من قريـــب

---

(١) فهرست مصنفات ابن العربي ص:(١٧١) ضمن الذخائر الشرقية لكوركيس عواد.....، إجازتـه إلى الملك المظفر انظر جامع كرامات الأولياء ١/٢٠٧.

(٢) بعض الآية: ٦٠ من سورة الكهف.

(٣) فهرست مصنفات ابن العربي ص:(١٧١).

(٤) المصدر نفسه ص:(١٧١).

(٥) المصدر نفسه.

أو بعيد؛ ويغلب عليه الغموض وعدم الوضوح، ويجنح فيه إلى التأويل الغريب المذهب لقيمة المعنى في النص المنزل، وموهما لمن يقرؤه عن مراد الله تعالى من الآيات، وهذا الأمر ظاهر لمن وقف على تفسيره للقرآن بين ثنايا كتابه الفتوحات المكية، وستأتي شواهده بإذن الله عند الحديث عن اعتقاده.

وقبل أن أغادر هذا الموضع يجدر التنبيه على أمر مهم؛ وهو أن التفسير المطبوع في مجلدين بعنوان **تفسير ابن عربي**، في عدة طبعات له، يظن كثير من الباحثين أن نسبته لابن العربي الحاتمي صحيحة، وأنه هو التفسير عينه الذي صنفه، وتحدث عنه المؤرخون له؛ بينما الأمر على خلاف هذا الظن؛ إذ التفسير المطبوع بهذا العنوان هو في الحقيقة من عمل الصوفي الشهير عبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٠هـ)، وقد نسب لابن العربي ـ كما يبدو ـ ترويجا له بين الناس لشهرة ابن العربي الحاتمي بينهم.[١]

ومن الأدلة التي تعضد هذا التوضيح في بيان صحة نسبة هذا الكتاب لابن العربي، وإلحاقه بالقاشاني ما يلي:

ـ النسخ الخطية المعتمدة في نشر هذا التفسير لم يرد فيها نسبة الكتاب لابن العربي، وإنما تتفق على نسبة لعبد الرزاق القاشاني بعنوان **تأويلات القاشاني**، وهو دليل قوي على صحة هذه القضية، لكون النص المخطوط أوثق من المطبوع.[٢]

ـ تطابق مقدمة التفسير المنسوب لابن العربي المطبوع، مع ما أورده صاحب كشف الظنون من مقدمة تفسير القاشاني المعروف بتأويلات القاشاني،[٣] مما يدلك على أن المطبوع هو للقاشاني وليس لابن العربي.

ـ ورد عند تفسير سورة القصص من التفسير المنسوب لابن العربي: "وقد سمعت شيخنا نور الدين عبد الصمد قدس روحه العزيز في شهود الوحدة، ومقام الفناء عن أبيه...".[٤]

ونور الدين المذكور هو عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني المتوفى أواخر القرن السابع، وهو شيخ لعبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٠هـ)،[٥] ولا يستقيم بحال كون نور

---

(١) وممن ذهب إلى هذا التوجيه الشيخ السيد رشيد رضا في تفسير المنار ١/١٨.

(٢) راجع حول نسخ التفسير المنسوب لابن العربي الخطية مؤلفات ابن عربي ص:(٢٥٤-٢٥٥).

(٣) كشف الظنون ١/٣٣٦.

(٤) تفسير ابن عربي ٢/١١٦.

(٥) نفحات الأنس في مناقب الأولياء ص:(٥٣٤-٥٣٧) نقلا عن التفسير والمفسرون د.محمد حسين الذهبي ٢/٤٠١.

الدين عبد الصمد النطتري شيخا لابن العربي المتوفى في ٦٣٨هـ، وإنما هو شيخ للقاشاني.

وبهذا يتضح الصواب في صحة نسبة التفسير المطبوع، ولا تزال خزائن المخطوطات تخبئ لنا الكثير والكثير، ولعلها أن تكشف اللثام في يوم من الأيام عن تفسير ابن العربي الحاتمي الضخم.[1]

ونرجع إلى الحديث عن بعض مصنفات ابن العربي ذات التميز في فكره، وتصوير مذهبه؛ من ذلك كتاب **تحفة السفرة إلى حضرة البررة والأمر المحكم المربوط** جعله خلاصة دقيقة لمن يرغب في ولوج طريق التصوف.

أما كتابه **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار** فهو أشبه ما يكون بكشكول جمع فيه طرفا أدبية، وحكايات الأدباء وأخبارهم، من قراءات ومطالعات له مبكرة في حياته الأدبية المبكرة.

واستمر ابن العربي في التصنيف إلى آخر أيام حياته، وبالتحديد إلى سنة وفاته، وعلى الرغم من اقترابه من سن الثمانين من عمره.

- **مصادر ذكر مؤلفات ابن العربي:**

يمكن تصنيف مصادر معرفة مؤلفات ابن العربي إلى مصادر مباشرة، وأخرى غير مباشرة.

١/ المصادر المباشرة:

وهي المصادر التي صرح فيها ابن العربي نفسه بأسماء مصنفاته؛ وهي من الأهمية بمكان في معرفة عدة كتبه لكونها أصلا في هذا الباب، وهي:

ـ **ثبت مؤلفاته:** وهو فهرس وضعه ابن العربي لنفسه، وذكر فيه أسماء عدد كبير من العناوين له، إجابة لمن سأله ذلك من بعض أصحابه، ولم يصرح بأسمائهم، فقيد له ما تيسر من ذلك، بسبب ضياع بعض كتبه التي كان قد أودعها عند أحد معارفه لأمر طرأ له، ولم يسمه لنا، إلا أنه لم يردها عليه، ويظهر أن ابن العربي لم يكن يذكر عناوينها.

---

(١) انظر عن تفسير القاشاني المطبوع بروكلمان في تاريخ الأدب العربي القسم الرابع ص:(٣٧٩)، وماسنيون في طواسين الحلاج ص:(١٦٧)، ود. محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون ٢/٤٠٠-٤٠١، وتفسير ابن عربي للقرآن ص:(٣٧-٤٠)، ود. عثمان يحيى في مؤلفات ابن عربي ص:(٢٥٤-٢٥٥).

والعناوين التي نص عليها في فهرسته هذا هي مما لم يودعه عند هذا الشخص، وهي على أنواع؛ منها ما كمل تأليفه، ومنها ما لم يكمل وهو قليل. [١]

ويزعم ابن العربي في مقدمة هذا الفهرس أن مصنفاته الكثيرة لم يقصد بها مقصد المؤلفين، وإنما كان واردات إلهية ترد عليه، فيقوم بتقييدها في مصنفات، وبعضها _ حسب قوله _ صنفها بأمر إلهي أمره الحق به في نوم أو مكاشفة. [٢]

ولعل هذا الزعم من ابن العربي محاولة منه لإضفاء طابع الشرعية الصوفي على كتبه، في مواجهة ردود علماء السنة عليه، والحكم على أفكاره ومذهبه بالخروج عن الإسلام.

وقد قام الدكتور البحاثة كوركيس عواد بنشر هذا الفهرس محققا في نشرة امتازت عن نشرة الدكتور أبو العلا عفيفي[٣] بجودة النسخ التي اعتمدها في ضبط النص، وبإفادته الجيدة لمواضع كتب ابن العربي في خزائن المخطوطات في العالم، وذكر المطبوع منها، إضافة إلى استدراك صنعه على الفهرس بلغ ما جمعه فيه من كتب ابن العربي قرابة ٢٧٩ عنوان، وهو عدد إذا أضيف إلى القائمة التي أوردها ابن العربي لنفسه، وهي ٢٤٨ عنوان، صار العدد المجموع لمؤلفات ابن العربي حسب هذا الإحصاء ٥٢٧ كتاب ورسالة.

وقد قسم ابن العربي أسماء مصنفاته في فهرسه إلى قسمين، فبدأ بذكر كتبه في علم الحديث، ثم تلاها بسرد كتبه في ما أسماه بعلوم الحقائق وهي في تصوير مذهبه الصوفي.

أما إحصاء المستعرب بروكلمان لمصنفات ابن العربي فقد بلغ ٢١٧ كتاب، وهو عدد لا يعطينا صورة كاملة عن مؤلفاته، وسبقه بعض المتقدمين في محاولة إحصاء مؤلفاته، فورد في اليواقيت والدرر أنها وصلت إلى ٤٠٠، [٤] ونص على مثل ذلك المقري في نفح الطيب، [٥] وأوصلها القاري في الدر الثمين إلى ٥٠٠ عنوان، [٦] واكتفى البغدادي في هدية العارفين بذكر ٤٥٠ عنوان[٧].

---

(١) فهرس مؤلفات ابن عربي ص:(١٧٠) (ضمن الذخائر الشرقية لكوركيس....).

(٢) المصدر نفسه ص:(١٧٠).

(٣) نشر الفهرست د. أبو العلا عفيفي بتحقيقه في مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية المجلد الثامن، عدد دجنبر ١٩٥٤م.

(٤) اليواقيت والدرر ٨/١.

(٥) نفح الطيب ١٧٧/٢.

(٦) الدر الثمين ص:(٢٣).

(٧) هدية العارفين ١١٤/٦.

ـ **إجازة ابن العربي للملك المظفر:** وهي إجازة من ابن العربي الحاتمي للملك المظفر بن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها عددا من مشايخه ومؤلفاته، إجابة لسؤاله في استدعاء له بذكر ما تيسر له من أسماء شيوخه ومسموعاته عليهم، وبعض أسماء مصنفاته.

ـ **إشارات ابن العربي** لأسماء مصنفاته بين ثنايا كتبه، عند الحديث عن قضايا التصوف، والإحالة على بعض كتبه الأخرى، التي فصل القول فيها، أو اختصره في غير ذلك الموضع.

٢/ المصادر غير المباشرة:

ـ **تراجم المؤرخين المتقدمين:** وهي تتحدث عن بعض أسماء كتبه، والمشهور منها بخاصة أثناء سياق الكلام عن حياته العلمية والصوفية، ولكنها تثير إشارات، ولا تعدو أن تكون إلماعات لا تفي بالغرض الكبير من حصر مصنفاته.

ـ **دراسات الباحثين المحدثين:** قام مجموعة من الباحثين المعاصرين بما فيهم سرب كبير من المستعربين الأوربيين أن يتناولوا مصنفات ابن العربي الكثيرة بالإحصاء والتوثيق، ومن ثمة دراستها لتصوير مذهبه في وحدة الوجود، وعلى الرغم من كثرة هذه الدراسات؛ تبقى الدراسة الوثائقية الإحصائية التي أنجزها الباحث الدكتور الصوفي عثمان يحيى من أجود وأتقن ما كتب في هذا الموضوع؛ أعني تتبع مؤلفات ابن العربي بالجمع والإحصاء من جهة، ثم دراسة صحيح النسبة منها إليه، مما لا تصح نسبته مستفيدا من الإمكانات التي وفرت له في رحلة طويلة شرقا وغربا للوقوف على نسخ مصنفات ابن العربي الخطية في خزائن العالم المتناثرة، وحتى تتميز دراسته بالتوثيق العلمي، والتثبت البحثي الوصفي التحليلي المطلوب وجوده في مثل هذه الدراسات.

ودراسة الدكتور عثمان يحيى مؤلفات ابن عربي، تاريخها وتصنيفها، [1] تناول فيها ١٥٩٠ عنوان منسوب لابن العربي بالمناقشة والنقد، مع بيان الثابت النسبة منها من المشكوك في نسبتها إليه.

---

(١) هذه الدراسة إحدى رسالتين تقدم بهما الباحث لنيل درجة دكتوراه الدولة من جامعة السوربون عام ١٩٥٨م تناولت الرسالة الأساسية: تاريخ وتصنيف مؤلفات ابن عربي، وتناولت الرسالة الفرعية تحقيق نص لابن العربي هو كتاب التجليات، وكانتا باللغة الفرنسية بإشراف المستعرب الشهير ماسنيون، وبرنشفيك، ومناقشة المستعربين الأستاذين فاجدا ولاووست، وقد قام الدكتور أحمد محمد الطيب بترجمة النص الفرنسي من الرسالة الأساسية إلى اللغة العربية وطباعته.

=

وقد قسم الباحث دراسته إلى ثلاثة أقسام:

ـ **القسم الأول:** عرض فيه المصادر العلمية التي اهتمت بذكر مصنفات ابن العربي سواء ما كان منها بقلم ابن العربي نفسه، أو أعمال المصنفين القدامى والمحدثين مع المناقشة والتحليل، ثم انتقل إلى تقديم قوائم إحصائية عن مؤلفات ابن العربي الموجودة والمفقودة مع بيان صفة النسبة فيها، وذكر السماعات المثبتة على أصولها الخطية، وما وجد منها بخط ابن العربي.

وختم هذا القسم بسرد الدراسات النقدية التي اشتغلت بابن العربي، والفتاوى والأحكام الصادرة من علماء السنة في اعتقاد ابن العربي، وفي هذا القسم اعتمد الباحث إلى حد كبير على كتاب الحافظ السخاوي الحافل في ابن العربي القول المنبي.

ـ **القسم الثاني:** فهرس إحصائي عام لجميع مؤلفات ابن العربي، يذكر عند كل مصنف حاله؛ مخطوطا كان بتعيين مكان وجوده من خزائن العالم شرقا وغربا، أو مطبوعا بتحديد تاريخ ومكان طبعه ونشره، مع ما يصحب ذلك من ملاحظات نقدية بكل مصنف من مصنفاته، ويهتم بالتنبيه على الشروح والتعليقات المصنفة على كتب ابن العربي.

ـ **القسم الثالث:** خصصه للفهارس أخرى فيها مقارنة بين مصنفاته ابن العربي الواردة عنده في فهرسته العام، ومقابلها في فهرست مصنفات ابن العربي له، وبين ما ذكره بروكلمان وكوركيس عواد فيما سبق التنبيه عليه.

ودراسة الدكتور عثمان يحيى هذه قصد منها دراسة مصنفات ابن العربي بصورة وثائقية نقدية، دون الاهتمام بالجانب التحليلي لمؤلفاته، فالهدف من هذه الدراسة هو التصدي لمهمة حصر مؤلفاته الثابتة النسبة إليه كوثائق مهمة، وخطوة سابقة لنشر أعمال ابن العربي من جهة، ودراسة أفكاره ومذهبه في وحدة الوجود من جهة أخرى.

وأحسب أن الجهد المبذول في هذه الدراسة لحصر مصنفات ابن العربي، وتوثيق صحيح النسبة منها إليه، يغني عن سرد مؤلفاته مفصلة، وإلا كان ذلك تكرارا لجهد سابق مبذول في هذا الباب، وهي بغض النظر عما أريدت له من أهداف أخرى تعتبر خطوة

فتأمل هذا الاهتمام المبكر من دور العلم، ومؤسسات الثقافة في مراكز الاستشراق في أوربا وغيرها بموضوع التصوف، وإلى أي مدى يتجه الاشتغال بشخصية ابن العربي الحاتمي وفكره، والله المستعان!!

مهمة لدارس فكر ومذهب شخصية عرفت بالغزارة في التأليف والتصنيف، والتعقيد في الطرح والمناقشة كابن العربي الحاتمي.

وقد صنف محيي الدين الحاتمي في جميع العلوم النقلية والعقلية من تفسير وحديث، وفقه وأصول، وأدب وشعر، وهو اهتمام مقصود أراد منه خدمة مذهبه الفلسفي الصوفي، الذي أخذ من جهده وفكره قسطا وافرا من حياته، جعله يشغل الناس من جميع الأديان والمذاهب تحليلا ونقدا ومناقشة؛ فقد صدر لكتابه الفصوص مثلا ما يقرب من مائة وخمسين شرحا ما بين مؤيد وناقد.

المطلب الثاني:

وفـــــــاتــــــه

اتفقت نصوص المؤرخين على تحديد تاريخ وموطن وفاة محيي الديـــن ابـــن العـــربي الحاتمي، واختلفت في ضبط وقت يوم وفاته، سوى ما انفرد الغبريني بذكره عن تـــاريخ وفاة ابن العربي.

مات ابن العربي الحاتمي على إثر تقدم سن، وشيخوخة بلغ فيها قرابة الثمانين في مدينة دمشق في مترل القاضي ابن الزكي، الذي سبق بيان مدى حبه لـــه، وشـغفه بخدمتـه ورعايته، وكانت وفاته يوم الثاني والعشرين من ربيع الآخر بدمشق، وذلك في عام ثمـــان وثلاثين وست مائة.[1]

وخالف الصفدي والمقري وغيرهما في يوم وفاة ابن العربي،[2] فذكروا أن وفاته كانت ليلة الجمعة يوم الثامن والعشرين من ربيع الآخر، واتفقوا مع غيرهم مـــن المؤرخـين في تحديد سنة وفاته.

ويظهر أن تحديد الشعار وأبي شامة المقدسي ليوم وفاة ابن العربي أضبط وأوثق مـــن تحديد من خالفهم؛ لأنهم عاصروا ابن العربي، وشهدوا موته فيبعد وهمهم في ضبط يـــوم وفاته. كما أورد الغبرينـــي في تاريخه أن سنة وفاته كانت في ٦٤٠هـــ،[3] ولم يجـزم بذلك، وإنما أورده بصيغة يفهم منها عدم تأكده من هذا التاريخ، الـــذي خـــالف فيـه المؤرخين في تاريخ موت ابن العربي.

---

(١) الذيل على الروضتين ص:(١٧٠)، عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية من مصـدر مشرقية د.بن شريفة ص:(١٢٨)، العقد الثمين ١٨٤/٢، تاريخ الإسلام حوادث سـنة ٦٣٨هـــ ص:(٣٨٠).

(٢) الوافي بالوفيات ١٧٥/٤، نفح الطيب ١٦٢/٢؛ الحلل السندسية لشـكيب أرســلان ٣٠٧/٣، وورد مثل ذلك في ترجمة ابن العربي المطبوعة آخر الفتوحات ٦١/٤.

(٣) عنوان الدراية ص:(١٥٨).

ودفن شيخ الصوفية ابن العربي الحاتمي بمقبرة القاضي محيي الدين بسفح جبل قاسيون بتربة القاضي ركن الدين ابن الزكي،[1] وهي حارة الصالحية بدمشق اليوم.[2] وصلى الناس عليه بجامع دمشق يوم الجمعة، وشيعوه إلى موضع دفنه.[3]

وبلغت عناية السلاطين العثمانيين بتربة صالحية دمشق التي دفن بها ابن العربي الحاتمي مبلغا، لما اعتقدوا فيه من ولاية وكرامة، و أثر لبركته في البلدان التي كانوا يفتحونها وفي سياستهم لها؛ وهو أمر لا يستغرب إذا علمنا مدى أثر الفكر الصوفي على سياسة سلاطين الدولة العثمانية، حتى شكل سببا من أسباب انهيار الدولة، عندما كان يتدخل شيخ الطريقة الصوفية في تحديد مصير الجيش العثماني، والإشارة عليهم بخوض المعركة من عدمه، بموجب رؤية منامية، أو مكاشفة وهمية.

وهكذا أمر السلطان سليم بن بايزيد بن محمد الفاتح[4] أثناء ولايته بعمارة قبة على قبره وضريحه، وبناء المدرسة العظيمة، كما رتب أوقافا كثيرة على قبره للاهتمام بأموره، ورعايته،[5] مما ساعد على تشهير قبره بين الناس، والله المستعان!!

ومات ابن العربي ميتة طبيعية بعد تقدم سنه، ولم تنص المصادر القديمة على كونه مات مقتولا، سوى ما أشار إليه ابن طورخان.[6]

---

(١) عقود الجمان لابن الشعار نقلا عن تراجم مغربية د. محمد بن شريفة ص:(١٢٨)، الذيل على الروضتين ص:(١٧٠)، نفح الطيب ٢/١٦٢، الحلل السندسية ٣/٣٨٦.

(٢) ومن غريب ما يذكره المستشرق دوزي في تكملة المعاجم العربية ١/٢٣٢ أن كلمة "جار محيي الدين" تطلق اليوم في دمشق على الخيار المخلل لأنه يخلل في صالحية دمشق حيث ضريح ابن العربي الحاتمي، فتأمل كيف انتقلت بركة ابن العربي إلى الخل!!

(٣) الذيل على الروضتين ص:(١٧٠).

(٤) سلطان عثماني فتح مصر والشام، ولقب بنابغة العثمانيين بعد محمد الفاتح، ملك جبار، قوي البطش، كثير السفك، دامت فترة حكمه ثماني سنين وثمانية أشهر، خلع على نفسه لقب خادم الحرمين الشريفين؛ مات عام ٩٢٦هـ.

انظر ترجمته في: خطط الشام ٢/٢١١-٢٢١، تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا ١/٢١٣ وما بعدها.

(٥) نفح الطيب ٢/١٧٩-١٨٠، الحلل السندسية ٣/٣٩٤.

(٦) نبي بن طورخان، وقيل عبد الباري بن طورخان بن طورمش. وذكر خبر قتله ضمن فتوى له في ابن العربي ص: (٤٩) (ضمن مجموعة الرسائل لابن كمال باشا، نشرة إسطنبول سنة ١٢٩٤هـ).

الفصل الثالث

عقيدة ابن العربي وموقف العلماء منه

♦ وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مذهب ابن العربي الفقهي.
- المبحث الثاني: مذهب ابن العربي العقدي.
- المبحث الثالث: موقف العلماء من ابن العربي الحاتمي.

المبحث الأول:

مذهب ابن العربي الفقهي

شهدت فترة ابن العربي الحاتمي في المغرب الأقصى والأندلس امتداد حكم دولة الموحدين إلى ربوعها، التي قامت بالتضييق على فقهاء المذهب المالكي السائد في ذلك الوقت بالغرب الإسلامي، فحاربوا التمذهب به محاربة قوية، بقصد حصره، والحيلولة دون استمراره في بلاد المغرب؛ وأحرقوا كتب فروع المذهب بعد أن جردوها من الآيات والأحاديث، وأحرقت مدونة ابن سحنون، وجامع ابن يونس،[1] والنوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني[2]، والتهذيب للبراذعي،[3] والواضحة لابن حبيب، وغيرها من نفيس مصادر فقه المالكية.

ويصف لنا المراكشي هذا الوضع بأنه شاهد كتب المالكية، وهي يؤتى بها للإحراق بالأحمال،[4] واكب هذه الحملة الشديدة على مذهب المالكية دعوة الموحدين إلى أخذ الأحكام من الكتاب والسنة، وترك الاعتماد على الرأي والخوض فيه، أو الاستناد إليه في فهم النص القرآني والنبوي، وتوعدوا من خالف ذلك بالعقوبة الشديدة، وجاء تشجيع الموحدين في مقابل ذلك الاهتمام بجمع النصوص الحديثية، ونسخ مختلف دواوين السنة كالصحيحين، وموطأ مالك، وسنن أبي داود، وسنن البيهقي وغيرها من دواوين السنة.[5]

---

(١) حققه مجموعة من الباحثين كرسائل أكاديمية في جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية في أقسام الفقه بالجامعتين.

(٢) طبع الكتاب بدار الغرب الإسلامي، بيروت عام ١٤٢٠هـ بتحقيق جمع من العلماء المحققين مشرقا ومغربا.

(٣) طبع قسم من الكتاب بتحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤) المعجب للمراكشي ص: (٣٥٤-٣٥٥).

(٥) المصدر نفسه ص: (٣٥٥).

وتهيأ في هذه الأجواء الغريبة الجو المناسب لتثبيت قواعد المدرسة الظاهرية، التي تعتمد في استنباط الأحكام على ظواهر النصوص، وإنكار القياس كأصل من أصول الاستنباط،[١] وبرز عدد من العلماء الظاهرية في الأندلس، رفعوا لواء هذا المذهب، وانتصروا له، ودعوا الناس إليه، واجتهد الإمام ابن حزم في خدمة المدرسة الظاهرية بالتصنيف والتأصيل لها؛ بما جعل هذا المذهب؛ وإن قَلَّ سالكوه ومعتنقوه في الأحكام، يستمر ولا يندثر إلى يومنا هذا.

وهكذا عزف مذهب الظاهرية في عهد الدولة الموحدية أزهى عصوره، قبل أن يتراجع بعد زوال هذه الدولة حيث لا ناصر له بعدهم؛ وإنما مهاجمة جمهور الفقهاء للأصول الظاهرية المبثوتة في كتب الإمام ابن حزم، ولقلة الشيوخ الدارسين لهذا المذهب، فلا يجد الراغب فيه سوى العكوف على تلك الكتب لأخذ فقههم منها، ويصير إلى مخالفة الجمهور.[٢]

هذه الأجواء العلمية كانت من الأسباب القوية التي دفعت ابن العربي الحاتمي إلى الأخذ بالمذهب الظاهري، ودراسة الفقه الظاهري على بعض الشيوخ، والإفادة من كتب الإمام ابن حزم.

وقد صرح الحافظ ابن مَسْدي في معجمه الحافل عند ترجمته بمذهب ابن العربي في الفقه فقال: "وكان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات".[٣]

ولم يتقيد ابن العربي الحاتمي بآراء ابن حزم الفقهية، وإنما خالفه في مذهبه، ونهج منهجا خاصا به في الأحكام دون إلزام نفسه بمتابعة ابن حزم في اجتهاداته؛ وهو أمر يجده المطالع لمذهبه واضحا في القسم الذي خصصه للمسائل الفقهية من كتابه الفتوحات المكية.

---

(١) راجع إن شئت عن أصول المذهب الظاهري الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للعلامة الحَجْوي الفاسي ٣/٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر للمزيد مقدمة ابن خلدون ص:(٤٤٧)، ومحاضرات في تاريخ المذهب المالكي د. عمر الجيدي ص: (٥٥-٥٦)، والإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي لعارف خليل أبو عيد ص: (١٤٥-١٤٩).

(٣) انظر العقد الثمين للفاسي ٢/١٨٥، والوافي بالوفيات ٤/١٧٣، ونفح الطيب ٢/١٦٤، والحلل السندسية لشكيب أرسلان ٣/٣٩٦.

المبحث الثاني:

مذهب ابن العربي العقدي

♦ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الجذور العقدية لابن العربي.
- المطلب الثاني: مذهب الوحدة الإلهية عند ابن العربي.

المطلب الأول:

الجذور العقدية لابن العربي

إن الكتابة في هذا الموضوع بالغ الأهمية، وبجذور مذهب ابن العربي العقدية تستدعي استعراض جزئيات وأفراد عقيدة ابن العربي من مصنفاته المتفرقة، ومقارنتها بآراء متقدمي الصوفية، واصطلاحات المتكلمين، ونظرية الأفلاطونية الحديثة. وهذا ما لا يكفيه بحث علمي واحد فضلا عن عجالة كهذه يراد منها الكشف عن أبرز المؤثرات في مذهب ابن العربي الحاتمي.

ويمكن تقسيم النظر في جذور اعتقاد ابن العربي إلى ناحيتين:

_ الناحية الفلسفية النظرية: ويقصد بها آراء أرسطو، والمذهب الأفلاطوني الذي تضمنته رسائل إخوان الصفا ذات التأويل الباطني، ومذاهب الفلاسفة الإسلاميين الذين مزجوا الآراء الأرسطوطاليسية بمصطلحات كلامية كابن سينا والفارابي.

_ الناحية التصوفية: يأتي في مقدمتها نصوص متقدمي الصوفية الأندلسيين أمثال أبي عبد الله الشوذي وطائفته الشوذية، وابن أحلى، وابن دَهَّاق وغيرهم. والصوفية المشارقة كالحلاج والحكيم الترمذي، وهم وإن كانوا لا يَصِلون إلى درجة ابن العربي في التنظير، والتأصيل الفلسفي العقلي لتصوفه، ولكنهم شكلوا تجربة صوفية متقدمة أفاد منها ابن العربي في تشكيل مذهبه في وحدة الوجود.

وقد حاول ابن العربي المزج بين عدة أشكال من المعرفة بما يخدم مذهبه، ويساعده على التأصيل لأفكاره الصوفية الفلسفية، بشكل يصعب معه إرجاع جذور مذهبه إلى لون معرفي واحد ووحيد، فهو حريص على الأخذ من جميع الأفكار والمذاهب القديمة، فلسفية كانت أم كلامية أم صوفية، وساعدته حدة ذهنه، وقوة ذكائه على استثمار هذه المعارف لخدمة مذهبه. [1]

ويجد الدَّارس لهذه الشخصية نفسَه أمام خليط من الثقافات والأفكار الوافدة، ممزوجة مع بعضها ضمن فكر غريب على اعتقاد أهل الإسلام، إذ تلوح لك أثناء الوقوف على

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٦٣٨هـ) ص: (٣٨١)، لسان الميزان ٤٠٣/٦.

نصوصه في كتبه المتناثرة فلسفة اليونان حاضرة بأصولها، وعلى رأسها الفكر السوفسطائي القائم على إنكار الحقائق، والاتجاه الكلامي بمصطلحاته العقلية، وضروبه المنطقية، وتقف عنده على أصول الصوفية مشرقا ومغربا، كل ذلك يتمثل عند ابن العربي الحاتمي جَنْباً إلى جنب في إطار فلسفي صوفي واحد؛ وهو أمر ظاهر في مذهبه، ولا يجد من يرغب في الوقوف عليه عناء.

ولا ننسى تعسفه الشديد في لَيِّ أعناق آيات الكتاب العزيز، ونصوص السنة النبوية، بقصد التأصيل لأفكاره، حتى ولو خالف ذلك سِيَاق وسِبَاق الآيات، وحتى ولو عارض به جميع المفسرين ما دام يخدم أصل مذهبه في وحدة الوجود.

ويمكن القول بأن ابن العربي في إطار تصوفه الفلسفي لم يخرج عن أصول الفلسفة الصوفية التي تشكلت من فكر كل من اليونان ومذاهبها من فلسفة سقراط،[1] وأفلاطون،[2] وأرسطو،[3] ونظريات الفيض، وفلسفات الشرق الهندية والفارسية القديمة، والفلاسفة

---

(١) هو: فيلسوف يوناني ولد سنة ٤٦٩ق.م، ومات مقتولا عام ٣٩٩ ق.م بنى مذهبه على العقل باعتباره المثل الأعلى عنده، هاجم بأفكاره الطبقة الأرستقراطية في عصره فجر عليه ذلك غضبها، ولم يكن يرى سوى النفس الإنسانية شيئا جديرا بالبحث، وأفاد من مذهب السوفسطائية دون الأخذ بشكوكهم.

ترجمته في: إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي ص: (١٣٥) وما بعدها، قصة الفلسفة اليونانية ص: (٧٩) وما بعدها، تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص: (٥٠) وما بعدها، الموسوعية الفلسفية المختصرة ص: (١٨٦) وما بعدها.

(٢) هو: أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينا الفيلسوف اليوناني المثالي ولد في أثينا حوالي سنة ٤٢٧ق.م تتلمذ لسقراط ولزمه، وأنشأ مدرسة تدرس فيها جميع علوم عصره، وكتبه أكثرها تعرضت للضياع، وقد كانت على شكل محاورات. وتعتبر فلسفته توفيقا بين الآراء المتقدمة دون جنوح منه إلى إحداها فالمعرفة عنده تتم بالإحساس والعقل والظن والاستدلال. وتطغى على فلسفته الصبغة المثالية، وهو من الفلاسفة اليونان الإلهيين الذين يؤمنون بوجود الله، وبوجود نفس بشرية في الإنسان مرجعا للغضب والإدراك، وجاء بنظرية المدينة الفاضلة القائمة على العدل في سياستها، والتي أوضحها في كتابه الجمهورية.

ترجمته في: الملل والنحل ٤٠٥/١-٤١٤، تاريخ الفلسفة اليونانية ص: (٦٢-١١١)، تاريخ نشأة الفكر الفلسفي ١٦٤/١.

(٣) تنظر ترجمته ص: (٢٠٣) من النص المحقق.

الإسلاميين كابن سينا[1] والفارابي،[2] ومذاهب الإسماعيلية الباطنية، وفكر إخوان الصفا[3] إضافة إلى أصول علم الكلام، والتعسف في تأويل نصوص القرآن والحديث لتوافق مذهبهم.[4]

هذا وإن تحليل صلة ابن العربي الحاتمي بهذه الثقافات والمذاهب القديمة ذات أهمية بالغة في معرفة جذور اعتقاد ابن العربي، كمرحلة مهمة لفهم عقيدته، واستيعاب مذهبه الغريب في وحدة الوجود.

ويمكن تلخيص هذه الجذور العقدية في العناصر التالية:

• ابن العربي وصوفية الأندلس :

اشتهر المجتمع الأندلسي والغرب الإسلامي بعامة منذ القديم بمحاربة الفكر الفلسفي، والتفكير الميتافزيقي المتحرر من جميع القيود والثوابت، والخاضع لسيطرة العقل الحاكم، ونظر علماء الأندلس لهذا الفكر على أنه ضرب من الانفلات والتسيب الفكري والعقدي، كونه يتناول ثوابت الإسلام وأصوله بالجدل والتفكير، وهذا الذي يفسر إحراق دولة الموحدين لكتب الفلسفة وإعدامها، وكان من بينها كتب ابن رشد الفيلسوف.

---

(١) تنظر ترجمته ص: (٣٤) من النص المحقق.

(٢) هو: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي ولد سنة ٢٦٠هـ، يعرف بالمعلم الثاني، فيلسوف منطقي يقول ببعث الأرواح، وينكر بعث الأجسام، تتلمذ على تصانيفه ابن سينا، وله عدة مصنفات، مَن رام الهدى فيها حار وضل، مات عام ٣٣٩هـ.

ترجمته في: تاريخ الحكماء لابن القفطي ص: (٢٧٧)، وفيات الأعيان ١٥٣/٥، السير ٤١٦/١٥، الوافي بالوفيات ١٠٦/١.

(٣) إخوان الصفا هم جماعة ربطت بينهم الصداقة تألفت في البصرة في القرن العاشر الميلادي، ووضعت لنفسها مذهبا مزجت فيه بين تعاليم الشريعة الإسلامية، وبين مذاهب الفلسفة اليونانية، ودونوها في رسائل لهم تتألف من إحدى وخمسين رسالة مختلفة الموضوعات والمصادر، ومذهب إخوان الصفا مقتبس من جميع المذاهب، وألفوا بينها على أساس عقلي، وبناء على منهج باطني يفرق بين الحقيقة والشريعة.

ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة د. زكي نجيب محمود ص: (٣٠-٣١).

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامي د. أبو الوفا التفتازاني ص: (١٨٨).

ولم يكن يشتغل بالفلسفة سوى نفر قليل من الناس، وكذا كان الشـأن في المغـرب الأقصى في عهد دولتي المرابطين والموحدين. وهكذا ظل التصـوف في بـلاد الأندلـس والمغرب لا يتجاوز الجانب السلوكي وتهذيب الأخلاق على دَخَن فيه، لكنـه لم يكـن يعرف التنظير الفلسفي؛ بل كان التصوف في هذه الفترة بعيدا عن القضايـا الفلسـفية المعقدة.

وأثناء هذه المرحلة التاريخية من أواسط القرن الرابع الهجري نشأت مدرسـة صوفيـة أندلسية المولد، ذات طابع إشراقي، وهي مدرسة ابن مسرة[1] في لون صـوفي فلسـفي كلامي، وصار تصوف ابن مسرة هو التصوف المشاع في الأندلس لاعتناق كبار الصوفية في ذلك الوقت لمذهبه. وابن العربي وإن كان متأخرا في فترته الزمنية عنه إلا أنه لا يستبعد اطلاعه على أفكاره، خاصة إذا علمنا أن مدرسة ابن مسرة الصوفية ستعرف انتشـارا واسعا على يد كبار الصوفية الذين نشروا فكرها.[2]

وباعتناق بعض كبار صوفية الأندلس لمذهب ابن مسرة كأبي الحكم ابـن برجـان[3] (٥٣٦هـ)، وأبي بكر ابن العريف،[4] وهو تصوف غارق في الحلول الصوفي، مشـحون بالتعقيد في الطرح الفلسفي، والغموض في الأفكار، قام كل من ابن برجان وابن العريـف بنقل هذا اللون من التصوف إلى مدينة ألمرية وإشبيلية.[5]

---

(١) هو: محمد بن عبد الله أبو عبد الله بن مسرة فيلسوف متصوف أندلسي، اتهم بالزندقة فخـرج فارا، وتردد بالمشرق مدة، ثم انصرف إلى الأندلس.

ترجمته في: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي ٤١/٢، جذوة المقتبس للحميدي ص: (٥٨-٥٩).

(٢) وللإحاطة بالمزيد عن هذه العلاقة يراجع بحث المستعرب الإسباني أسين بلاثيوس "ابـن مسـرة ومدرسته" Abenmasarra y Su Escula وقد انتصر فيه لقيام هذه الصلة الصوفية بين ابن مسرة وابن العربي الحاتمي، ومقدمة د.جورج كتورة لكتاب بد العارف لابن سبعين، ابن عربي الرجل والمذهـب د.محمد الشرقاوي ص: (١٥١) (ضمن حوليات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، عدد سـنة ١٩٧٨-١٩٧٩م)، ود.كمال جعفر في دراسته عن ابن مسرة ومذهبه (ط/ عام ١٩٧٦م).

(٣) تنظر ترجمته ص: (١٢٩) من النص المحقق.

(٤) تنظر ترجمته ص: (١٢٧) من النص المحقق.

(٥) يراجع للمزيد عن أفكار ابن العريف وابن برجان د.جمعة شيخة في التصوف الأندلسـي بـين الدين والسياسة ص: (٧٢) وما بعدها (ضمن مجلة دراسات أندلسية عدد: ٢١).

ومع أواسط القرن السادس الهجري باتت مدينة ألمرية قبلة المتصوفة في الأندلس، وكانت أحيانا تحمل الفكر الصوفي ولكن بلون سياسي كما حصل مع ابن قسي[1] في ثورته على حكام الموحدين، وتزايد طموحه وإقدامه في سبيل تحصيل أطماعه، وبموازات ذلك ينشر مذهبه الصوفي[2] بمساعدة مريديه، ومستندا على أفكار ابن العريف وابن برجان، وقد أنشد بعض شعراء الأندلس في حال ابن قسي محذرا منه:

اهْرَب إلى الله وابْرَأ   مِن أحمد بْنِ قَسِيِّ
أو فَاتَّخِذهُ إمَامـًا   واكفُر بِكُلِّ نَبـيِّ

وكان ابن قسي يميل في تصوفه إلى المنهج الباطني، ويَدَّعي لنفسه أنه مهدي الأندلس بعد وصول الخبر من المغرب عن دولة الموحدين، و عن سبب قيام بنيان دولتهم، وقد انتهى به طمعه في الحكم إلى أن لجأ إلى التحالف مع النصارى ضد دولة الموحدين بالمغرب، فسخط عليه الناس ودبروا قتله.

وقد التقى ابن العربي مع ابن قسي في تونس أثناء رحلته إلى المشرق، ودرس معه كتابه **خلع النعلين**، ونبه على لقائه به في مواضع من كتبه.[3]

واستفاد ابن العربي في تصوف هذه المدرسة من أفكار ابن العريف وابن قسي، وعمل شرحا على بعض نصوصهم، وتأثر بمنحى ابن برجان في التفسير الرمزي الباطني، ونزع منزعه في تفسير القرآن.

وفي مدينة مُرْسِية ظهر وسط صوفي واسع كانت بدايته غامضة مع شخصية طبعت معالمه بغموضها، ونهجت منهجا فلسفيا في التصوف، وكان ذلك هو أبو عبد الله الشوذي المشهور بالحَلْوي[4] صاحب المدرسة الشوذية الصوفية، تنسب إليها أفكار صوفية غريبة، ممزوجة بأطماع سياسية في الحكم.

وأبو عبد الله الشوذي صاحب الطائفة الشوذية المرسية شخصية غريبة كما تؤكد الوثائق التاريخية، فبعد اشتغاله بالقضاء تركه وتوجه إلى حياة التصوف، وفي مدينة تلمسان التي رحل إليها تاركا بلده إشبيلية التقى بابن المرأة (أو ابن دَهَّاق)، واتخذه تلميذا

---

(١) تنظر ترجمته ص: (١٢٨) من النص المحقق.

(٢) التصوف الأندلسي بين الدين والفلسفة د.جمعة شيخة ص: (٧٨).

(٣) ينظر الفتوحات المكية ٧٧/٣، ١٢٩/٤ (نشرة: دار صادر).

(٤) تنظر ترجمته ص: (١٢٩) من النص المحقق.

ومعينا على نشر فكره الصوفي، والتف حوله العوام والصبيان، وهو يرقص ويغني ناشرا مذهبه وطريقته الصوفية، وكان إلى جانب ذلك يدرس الحديث والتفسير على المنهج الإشاري والرمزي، متضمنا المعاني الفلسفية المعقدة. [1]

ثم مات الشوذي هذا في تلمسان مُخَلِّفا وراءه مذهبا وطائفة عرفت باسم الشوذية نسبة إليه ، وقد انتقل لواء المذهب الشوذي إلى ابن المرأة تلميذه بمرسية، وبدأ يشتغل بعلم الكلام والحديث، إلى جانب التصوف الذي طبع به دروسه ومجالسه، وهو تصوف غال في الوحدة المطلقة، وهي نفس فكرة ابن العربي التي أَصَّلَها من بعد، وتقوم على أن العالم صورة لتجليات الحق. [2]

والكثرة في الموجودات عند ابن المرأة وهم وخيال، والموجودات المحسوسة عنده مشروطة بوجود المدرك العقلي، والوجود المفصل مشروط بوجود المدرك البشري، والتعدد في الموجودات إنما هو في المدركات فقط. وما الموجود بكل أفراده إلا حقيقة إلهية، وإذا بلغ الصوفي درجة من الترقي الروحي سقط عنده وَهْم التطلع إلى هذه الجزئيات، ولم ير فيها إلا الحق، وما عداه وَهْمٌ وخيال.

وعمد ابن المرأة إلى بَثِّ هذه الأفكار الصوفية في الجوامع، وبخاصة بجامع مُرسِية في إطار حلقات التفسير والحديث. [3]

يقول الحافظ ابن الزبير وقد عاصر هذه الفرقة الشوذية: "وقام جماعة من أصحابه بمرسية إقراء وتعليما وقعد بالجامع الكبير بلورقة يفسر الكتاب العزيز على طريقتهم في ذلك المذهب، وما زال يفشو حتى ذهب ". [4]

ونستطيع أن نجزم بأن ابن العربي قد اطلع على مذهب ابن المرأة وأفكاره، وهي مدرسة صوفية نشأت بمرسية، وهي المدينة التي نشأ بها ابن العربي، فيستبعد ألا يكون قد نظر في أفكاره ومبادئه، وهو الذي طالع معظم المذاهب القديمة، ولا سيما إذا قارنا أفكار هذه المدرسة الشوذية مع مذهب ابن العربي في وحدة الوجود، فإنه بناه على فكرة التعدد

---

(١) القول المنبي للسخاوي ص: (٢٨٢-٢٨٥).

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص: (٤٧١)، شفاء السائل له ص: (١٠٧) وما بعدها، روضة التعريف لابن الخطيب ٢/٦٠٤ وما بعدها.

(٣) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٢٨٢) وما بعدها.

(٤) صلة الصلة القسم الخامس ص: (٤١٤-٤١٦).

والكثرة، والتي تعد عنده نسبا واعتبارات لا حقيقة لها، وأن المخلوقات صورة الحق كما سيظهر عند مبحث تصوير عقيدته ومذهبه.

وفي مدينة مرسية ظهر صوفي فلسفي أندلسي آخر شهير هو ابن أحلى[1] (٦٤٥هـ) تلميذ ابن المرأة، ووارث مذهبه الصوفي المبتدع، وقام بإقراء آرائه ونشرها بين الناس، وكان يسلك في ذلك مسلك الباطنية بالتَّكَتُّم والتَّسَتر، ودعا في مذهبه على تحليل الخمر، والزواج بأكثر من أربع زوجات، وسقوط التكاليف الشرعية عن الصوفي إذا بلغ درجة التحقيق واليقين، ومع ازدياد أطماع ابن أحلى في الحكم، وتمكنه من زمامه حاول حمل الناس على مذهبه الصوفي بالإكراه، فخشي ثورة الناس عليه، وبدأ بسلوك أسلوب المكر والخداع لنشر مذهبه بتقريب من يأخذ به، وإبعاد من يرفضه، وربما قام بتعريضه للأذى إذا صرح بالإنكار على أتباعه.[2]

وازداد هذا المذهب ذيوعا وانتشارا وابن أحلى يظهر حرصه على التسوية بين القوي والضعيف، والقريب والبعيد، والتواضع للناس، والتقلل في إنفاق المال، وحسن السياسة، فجلب بهذا الأسلوب بسطاء الناس وعوامهم إلى مذهبه، واستمر الحال في إضلالهم إلى أن مات، وانطمس بموته مذهبه واعتقاده.[3]

وبرجوعنا إلى تصوف ابن سبعين (٦٦٩هـ) تلميذ ابن دهاق وهو مَن عَرَفْنا آراءه فيما سلف، نجد هذا المتصوف المتفلسف المرسي ينتصر لمذهب الوحدة الإلهية المطلقة؛ وهي تعني عنده اتصال الله بمخلوقاته وعدم الفصل بينهما، فالوجود عنده يعيش اتصالا كاملا لا ينفصل، والوجود الحسي مظهر مُقَيد من الوجود المطلق أي الوجود الكلي، فالحق عند ابن سبعين هو صورة كل شيء وغايته، ولا حقيقة لشيء إلا بالحق، ولا وجود إلا منه، فالوجود الحق واحد عند ابن سبعين.[4]

ثم يقسم ابن سبعين الوجود إلى أقسام كتمييز بينه وبين العدم، واكتشاف الذات عند ابن العربي إنما هي في الحقيقة اكتشاف للحق الكامن في هذه الذات.[5]

---

(١) تنظر ترجمته ص: (١٢٣) من النص المحقق.

(٢) تنظر ترجمته ص: (٢٨٢) من النص المحقق.

(٣) تنظر ترجمته ص: (٢٨٣) من النص المحقق.

(٤) بد العارف لابن سبعين ص: (١٠٢).

(٥) الوحدة المطلقة عند ابن سبعين لمحمد ياسر شرف ص: (١١٤) وما بعدها، مقدمة د.جورج كتورة لبد العارف ص: (٨).

نخلص من هذه الوقفة العاجلة مع صوفية الأندلس إلى أن مذهب ابن العـــربي امتـــداد لمدرسة صوفية تأسست على اعتبار الوجود في جملته إلهيه ودنيويه وحـــدة متكاملـــة لا تنفك، وسلسلة الموجودات هي مراتب اعتبارية، ونسب لا حقيقة لها بذاتها، وإنما باعتبـار من أوجدها. [1]

وبهذا تتضح معالم هذه المدرسة الأندلسية الصوفية التي سبقت ابن العربي ابتداء من ابـن مسرة وابن العريف، ومرورا بالشوذي صاحب الطائفة الشوذية، وانتهاء بابن أحلى وابـن سبعين، وتركت مبادئ هذه المدرسة الصوفية الموغلة في الوحدة الإلهية المطلقة أثرا واضحا على فكر ابن العربي الحاتمي.

وقد اضطلعنا من هذا العرض إلى إثبات التواصل القوي بين الشوذية والحاتمية، بـين أبي عبد الله الشوذي وبين ابن العربي الحاتمي، ولأهمية الارتباط بين مذهب ابن العربي ومـــن سبقه من صوفية الأندلس، فإن نصوص عدد كبير من مشاهير هؤلاء الصوفية لم تصلنا إلا من طريق كتب ابن العربي ينبيك ذلك عن قوة الصلة بينهم، واهتمام ابن العـــربي بهـــذا التواصل العقدي القوي. [2]

وقبل مغادرة هذه النقطة يجدر بنا أن نشيد بدور علماء الأندلس في رد هذه العقـــائد الباطلة والمخالفة لصفاء توحيد الرسل والأنبياء، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمـــام هـــذه الأفكار والمبادئ الصوفية، تصنيفا ودرسا وتقويما، وكان ممن أبلى البلاء الحسن في ذلـــك الحافظ ابن الزبير الغرناطي في كتابه الماتع في الرد على الطائفة الشوذية **ردع الجاهل عـــن اعتساف المجاهل**، وقد أثنى علماء عصره على هذا الكتاب، وأيضا أرجوزته الطويلـــة في بيان مذاهب الشوذية من الصوفية، وصنف الحافظ ابن الدراج السبتي كتاب **إماطة الأذية الناشئة عن سباطة الشوذية** وهو مصنف نفيس في الرد على هذا اللون من التصـــــوف، ونقد أبو حيان مذهب هذه الطائفة في كتابه الرائع **النُّضَار في المسلاة عن نِضَار**، وفتاوى ابن حجلة التلمساني وقصائده فيهم، [3] ومعظم ذلك لم يصل إلينا من كنوز المخطوط.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص: (٤٧١-٤٧٢)، شفاء السائل له ص: (١٠٧) وما بعدها.

(٢) ابن عربي الرجل والمذهب د.محمد الشرقاوي ص: (١٥٠-١٥١)، المعرفة عند محيي الدين ابـــن عربي د.محمد غلاب ص: (١٩١) وما بعدها (ضمن الكتاب التذكاري).

(٣) ينظر في ذلك القول المنبـــي عن ترجمة ابن العربي ص: (٢٧٦-٢٨٥).

● ابن العربي وصوفية المشرق:

بعد أن عرفنا علاقة ابن العربي بصوفية الأندلس، ومدى تأثره بمبادئهم، واهتمامه الكبير بالاطلاع عليها، ثم التشابه البَيِّن في ركائز مذهبه في الوحدة الإلهية المطلقة مع أصولهم، فإن لسائل أن يتساءل عن أثر الصوفية بالمشرق في مذهب ابن العربي، وعن مدى اطلاعه على نصوصهم؟

وقبل النظر في هذه القضية يحسن بنا أن نحصر مجال النظر والبحث، فإن ابن العربي لم يكن راضيا عن تصوف المتقدمين الذي غالبا ما يصطلح عليه بالزهد، لكونه أقرب ما يكون إلى تهذيب الأخلاق، وإصلاح المعاملات، وتوطيد صلة العبد بربه، وصرفه عن كل ما يشغله عن ذلك، وحول هذه المعاني كان تصوف طبقة الجنيد والحارث المحاسبي وذي النون ومن شاكلهم، ولم يكن التصوف عندهم ممزوجا بالنظر الفلسفي.

هذا النوع من الزهد ليس محل نظر عند ابن العربي في مذهبه لأن مُتَعَلَّقه المعاملات وتهذيب السلوك؛ بينما التصوف في رأيه علم ذوقي، وتجربة كشفية قام على الأحدية ورفع الإثنينية، وهي التي تحقق للعبد وحدها اليقين فقط.[1]

وسأعرض في عجالة إلى عناصر التأثير لفلسفة الحلاج (٣٠٩هـ)[2] الصوفية في مذهب ابن العربي باعتبار الحلاج مُقَدَّم التصوف الحلولي بالمشرق، لنصل إلى أثر مذهبه على فكر ابن العربي، دون أن يغيب عن أذهاننا الفرق الواضح بين مذهب ابن العربي في الوحدة، ومذهب الحلاج في الحلول، وإن كانت عناصر الفلسفة تجمعها.

وينبغي أن نلفت النظر إلى شيء مهم؛ وهو أن الحلاج لم يبلغ شأو ابن العربي في انتشار صيته في التصوف، وكثرة التأليف، وانتشار الأتباع، ولم يصل إلى مستواه في التنظير الفلسفي لمذهبه في الوحدة الإلهية، وإنما كانت شطحات من الحلاج تَفَوَّه بها، فحكم عليه العلماء بسببها قتلا.

اهتم ابن العربي بتصوف الحلاج واطلع على مذهبه، حتى إنه قام بشرح اصطلاحاته الصوفية في كتاب أسماه **السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج**،[3] ويظهر أيضا اهتمام ابن العربي بآراء الحلاج من خلال مناقشته له في عدة مواضع من مصنفاته.[4]

---

(١) ابن عربي حياته ومذهبه ص: (١١١-١١٢).

(٢) تنظر ترجمته ص: (٢٠) من النص المحقق.

(٣) مؤلفات ابن عربي د.عثمان يحيى ص: (٣٨٣).

(٤) قارن المواطن التالية من الفتوحات المكية ٩٥،٩٤/٣ (نشرة: عثمان يحيى).

وإذا رُمْنَا مُقارنةً بين آراء الحلاج وابن العربي لمعرفة عناصر التأثير في مذهب ابن العربي نجد الحلاج يبني تصوفه في علاقة الحق بالخلق، واللاهوت بالناسوت، على أن الذات الإلهية والخلق شيئان مختلفان من حيث الطبيعة، وأن اللاهوت قد يَحُل بالناسوت إذا بلغ درجة من التحقيق الصوفي، ووصل إلى مستوى عال من الصفاء الروحي.[(١)]

ويصطلح الحلاج على علاقة الحق بالخلق بالطول والعرض، ويريد به أن الحقيقة تدرك بحلول الحق في الخلق، مع الفرق بين الذاتين.[(٢)]

أما ابن العربي فإنه يذهب إلى أبعد من ذلك حين يذهب إلى أن التفريق بين الرب والعبد في الوجود ناتج عن قلة الإدراك، وضعف التحقيق، وهو يصف هذه العلاقة بالحق والخلق بأن الحق واجب الوجود، وأن الخلق كثرة ممكنة الوجود، يتوقف وجودها على غيرها، والكثرة في الوجود عند ابن العربي اعتبارية، ولا أصل لها إلا عند العقل البشري القاصر، وفي ذلك يقول:

فَالحَقُّ خَلَقٌ بهذا الوَجْهِ فاعْتَبِروا   ولَيْسَ خَلقاً بهذا الوَجْه فَادَّكِروا
مَن يَدْرِ ما قُلت لم تُخذَل بَصِيرتُه   وليس يَدْريه إلا مَن لَهُ بَصَرُ[(٣)]

وإذا كان الحلاج قد ذهب إلى الاثنينية في مذهبه الصوفية، فإن ابن العربي يبطل هذه الاثنينية ويرى أن الأحدية هي اليقين الذي يحقق التوحيد، مما يفيدك بأن الحلاج قد سبق ابن العربي في فكرة الوجود المطلق، ومهد الطريق لابن العربي الذي خلص إلى مفهوم الوحدة الإلهية المطلقة.

وعن نظرية الإنسان الكامل فإن للحلاج السبق في التنظير لها عن ابن العربي، وإذا كان الحلاج يرى أن الحق تجلى لنفسه في نفسه قبل الخلق، وقبل علمه بالخلق، فأظهر جلالته في شيء خارج عنه، وهو الإنسان الكامل، وقد عَبَّر عن ذلك في شعره بقوله:

سبحان من أظهر ناسوته   سِرَّ سَنَا لاهوته الثَّاقِب
ثم بَدَا في خَلقه ظَاهِراً   في صُورَة الآكِلِ والشَّارِب
حَتَّى لقد عَايَنَه خَلقُه   كَلَمحَةِ الحاجب بالحَاجِبِ[(٤)]

---

(١) الطواسين للحلاج فقرة: (٦) طاسين الأزل والالتباس، أخبار الحلاج فقرة: (٣٥، ٣٦).

(٢) الطواسين فقرة: (١١) طاسين بستان المعرفة.

(٣) الفصوص بشرح القاشاني ص: (٨٤).

(٤) بداية الحلاج ونهايته لابن باكويه فقرة: (١٩)، ديوان الحلاج ص: (٣٠).

أما ابن العربي فيذهب إلى أن آدم هو أعظم مجلى إلهي تظهر فيه الكمالات الإلهية، ولذا يقول في الفصوص: " لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه؛ لأن أعيانها عينه باعتبار كثرة التعينات والنسب لكونه متصفا بالوجود، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور ففيه مما لم يكن يظهر لله من غير وجود هذا المحل ولا تجليه له".[١]

فالإنسان الكامل عند ابن العربي هو من تتجلى فيه الأحدية، ولا اعتبار للكثرة فيه، لأنها نسب واعتبارات لا حقيقة لها.

فقد كانت نظرية الإنسان الكامل النواة الأولى لمذهب ابن العربي في الإنسان الكامل، أو الحقيقة المحمدية.

وفي قضية التتريه الإلهي بين الحلاج وبين ابن العربي نجد الحلاج ينظر إلى هذا التتريه على أنه "صفة الموحِّد لا صفة الموحَّد"[٢] فالتوحيد عند الحلاج هو الذي يحمله العقل على الحق، لا التوحيد الذاتي للحق، وفي هذا المعنى ينشد الحلاج:

من رامه بالعقل مُسترشِدا   أَسْرَحَه في حَيْـرَةٍ يَلْهُـو

قد شَابَ بِالتَّلبِيسِ أَسرَارَه   يقول مِن حَيْرَتِه: هل هو؟[٣]

وابن العربي يرى أن التنزيه الذي يصف الخلق به الحق، هو عين التشبيه لأنه تقييد للحق، فالتنزيه الإلهي الذي للحق لا يعرفه العقل ولا يدركه، ويذهب إلى أن إطلاق أية صفة على الموصوف حتى وإن كانت تتريها فهي تقييد وتشبيه للموصوف، وفي ذلك يقول:

فإن قُلتَ بالتَّنْزِيه كُنتَ مُقَيِّدًا   وإن قُلتَ بِالتَّشبِيهِ كُنتَ مُحَدِّدًا

وإن قُلتَ بالأمرين كُنتَ مُسَدَّداً   وكُنتَ إِمَاماً في المَعَارِفِ سَيِّداً

فإياك والتشبيه إن كنت ثانيا، وإياك والتتريه إن كنت مفردا".[٤]

ويمكن القول بأن ابن العربي في تفريقه بين الوحدة الإلهية، والتوحيد الذي يصف الإنسان به الحق، يتفق مع رأي الحلاج في قضية التتريه الإلهي.[٥]

---

(١) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (١١-١٢).

(٢) الطواسين للحلاج فقرة: (٨) طاسين التوحيد.

(٣) أخبار الحلاج فقرة: (٦١).

(٤) الفصوص بشرح القاشاني ص: (٥٩-٦٠).

(٥) من أين استقى محيي ابن عربي فلسفته الصوفية د. أبو العلا عفيفي ص: (٣٤).

وفي مسألة الفناء الصوفي التي يبنيها الصوفية على أصل الحب الإلهي عندهم انطلاقا من أصل حديث «**كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني**»،[١] والحلاج بنظريته الاثنينية بين المحب والمحبوب، وقوله بحلول اللاهوت في الناسوت، يذهب إلى أن الفناء الصوفي يحصل عندما يبلغ الصوفي درجة من اليقين ينخلع فيها عن صفات العبودية، وتحل محلها صفات الإلهية دون امتزاج، ويبين ذلك بقوله:

إذا بلغ الصَّبُّ الكَمَالَ مِنَ الفَتَى ... ويُذْهِلِ عَن وَصْلِ الحَبِيبِ مِن السُّكرِ

فَيَشْهَد صِدْقاً حيث أَشْهَدَه الهَوَى ... بأن صَلاةَ العَاشِقِينَ مِنَ الكُفرِ[٢]

ويقول:

ذِكْرُه ذِكْرِي وذِكْرِي ذِكْرُه ... هَل يَكُونُ الذِّكْرَانِ مَعاً؟[٣]

أما الفناء عند ابن العربي فيختلف تماما بالرغم من وجود عنصر الاشتراك؛ فهو يرى أنه يتحقق بوحدة المحب والمحبوب فلا فرق عنده بينهما، كما لا فرق بين اللاهوت والناسوت، وإنما هي حقيقة واحدة، ويعبر عن هذه الوحدة في الحب الإلهي بقوله:

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[٤]

والفناء عند ابن العربي يظهر أنه أكثر تعقيدا في رأيه من الحلاج، لأنه يرى الفناء مرتبطا بالبقاء، ولا يمكن أن يتم الفناء عن كل ما سوى الله، إلا بالإبقاء عن نسبة إلى الله، ويصور ذلك بقوله: "والفناء نسبتك إلى الكون فإنك تقول: فنيت عن كذا، ونسبتك إلى الحق أعلى، فالبقاء في النسبة أولى لأنهما حالان مرتبطان، فلا يبقى في هذا الطريق إلا فَانٍ، ولا يفنى إلا باق، والموصوف بالفناء لا يكون إلا في حال البقاء، والموصوف بالبقاء لا يكون إلا في حال البقاء".[٥]

---

(١) حديث باطل موضوع لا أصل له، نص على ذلك جمع من الحفاظ المحدثين منهم الزركشي في التذكرة ص: (١٣٦)، والكناني في تنزيه الشريعة ١/١٤٨، وابن تيمية في الفتاوى ١٨/١٢٢، وابن حجر والسخاوي في المقاصد الحسنة ص: (٣٢٧)، والسيوطي في الدرر المنتشرة ص: (٢٢٧)، والعجلوني في كشف الخفاء برقم: (٢٠١٦).

(٢) أخبار الحلاج فقرة: (٧٤).

(٣) الطواسين للحلاج فقرة: (٦) طاسين الأزل والالتباس.

(٤) ديوان ترجمان الأشواق ص: (٤٤).

(٥) الفتوحات المكية ٢/٥١٥ (نشرة: دار صادر).

إذن لا بد للصوفي أن يمضي من الفناء إلى البقاء؛ إذ كل فناء لا يعقبه بقاء عند ابن العربي لا يعول عليه. [1]

والفناء الإلهي عند ابن العربي يأتي على عدة أحوال؛ فهناك ما يسميه بالفناء الظاهري وهو أن يتجلى الحق بطريق الأفعال، ويسلب عن العبد أبصاره فلا يرى لنفسه، ولا لغيره فعلا إلا بالحق. أما الفناء الباطني فهو أن ينكشف تارة بالصفات، وتارة بمشاهدة أثر عظمة الذات، ويستولي على باطنه نور الحق حتى لا يبقى له هاجس. [2]

وبهذا يكون مذهب ابن العربي في الفناء أوسع وأعقد من مذهب الحلاج، وإن كان قد استفاد من الحلاج في أسلوبه. [3]

وعند قضية الإرادة والمشيئة الإلهية نجد التشابه بين مذهب ابن العربي وبين الحلاج؛ فالإرادة الإلهية عند ابن العربي تختلف عن المشيئة الإلهية، فالمشيئة تعني تقدير الله للأشياء وهي أشبه ما تكون بالعقل الموجود في جميع الأشياء، فتكون مرادفة للذات الإلهية، أما الإرادة الإلهية فهي القوة الإلهية وأداة الخلق، والخلق خروج الممكنات إلى العالم الخارجي، وذلك يتوقف على جانب الإرادة، ويعبر عن ذلك بالزيادة والنقص في قوله:

يُريد زِيَادَة ويُريد نَقْصًا ... وليس مشاؤه إلا المشاء

فهذا الفَرقُ بينهما فَحَقِّق ... ومِن وَجه فَعَيْنُهُما سَوَاء[4]

وبناء على ما ذهب إليه في التفريق بين الإرادة والمشيئة فإن المعصية عند ابن العربي تقع بحسب الإرادة الإلهية لا الأمر الإلهي الذي يأتي به الشرع، وهو ما تواضع الناس على تسميته شرا، وابن العربي لا يراه كذلك، ولذلك ذهب إلى أن معصية إبليس، وكفر فرعون من أهل الفتوة، وصحح على هذا الأساس قوله في شطحاته: "أنا الحق"؛[5] بل إنه صرح بأن إبليس وفرعون صاحباه وأستاذاه، وزاد شطحا وضلالا وانحرافا. [6]

---

(١) الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي د.أحمد الجزار ص: (١٦٧) وما بعدها.

(٢) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن العربي ص: (١٠٥).

(٣) من أين استقى محيي الدين ابن عربي د.أبو العلا عفيفي ص: (٣٤).

(٤) الفصوص بشرح القاشاني ص: (٢٨٨-٢٨٩).

(٥) الطواسين فقرة: (٦) طاسين الأزل والالتباس، المنحى الشخصي لحياة الحلاج لماسينيون ص: (٨٣).

(٦) الطواسين فقرة: (٦).

وهكذا يكون ابن العربي قد وجد في مذهب الحلاج الصوفي تربة خصبة لتصوفه، وإن كان يختلف عنه في آرائه وأفكاره، لكونه أكثر تعقيدا وتوسعا في طرحه لمذهب الوحدة الإلهية المطلقة، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الحلاج كان راسبا من رواسب ابن العربي في فلسفته الصوفية، بشكل زهده في تصوف المتقدمين في طبقة الجنيد والشبلي، فإنه يشير إلى آرائهم إشارات عاجلة.

وبهذا العرض العابر للتصوف الأندلسي والمشرقي وعلاقته بابن العربي، والذي اضطلعتُ به لتأكيد الصلة بينهم، وكونها شكلت أحد الجذور العقدية لمذهب ابن العربي في الوحدة المطلقة، وإن كان قد توسع في مذهبه، ولكن إفادته من الصوفية الذين سبقوه إلى القول ببعض أفكاره وآرائه لا يمكن أن يغفلها الدَّارِس لمذهب ابن العربي، فقد شكلت القاعدة التي أسس عليها مذهبه.

• **ابن العربي ونصوص إخوان الصفا، ومن سلك مسلكهم من الفلاسفة الإسلاميين من أتباع الأفلاطونية الجديدة**[١] Neo. Plastionism .

بالرغم من التضييق الذي كانت تجده علوم الفلسفة في الأندلس زمن ابن العربي وبعده في عهد دولتي المرابطين والموحدين، فإن وجود مجموعة من الفلاسفة كابن بَاجّة (٥٣٣)،[٢] وابن طفيل (٥٣١هـ)، وابن رشد (٥٩٥هـ) ساعد على جلب كتب الفلسفة القديمة من الشرق، وتعريب كتب اليونان، فوصلت كتب أفلاطون وأرسطو، وراجت مصادر أفكار الفرق والمذاهب الكلامية بعد أن كانت غير معروفة، إذا استثنينا كتاب ابن حزم في الفصل.

فوجد ابن العربي بيئة معرفية ملائمة للإطلاع على مذاهب الفلاسفة في بلده الأندلس قبل رحيله إلى المشرق، فقرأها واستوعبها، واجتهد في جعل الفلسفة القديمة في إطار صوفي معقد، امتزجت عنده فيه أفكار الفلسفة وقضاياها المعقدة من ميتافيزيقا وهيولى وغيرها بمبادئ التصوف التي ورثها عن الفكر الصوفي الأندلسي المتمثل في ابن مسرة وابن العريف والشوذي وغيرهم ممن سبق بيان أثرهم عليه.

واستقى ابن العربي من نصوص إخوان الصفا رصيدا كبيرا مزجه بمذهبه إلى جانب الفلسفة الإغريقية، والفارسية وآراء الفلاسفة الإسلاميين والمتكلمين، وكان ذا دهاء عندما جمع بين هذه العناصر المختلفة، وألبسها لباسا صوفيا خاصا به يجمع أصول جميع المذاهب والعقائد.

---

(١) الأفلاطونية الجديدة: مصطلح حديث يدل على ذلك الجهد المبذول في إدماج معظم الفكر الفلسفي المبكر، وخاصة فكر أرسطو والرواقيين إضافة إلى كثير من المعتقدات الدينية والأساطير وعبادات اليونان، والأفلاطونية الجديدة تدعو إلى ألوهية تعلو على الكون وتجاوز الوجود.

انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة د.زكي نجيب محمود ص: (٥٣).

(٢) هو: محمد بن يحيى بن باجة، ويعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي، فيلسوف ينسب إلى التعطيل، اتهم بالإلحاد في المغرب، ومات به عام ٥٣٣هـ. له عدة كتب في الفلسفة والطبيعيات منها كتاب النفس.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٢٩-٤٣١، تاريخ الحكماء لابن القفطي ص: (٤٠٦)، نفح الطيب ١٧/٧ وما بعدها.

ولم يكن ابن العربي أول من أفاد من رسائل إخوان الصفا التي شكلت مصدرا فلسفيا واسعا في وقته، بل شاركه في ذلك غيره من كبار الصوفية قبله كالحلاج والسهروردي المقتول،[1] وهذا ما يفسر تشابه مذهب ابن العربي الصوفي مع غيره من الصوفية المتقدمين فالأصول والجذور واحدة، والمصادر كلها وافدة.

والناظر في قضايا الجوهر عند ابن العربي يلوح له ذلك التشابه الواضح بينه وبين مذهب أفلاطون في الجواهر،[2] ومع أفلوطين على وجه الخصوص، في اعتبار التعدد في الأفعال والأشخاص إنما هو في النسب والاعتبارات، ولا يمكن فهم الكثرة إلا من خلال الوحدة، وهذا ما يمكن أن نسميه نزعة أفلاطونية فلسفية في مذهبه الصوفي.[3]

ولقد استفاد ابن العربي من الفلاسفة الإسلاميين كابن سينا، والفارابي في أسلوبهم في استخدام الألفاظ القرآنية مثل القلم، واللوح المحفوظ، والعرش للدلالة على مقصده الفلسفي، كمرادفات للاصطلاحات الأفلاطونية أعني العقل الأول، والنفس الكلية، والجسم الكلي.[4]

وتبرز أهم معالم منهج إخوان الصفا في تأويل نصوص المعاد والحشر وغيرها إلى درجة يفهم منها إنكار حقيقتها، والتي كان المراد منها هدم أصول الأديان، وإزالة قواعد شرائع الأنبياء، كل ذلك يظهر واضحا في مذهب الوحدة الإلهية عند ابن العربي بتعسفه في تأويل نصوص القرآن لخدمة فكره، وتأويل حقائق الشرع الغيبية كوجود الجنة والنار، والشيطان، والنعيم والعذاب وغيرها مما جاءت الأديان السماوية لتأكيد وإقرار حقيقته.

وفي وقفة عاجلة لاستخلاص العناصر المشتركة بين ابن العربي وبين فكر إخوان الصفا، نستعرض بعض العناصر الأساسية التي بنوا عليها مذهبهم:

---

(١) من أين استقى محيي الدين ابن عربي فلسفته الصوفية د.أبو العلا عفيفي ص: (٢١).

(٢) ينظر أفلاطون في فلسفته إلى أن الفرق بين الكثرة والتنوع التي نراها في الخلق والأفعال والأشخاص، إنما يوجد بوجه من الوجوه، فالعدل مثلا إنما هو واحد فقط، والظلم واحد فقط، وهكذا في كل مجموعة من الأشياء التي تطلق عليها نفس الاسم، فعلى الرغم من أن الأشياء الجميلة مختلفة ومتنوعة فإنما هناك جمال واحد فقط، بينما التمييز بين الأشياء الجميلة كلها يحصل بذات الجمال الواحد الذي لولاه لما أمكن أن نقول عن الشيء إنه جميل.

ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة د.زكي نجيب محمود ص: (٤٧).

(٣) ابن عربي حياته ومذهبه ص: (١١٣-١١٤).

(٤) الفتوحات المكية ٤/٣٢٥-٣٢٧ (نشرة: عثمان يحيى).

ـ في نظرية الفيض الأفلاطونية التي بنى عليها إخوان الصفا فكرهم في تفسير الوجـــود، وهي تقوم على اعتبار الفيوضات سلسلة من الموجودات كل منها يصدر عـــن الفيـــض المتقدم عليه،[1] ويظهر كمالاته.

وبالنظر إلى ابن العربي نجده أخذ نفس المذهب وفسر به نظريته الفلسفية في الوجـــود، ولكن بشكل آخر؛ عندما اعتبر الموجودات نسبا واعتبارات لمجلى الأحدية الإلهي، وهـــو تفسير آخر للوحدة المطلقة، لأن الذات الإلهية لا تقبل الكثرة.[2]

استخدم ابن العربي هذه النظرية الأفلاطونية بجعله العقل الأول الذات ظاهرة بصـــورة القوة الناطقة في جميع الأشياء وراء النفس الكلية، وهي أيضا الذات ظاهرة بصورة القـــوة المدبرة، والجسم الكلي هي هذه الذات ظاهرة بصورة العالم المادي.[3]

ـ وفي ماهية الذات الإلهية يذهب إخوان الصفا إلى أنها ليست بجسم، وإنما هي هويـــة وحدانية ذات قوة واحدة، وأفعال كثيرة، وصنائع عجيبة، يفيض منها وجود الممكنـــات، وهذه الذات الإلهية هي المظهر لصور الكائنات، فالله في نظرهم هـــو الخـــالق المبـــدع للموجودات التي تفيض منه وتصدر، والعالم ليس صورة له، أو جزءا منه، بل هو فيـــض منه.[4]

وقد استفاد ابن العربي من هذه الفكرة عندما ذهب إلى أن العـــالم صـــور ونســـب واعتبارات محضة في ذاتها، ولا وجود لها مُنفَـرِدٌ بعيد عن الذات.

فوجد محيي الدين الحاتمي في فكر إخوان الصفا مادة فلسفية غزيرة استقى منها مذهبـــه في الوحدة المطلقة، وحَبَكَ ذلك الخليط من الأفكار والمذاهب الفلسفية لإنشاء مذهـــب غريب من الوحدة الإلهية.[5]

---

(١) رسائل إخوان الصفا ٢٠١/٣.

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية ص: (١٨١).

(٣) قارن عن هذه الفكرة الفتوحـــات المكيـــة ١٥٨/٤، ١٦١، ٣٢٥، ٣٤٤، برســـائل إخـــوان الصفا٢٣٢/٣، وغيرها.

(٤) رسائل إخوان الصفا ٤٦٢/٣ وما بعدها.

(٥) من أين استقى محيي الدين بن عربي فلسفته الصوفية د.أبو العلا عفيفي ص: (٢٣)، ابن ســـبعين وفلسفته الصوفية د.أبو الوفا التفتازاني ص: (٧٠-٧١).

- **ابن العربي والفكر الباطني:**

لا يمكن لدارس مذهب ابن العربي الحاتمي أن يتجاهل بأي حال العناصرَ الباطنية فيه، أو يغفل تأثير منهج الباطنية في تفسيره الآيات القرآنية، والخروج بها عن مجراها وسياقها، والقول بوجود ظاهر وباطن لهذه النصوص، واعتقاد أن خواص من المحققين هم الذين اختصوا بفهم مقصود الآيات، ومعرفة بواطنها وجواهرها، ووجود جانب الخفاء والتعقيد في الأفكار؛ بالتصريح أحيانا، والتلاعب بالألفاظ للتلبيس والتستر أحايين كثيرة، وابن العربي يتقن جيدا هذا اللون من الخطاب.

يقول د.عثمان يحيى وهو أحد الدارسين الوَلِهين بمذهب ابن العربي في الوحدة الإلهية معترفا بتأثير الباطنية في مذهب ابن العربي: "وموقف الشيخ هنا _ في كلامه عن أنبياء الأولياء _ كما هو شأنه في كثير من المواضع والميادين، ينبغي أن يُدرَس ويفهم في ضوء النظريات والتعاليم الشيعية، وخاصة الإسماعيلية؛ لوحدة الاتجاه الأصيل الذي انبثقت عنه هذه الألوان المعنية في التفكير الإسلامي، هذا الاتجاه في نظرنا هو ما يمكن تسميته بالتيار الفكري الديني الباطني في الإسلام، الذي بدأ بكبار مفكري الإسماعيلية، ثم تلاه كبار عرفاء الصوفية والإمامية".[1]

يوضح هذا النص الدَّرسي لمذهب ابن العربي حُضورَ العنصر الباطني في مذهب ابن العربي بقوة، وضرورة الالتفات إليه أثناء تحليل أفكاره.[2]

حاول ابن العربي أن يسخر الآيات القرآنية، ونصوص السنة النبوية لخدمة مذهبه بشكل مُتَعَسَّف فيه بتأويلها لتوافق منهجه في تقرير الوحدة الإلهية، ولا يمكن القول بأن القرآن والسنة قد شَكَّلا مصدرين لمذهبه البَتَّة، وإنما هو احتيال ابن العربي في تأويل النصوص، وتلاعبه الكبير باللغة، واستخدام الرمز للتلبيس به عن المعاني التي يقررها مذهبه. وهو منهج قريب من طريقة الفيلسوف اليهودي فيلون[3] Philo الذي سلك نفس

---

(١) مقدمة د.عثمان يحيى للفتوحات ٤٣/٢.

(٢)يراجع عن تأويلاته الباطنية الفتوحات المكية ٣٩٩/١، ٢٥/٢، ٣٦، ٤٢، ٩٠، ١٨٣/٣ وغيرها (نشرة: دار صادر).

(٣) هو: Philo Judaeus فيلسوف يهودي هيليني عاش في الفترة بين (نحو ٢٠ق.م-٤٠م) أرسلته الجالية اليهودية على رأس وفد إلى الإمبراطور كاليجولا يتوسط لديه لرفع الغبن الروماني عن اليهود، =

المسلك في تأويل نصوص التوراة لتتوافق مع مذهبه الفلسفي.[1]

وابن العربي ينفرد بمنهج في تأويل النصوص لم يسبق إليه من بين جميع طرائق التأويل التي تقدمته؛ فهو يتقن التمرد على القواعد اللغوية، والأصول العقدية، والتعسف في تحريف معانيها بما يوافق مذهبه في تقرير الوحدة الإلهية.

وبهذا تصير نصوص القرآن عند ابن العربي نصوصا فلسفية منطقية، أو أصولا كلامية يؤولها كيف شاء، دون قيد أو شرط، ويظهر أنه كان يرمي من وراء ذلك إلى صبغ مذهبه في وحدة الوجود صبغة دينية، حتى ولو اضطره ذلك إلى التعسف في التأويل وتحريف أصول الدين، وبهذه الطريقة يكون قد اتقى سهام علماء السنة الموجهة إلى مذهبه.

الواقع أن مذهب محيي الدين الحاتمي في الوحدة الإلهية لا علاقة له بآيات القرآن والسنة النبوية للبعد الشاسع بينهما، كما أن مذهبه غني عن الاستدلال له بالنصوص الشرعية، فقد بناه على أصول فلسفية باطنية صوفية بعيدة عن الأصول الشرعية.

كما تلاعب بالآيات القرآنية بحمل بعضها على أنها تفيد التشبيه، والأخرى على أنها تفيد التتريه، واستنبط من كل ذلك أصلا لمذهبه تعسفا واعتداء. مما يفسر ذلك الحضور الشيعي القوي في مذهبه.[2]

وخلاصة القول أن الجذور العقدية، والأصول المعرفية التي اعتمدها ابن العربي في تقرير الوحدة الإلهية المطلقة ذات أهمية بالغة في فهم مذهبه، وفَكِّ رموز فلسفته الصوفية، ولا غنى للدارس له عن الوقوف عندها، وهي جديرة بدراسة موسعة تغطي هذا الجانب من مذهب ابن العربي، ولا تكفيها هذه الوقفة العاجلة، ولعل هذا المبحث في الكشف عن جذوره العقدية يكون قد اضطلع بما أريد له من الوقوف على أصول مذهب ابن العربي متعددة المشارب، وكيف اعتمد على دهائه وذكائه في بلورة هذه الأصول المذهبية

تمكن من تأويل النصوص التوراتية في ضوء الفلسفة اليونانية، فكان يدعم تفسيراته بمختارات من هذه الفلسفة، ولذلك اعتمد مجموعة من الفلاسفة الإسلاميين والنصارى على فلسفته لتأويل نصوص الوحي.

ينظر في ترجمته: الموسوعة الفلسفية د.عبد المنعم حفني ص: (٣٥٦).

(١) مقدمة د.إبراهيم مدكور للكتاب التذكاري ص: (ط)، ابن عربي في دراساتي د.أبو العلا عفيفي ص: (١٨).

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع د.كامل مصطفى الشيبي ١/٨٤، ١٧٠، ١٨٧، ٢٢٥ وغيرها.

المختلفة والمتشابكة لإنشاء مذهب خاص به يرى فيه وحدة الوجود، والذي كان له تأثـير كبير على الفكر الصوفي بعد موته، ولا يزال إلى اليوم، والله المستعان.

المطلب الثاني

الوحدة الإلهية عند ابن العربي

● توطئة في معنى الحلول والاتحاد والوحدة:

_ مذهب الحلول: Incarnation

أصل الحلول حل بمعنى نزل كما في الآية ﴿ أو تحل قريبا من دارهم ﴾،[(١)] ويأتي الحلـــول بمعنى وجب أيضا كما في الآية ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾[(٢)] وله معان أخرى.[(٣)]

والحلول أن يكون الشيء حاصلا في الشيء ومختصا به بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقا أو تقديرا.[(٤)] وهو أعم من القيام، لأنـــه اختصـــاص النـــاعت بالمنعوت، وهو أقسام؛ منه الحيزي، والجواري، والوضعي، والسرياني ولكل منها معـــنى خاص بها.[(٥)]

والحلول مذهب لبعض الطوائف يريدون به أن الله تعالى يحل في بعض مخلوقاته، قـالت به ثلاث طوائف: الأولى النصارى قالوا يحل الباري تعالى في عيسى عليه السلام، والثانية غـــلاة الشيعة والنصيرية ذهبوا إلى أنه لا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين مـــن أهل العترة الطاهرة، ولذلك أطلقوا وصف الآلهة على أئمتهم، والثالثة غلاة المتصوفة قـالوا حل الله تعالى في العارفين من الخلق.[(٦)]

---

(١) بعض الآية: ٣١ من سورة الرعد.

(٢) بعض الآية: ٨١ من سورة طه.

(٣) الكليات للكفوي ص: (٣٨٩)، الحدود في الأصول لابن فورك ص: (١٠٤).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٣٤٩، الحدود في الأصول ص: (١٠٤).

(٥) الكليات ص: (٣٩٠)، التعريفات للجرجاني ص: (١٢٥).

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون ١/٣٥١.

_ مذهب الاتحاد: Unio

الاتحاد هو صيرورة الشيئين المختلفين شيئا واحدا، فيكون بين الشيئين علاقة يشتركان فيها مع احتفاظ كل منهما بهويته,[1] وليس المقصود بالاتحاد أن يصير الشيء شيئا آخر، ولا أن يزول أحد الشيئين ويبقى الآخر.

والاتحاد في عرف الصوفية هو شهود وجود مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في أنفسها، لا من حيث أن لما سوى الله تعالى وجودا خاصا به يصير متحدا بالحق، فإنه محال.[2]

وقد قال به طائفة من المتفلسفة فقالوا باتحاد البدن مع النفس، وذهب قوم من الصوفية إلى أن المنقطع عن الدنيا، المتوجه إلى الله تعالى قد يتحد مع الله تعالى، وقال به قوم من النصارى.[3] وأبطل العلماء هذا المذهب وأنكروه.

_ مذهب وحدة الوجود: Pantheism

الوحدة كون الشيء بحيث لا ينقسم ولا يتجزأ، وتتنوع إلى عدة أنواع.[4]

ومذهب وحدة الوجود يقضي بأن الله تعالى والعالم شيء واحد، وهو مذهب قديم أخذت به البراهمانية والأفلاطونية الجديدة وغلاة التصوف.

وفي اصطلاح الصوفية وحدة الوجود تعني أن الله هو الحق، وليس ثمة موجود في الكون إلا الحق، وهو الوجود المطلق، وما تَعَدُّد المخلوقات والأفعال إلا مظهر من مظاهر الذات الإلهية، وهو معنى التجلي الإلهي عندهم.[5]

أما وحدة الوجود عند الفلاسفة فإنها تأتي بمعان أخر،[6] ولكنها تدور حول تصور الوجود وحدةً إلهية مطلقة بقريب من اعتقاد الصوفية القائلين بالوحدة.

---

(١) التعريفات ص: (٢٢)، المعجم الفلسفي د.جميل صليبا ١/٣٤ .

(٢) التعريفات ص: (٢٢)، كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٣٩٨، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشي ص: (٣٩).

(٣) الكليات ص: (٣٧).

(٤) الكليات ص: (٩٣١)، الحدود في الأصول ص: (١٠٦).

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٤٩٣-١٤٩٨.

(٦) انظر المعجم الفلسفي د.جميل صليبا ٢/٥٦٩-٥٧٠.

كان لا بد من هذه التوطئة لتوضيح الفرق بين اصطلاحات الصوفية الحلول، والاتحاد، والوحدة، حتى يتصور مذهب ابن العربي الذي ينتصر لوحدة الوجود، وهو كما تبين مذهب قائم على الأحدية الإلهية والواحدية Monisme ، وليس على مذهب الحلول الإلهي Dualistic لأن مؤداه الإثنينية وهو أمر مرفوض عند ابن العربي الحاتمي، إذ الحلول مبني على حقيقتين إلهية وبشرية مع قيام الأولى بالثانية، وهذا لا يتفق مع الوحدة المطلقة التي أصلها في مذهبه.

● وحدة الوجود عند ابن العربي الحاتمي:

لم يكن بُدٌّ من النظر في مذهب وحدة الوجود عند ابن العربي إجمالا، بعد أن أغنى عن الإطالة في درس مذهبه النص المناط بالتحقيق أعني القول المنبي، الذي فَصَّل في تلك المسائل بما يكفي وزيادة، وحتى لا يكون ما أتناوله في هذا المبحث من مسائل ابن العربي في الوحدة مصادرة على المطلوب من الاعتماد على النص المحقق في الكشف عن حال مذهبه.

وبناء عليه فإنني سأنهج منهج الاختصار في عرض مذهبه، ووصف القضايا التي أصل لها في أهم مصنفاته، دون توسع في العرض، وباختصار أيضا في نقد مذهبه.

وقبل البدء في عرض ابن العربي في الوحدة الإلهية نستطيع أن نشير إلى بعض الجوانب المثيرة في نصوص محيي الدين الحاتمي، استوقفت الدارسين لها قديما وحديثا، وجعلت طريق تلك الدراسات يستدعي مزيدا من التركيز للإحاطة بمصطلحاته.

ومن أهم تلك الجوانب؛ إعراض ابن العربي عن الإفصاح عن عقيدته في عدة مواضع، وتلاعبه باللغة مستغلا تمكنه من العربية؛ فقد كاتب السلطان في الأندلس قبل أن يرحل منها إلى المشرق، و لم تكن قضية اللغة تشكل عنده مشكلة، إذ كان باستطاعته البيان عن أفكاره في كثير من المناسبات، والبعد عن التعقيد في العبارة والمعنى، ولكنه أبى.

وفي سبيل هذا الغموض المتعمد منه استخدم ابن العربي الأسلوب الرمزي، وعقد الاصطلاحات وأغرب فيها، ويبدو أن خوفه من هجوم علماء السنة عليه كان أكبر سبب في سلوكه هذا المسلك.

ومن الجوانب التي ينبغي استحضارها أثناء دراسة نصوص ابن العربي إيقانه التام بما يحمله النص الشرعي من ظاهر وباطن، فللقرآن باطن لا يمكن الوصول إليه إلا بملكة

التأويل، ينفذ من خلالها إلى المعنى الباطن، ويتجاوز ظاهر الألفاظ، وهذه الملكة يراها ابن العربي عطاء ربانيا غير مكتسب. [1]

كما مزج ابن العربي الحاتمي في مذهبه الفلسفي الصوفي بين جانب السلوك الصوفي وما يحمله من رياضات ومجاهدات، وصحبة للشيوخ، وبين الجانب العلمي الذي نَظَّر فيه لمذهبه في الوحدة المطلقة، وأصل فيه لتصوف فلسفي معقد في الإلهيات والنبوات والمعاد والولاية إلى غير ذلك من القضايا التي بناها على نظرته في علاقة العبد بربه، والتي تعد أساس البناء الصوفي وأُسَّه، ولا فصل فيها بين الذات الإلهية وذات المخلوق.

تقوم نظرية وحدة الوجود عند ابن العربي في رؤيته لوجود الحق على اعتبارين اثنين:

_ الأول: ما يصطلح عليه بالأحدية الذاتية وهي وحدة وجود الحق، مفصولة عن الأسماء والصفات، وكثرة المخلوقات والأفعال، فهي وحدة إلهية محضة، تنبني على وجود ذات الحق فقط.

_ الثاني: أحدية الكثرة وفيها تتجلى الذات الإلهية في الكون والمخلوقات بما فيه من تنوع وكثرة، ويسميها ابن العربي نسبًا واعتبارات. [2]

ويلخص مذهبه في الوحدة والكثرة بقوله: "واعلم أن الله من حيث نفسه له أحدية الأحد، ومن حيث أسماؤه له أحدية الكثرة". [3]

ومذهب الوحدة في الوجود هو محور فكر ابن العربي الفلسفي الصوفي، وتفسير لجميع القضايا عنده في الولاية والمعاد، والتأويل والنبوة، والفناء وسائر القضايا التي تناولها في فكره وطرحه الغريب، ويعتبر كتابه فصوص الحكم ذا أهمية خاصة في تصوير مذهبه، ولا بُدَّ للدارس من الوقوف على نصه رغم ما يكتنفه من تعقيد وسخافة في كثير من المواضع؛ وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالكلام على آيات القرآن والسنة، أو الأنبياء والرسل، أو المعاد

---

(١) ابن عربي ومولد لغة جديدة د.سعاد حكيم ص: (١٧)، كنوز في رموز لمحمد مصطفى حلمي ص: (٣٥-٦٦)، طريقة الرمز عند محيي الدين بن عربي في ديوان ترجمان الأشواق لزكي نجيب محمود ص: (٦٩-١٠٤).

(٢) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (١١-١٤)، الفتوحات المكية ٤٦٥/٣ وما بعدها. ولمزيد من البسط يراجع روضة التعريف لابن الخطيب ٥٨٤/٢ وما بعدها، شفاء السائل لابن خلدون ص: (١٠٨) وما بعدها، الإنسان الكامل للجيلي ١١٤/١ وما بعدها.

(٣) الفتوحات المكية ٤٦٥/٣ (نشرة: دار صادر).

الأخروي، فإنك تجد العجب الذي لم تطلع عليه مجموعا في مذهب من المذاهب أو في عقيدة من العقائد، وكتابه الفتوحات المكية ضَمِيمَةٌ مهمة للفصوص لفهم مقصده.

فكتاب فصوص الحكم رغم صغر حجمه لخص فيه ابن العربي مذهبه وفكره محاولا الاستدلال عليه بنصوص القرآن والسنة، رغم البعد الكبير الموجود في وجه الاستدلال، وكونه لم يسبقه إليه أحد من المتقدمين، والناظر نظرا أوليا في استدلالاته على قضايا الإنسان الكامل، والحقيقة المحمدية، وختم الولاية، وعلاقة الحق بالخلق المتمثلة في التجلي الإلهي، وتصويب جميع الأديان والمذاهب يظهر له ذلك التأويل التعسفي الذي يسلكه في سبيل تصويب مذهبه وربطه بالقرآن والسنة.

وقد قسم كتابه الفصوص إلى سبعة وعشرين فصاً، خَصَّ كل فصٍّ لنبي من الأنبياء المذكورين في القرآن، فيسوق في كل فَصٍّ قصة النبي مع قومه كما وردت في القرآن، ثم يعقبها بتأويله الوجودي لها، والذي لا يؤيده سياق الآيات.

ومذهب وحدة الوجود مبني على أصل الفلسفة الوجودية التي تَعتَبِر الآثار الخارجية مترتبة على الذات الإلهية المحضة، فجعلوا وجود المخلوقات عين ذاته، وهكذا أنكر الصوفية الوجودية أن يكون للعالم وجود خارجي، وفسروا المحسوسات الخارجية بأنها مظاهر للتجلي الإلهي، وشبهوا العالم بالمرآة، والله تعالى بالصورة المرئية، ونفوا بناء على ذلك وجود العالم، فالموجودات عندهم هي عين الذات الإلهية. ومن هنا جاءت تسمية المذهب بوحدة الوجود؛ لأنه يجعل الموجودات موجودا واحدا هو الله الذي اتحدت ذاته مع الله.

ويعكس أصحاب الصوفية الوجودية طرفي التشبيه بالمرآة بين الذات الإلهية وبين العلم، بقول رئيسهم الأكبر محيي الدين: "إذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع، ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثم أصلا وما بعده إلا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤية أسمائه، وليست سوى عينه كما علمت فاختلط الأمر وانبهم".[1]

ولا يستقيم مذهب الوحدة عند ابن العربي إلا باعتبار أحد الطرفين أحدهما موجودًا، والآخر معدومًا، وذلك حتى ينتظم قولهم بالاتحاد، فكأن العالم الذي نشاهده هو الله، ولا وجود للعالم في أذهاننا.

---

(١) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٤١).

والصوفية الوجودية وإن كانوا يقولون بالتفريق بين الله وخلقه بجعلهم لكـــل شـــيء جانبين؛ فهو الله من حيث إنه موجود مطلق، وغير الله من حيث إنه موجود معين مسمى باسمه الخاص، لكن الاتحاد عندهم حقيقي، والمغايرة اعتبارية لعدم وجود غير الله في شـيء وجودا خارجيا، فخصوصية زيد وعمرو مثلا المغايرة للذات الإلهية إنما هـــي اعتباريـــة، فيمتازان عن الله من ناحيتهما الاعتبارية، أما من ناحيتهما الحقيقية فلا امتياز عنه. وعلـى هذا يكون وجود الشجر والحجر، والإنسان والحيوان، وحتى الشيطان وجود تغاير بينـهم وبين الله على قولهم اعتباري فقط والعياذ بالله. (١)

والحقيقة أن مذهب الصوفية الوجودية لم يتكون نتيجة المشاهدة والمكاشفة التي تحصـل للصوفي كما يظنه عدد من أتباع الصوفية البُسَطَاء، وإنما هي فلسفة ذات تكوين وتأسيس عقليين، بُسطت في كتب القوم بيانا وتأصيلا وتقريرا.

وإذا سلمنا جدلا بأن فكرة الوحدة الوجودية الصوفية تحصل للسالك الصـــوفي مـــن الشهود عندما يغيب العالم عن نظره، ويبقى وجه الله دون العالم، وهي وحدة الشـــهود، فإن هذه الحالة من الفناء ليست هي وحدة الوجود التي يقررونها في مذهبهم، وأيضـــا لا يرضى الصوفية الوجودية بهذه الوحدة لأنها مرتبة ناقصة في سُلَّم التصوف، وهم يَدَّعـون أن العالم عين الله أو مظهره.

وبالنظر لمذهب القوم نجدهم لا ينفون وجود العالم والمحسوسات، وإنمـــا ينكـرون أن يكون للعالم وجود خاص به بعيدا عن وجود الله، فظهر بذلك أن فكرة وحدة الوجـــود نتيجة طبيعية لفلسفة صاغوها على مَهَلٍ، أكثر من كونها تصوفا، لأن اتحاد الله بالعالم ممـــا لا تتعلق به المشاهدة، ولا يمكن مشاهدة شيئين اثنين شيئا واحدا. (٢)

أما قضية تنـــزيه الخالق فإن ابن العربي يجمع فيها بين المتناقضات؛ عندما يذهب إلى أن التحقيق الصوفي، والتوحيد الكامل هو الجمع بين التتريه والتشبيه، ولا ينبغي تتريه الله دون اعتقاد تشبيهه، فذلك في رأيه ضلال، فالتتريه عنده إذا وصف الحق به وحده صار تقييـدا له، وتحديدا لذاته، ومانعا الاختلاط بالذوات الأخرى، وهو في نظره المضطرب خلاف لما ورد في النصوص الإلهية التي تثبت لله التشبيه إلى جانب التتريه دون تفريق بينهما.

---

(١) انظر للمزيد موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للعلامة مصطفى صبري ٣/٨٩-٩٢.
(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/٩٣.

وتأويل نصوص الصفات الإلهية عند ابن العربي جهل وضلال، يريد بذلك مذهب المعتزلة والفلاسفة، والمشبهة أخطأوا عندما قصروا أنفسهم على التشبيه فقط، فشبهوا الله بخلقه. إذن فالمخرج عند ابن العربي هو الجمع بين اعتقاد التتريه والتشبيه رغم التناقض الواقع، فللحق اعتباران؛ الأحدية التي تلاحظ فيه الذات بعيدة عن الصفات، وهذا هو التتريه عند ابن العربي، ومجلى الواحدية الذي هو نسب واعتبارات، وهي مظاهر العالم المشهود، وفي نفس الوقت تشكل تجليات الحق وهذا هو التشبيه عنده.

وعليه فابن العربي يرى أن مجلى الأحدية البعيد عن تجليات الأسماء والصفات، وعن الكثرة الوجودية هو التتريه، ومجلى الواحدية الذي هو كثرة اعتبارية لذات الحق هو التشبيه، ولا يمكن لأحدهما أن يكون له وجود دون الآخر، فالذات مفتقرة إلى الصفات، والصفات لا وجود لها بدون الذات، ولا اعتبار لها البتة، وبهذا يكون الجمع بين التتريه وبين التشبيه عند ابن العربي، والذي يصوره بقوله: "ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين ثبتها علم أن الحق المتره هو الخلق المشبه".[1]

يقول القاشاني في تفسير كلامه: "وإن كل عدد غير الآخر باعتبار، وعينه باعتبار عرف أن الحق المتره عن التشبيه باعتبار الحقيقة الأحدية هو الخلق المشبه باعتبار تجليه في الصورة المتعينة، فمن نظر إلى الأحدية الحقيقية المتجلية في صور التجليات والتعينات قال حق، ومن نظر التعدد والتكثر قال خلق، ومن تحقق ما ذكرناه قال حق من حيث الحقيقة، خلق من حيث الخصوصية الموجبة للتعدد".[2]

ويؤكد ابن العربي ذلك في فص كلمة إدريسية بقوله:

وَنَزِّهْهُ وشَبِّهْهُ وقُم في مَقعَدِ الصِّدق
وكُن في الجَمعِ إن شِئتَ وإن شِئتَ ففي الفَرْقِ[3]

فالتتريه عنده حاصل لجميع المؤمنين، والصوفي المحقق هو الذي يُوَفَّق للجمع بين التتريه والتشبيه، فيرى الخلق ظهور الخالق، والكثرة مجلى الوحدة، والتوجه إلى التتريه الصِّرْف كما سبق نقص عندهم، وشهود الوحدة بلا نظر في الكثرة عيب، فالمتوجهون إلى

---

(١) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٨١).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ص: (١٢٠).

الأحدية الصرفة عند الصوفية الوجودية يعدون من الناقصين والنظر في الوحدة دون الكثرة تحديد وتقييد في مذهبهم.

ويغيب عن دعاة هذا التشويش الصوفي الوجودي أن طريقة الأنبياء والرسل في دعوة الأمم كلها دعوة صِرْفَة لتتريه الخالق، والوحي الإلهي ناطق بذلك التتريه، والأنبياء يدعون الخلق إلى إبطال المعبودات من دون الله، المتره عن التشبيه والتمثيل، وما سمع أحد من الأولين والآخرين أن الأنبياء دعوا إلى الجمع بن التتريه والتشبيه، وإلى أن الخلق هو عين الخالق!! فالقرآن صريح في دعوة الناس جميعا إلى إفراد الخالق وحده بالعبادة، وعدم إيجاد الشريك معه، فهو المتفرد بالكمالات كلها، المتره عن المشارك والمثيل، قال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[1] وقال أيضا ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والسنة النبوية الكثيرة، التي تثبت المغايرة بين الخالق والمخلوق، وهي الإثنينية التي يرفضها ابن العربي شيخ الصوفية الوجودية، وإذا كان التحقيق يقضي بأن الموجود واحدا، وهو عين الله، وكانت عبادة جميع ما في الوجود عبادة له، فما قيمة دعوة الرسل والأنبياء، ومبالغتهم في تأكيد إفراد الله ﷻ بالوصف والعبادة، ولماذا كانوا يخوفون الناس من مخالفة دعوتهم، ولِمَ لم يزيلوا رؤية المغايرة الناشئة عن الجهل فيهم، و لم يبينوا لهم أن عبادة ما سواه عين عبادته تعالى الله عن قولهم.[3]

وإذا تساءلنا عن مصدر المعرفة عند الصوفية الوجودية، فإنهم لا يلتفتون إلى الفطرة لأن الفطرة تنكر مذهبهم ولا يمكن لفطرة سليمة أن تقبل مذهبهم إطلاقا، ولا يعتدون بالعقل، لأن العقل السليم بنظره في الكون وما فيه من دقة وحسن تدبير لا يمكن إلا أن يؤدي إلى إفراد الخالق بالعبادة، ولا يعتمدون على الكشف الصحيح الذي لا يمكن أن يخالف النص الصريح، ولأنه لو فتح باب الكشف مطلقا كطريق للمعرفة لوجدنا أنفسنا

---

(١) آية: ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) بعض الآية: ١٠ من سورة الفتح.

(٣) موقف العقل والعلم والعالم ٣/٢٧٩-٢٨٠.

أمام كشوفات كثيرة، وليس كشفا واحدا، وأذواق عديدة لا ذوقا معينا، فبأيها نأخذ يا ترى؟ هل بكشف ابن سبعين، أم ابن الفارض، أم ابن العربي؟

ولكن الصوفية الوجودية يبنون مذهبهم الوجودي على المعرفة القلبية، والأذواق الوجودية، والخيال الذي لا وجود له إلا في ذهن معتقديه، ولا يمكن لأحد أن ينخرط في هذا المذهب إلا بعد إلغاء عقله تماما. يقول محيي الدين في فص كلمة شعيبية: "فإن القلب من العارف أو الإنسان الكامل بمنزلة محل فص الخاتم من الخاتم".[1] ويقول: "قال ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[2] لتقلبه في أنواع الصور والصفات، ولم يقل لمن كان له عقل، فإن العقل قيد فيحصر الأمر في نعت واحد، والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر، فما هو ذكرى لمن كان له عقل....فلهذا قال: لمن كان له قلب".[3]

وقد كان لمذهب وحدة الوجود الذي أصله ابن العربي، ووضع أسسه، وجمع أدلته التي ظنها كافية للتلبيس على عقول الضعفاء، كان لهذا المذهب الوجودي أثر سيئ، ونتائج باطلة ضالة فتحت باب الشرور على الصوفية، وزجت بمعتنقي مذهبه في أُتون العمى.

وفكرة وحدة الأديان من النتائج الخطيرة التي بنيت على مذهب وحدة الوجود عند ابن العربي، فالعالم عنده مظهر من مظاهر التجلي الإلهي، مجلى الأحدية ومجلى الواحدية. وكان انطلاق هذه الفكرة عند محيي الدين من قضية الإطلاق والتقييد عنده، فالإطلاق إطلاق الوجود باستغراق الوجود جميع ظواهره، فتتجلى ذاته في كل مذهب وصورة، والتقييد تقييد وجود العالم، لأن الحق يكون له في كل مظهر وصورة نسبة وتعين. والعبادة عند ابن العربي مبنية على الإطلاق والتقييد، فإطلاق العبادة هي أن يعبد الله في كل صورة ومظهر، إذ كل مظهر مجلى من تجليات الحق، وتعين من تعيناته، ولا يتقيد عقد دون عقد من العقائد، وإنما يعتقد كل المذاهب والأديان السماوية والوضعية. فالتحقيق في العبادة أن يعبد مظاهر تجلي الحق في هذا العالم، وهو الذي ينجي من سخط الله وعقابه كما يقول: "فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم على ما هو عليه، فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها، فإن الإله تبارك وتعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد".[4]

---

(١) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (١٧٦).

(٢) بعض الآية: ٣٧ من سورة ق.

(٣) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (١٨٠).

(٤) المصدر نفسه ص: (١٦٥).

ويصور مذهبه في توحيد الأديان بجرأة عجيبة على نبي الله موسى عليه السلام فيقول: "وكان موسى أعلم بالأمر هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضى ألا يعبد إلا إياه، وما حكم بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء".[1]

وقد قسم ابن العربي الإله إلى قسمين الإله المطلق، والإله المقيد:

ـ الإله المطلق: ألوهيته ثابتة له لذاته، وهو الساري في الموجودات المتجلي في جميع الصور.

ـ الإله المقيد: وهو الصورة التي يخلقها العابد لله، ويتسع لها قلبه وعقله، فهو الإله المتخذ معبودا.

ومن هنا صَوَّب ابن العربي جميع المعبودات لأن لكل عابد إلها مقيدا تصوره، ويعبده فلا يكون بذلك مخطئا، والإنسان الكامل هو الذي يعبد الله في كل مظهر من مظاهره يتجلى فيها، فما دامت كل المظاهر تجلياته وتعيناته فلا يُحكم على عابد بالخطأ.[2]

ونورد قضيتين تكلم فيهما ابن العربي بما لم يسبق إليه، وأتى فيهما بالعَجَب العُجاب؛ وهما تصحيحه إيمان قوم نوح، وتصويب إيمان فرعون، مخالفا بذلك صريح القرآن، وهي نتيجة طبيعية لمذهبه في الوحدة الإلهية.

يقول محيي الدين في قصة قوم نوح: "فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن، لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه، فإن القرآن يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن".[3]

ويقول في نفس سياق القصة: "فقالوا في مكرهم ﴿ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا

---

(١) المصدر نفسه ص: (٢٩٥).

(٢) انظر: د.عبد الله الملا في دراسته لكتاب في الرد على الفصوص "مرتبة الوجود ومنزلة الشهود" للملا القاري ٣٧٦/١، (رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس ٢٦٨/١ وما بعدها.

(٣) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٦١-٦٢).

ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾[1] فإنهم إذا تركوا جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله".[2]

وفي هذا النص يظهر بجلاء تلاعب ابن العربي بالنص القرآني لتأييد مذهبه الوجودي، فيراوغ في تأويل المعنى، والخلط في المبنى، ولذا تراه يعتبر سبب عدم إجابة دعوة قوم نوح كون الأمر قرآناً، ونوح عليه السلام جاء بدعوة فيها فرقان، والمعنى أن دعوة نوح كان فيها تفريق بين قومه وبين المعبودات التي ارتضوها لأنفسهم عبادة وإشراكا مع الله في الوجود، وعليه فإن دعوة القرآن التي كان عليها قوم نوح هي اليقين، بينما كانت دعوة الفرقان التي جاء بها نوح مخالفة القرآن.

هذا التلاعب منه حتى يصل إلى تأكيد تصوفه الوجودي، وأن جميع المعبودات حق عنده، وأن قوم نوح الذين أشركوا مع الله في العبادة، إنما هم في الواقع كانوا على التوحيد، ويقرر بأنهم لو استجابوا لنوح فتركوا عبادة معبوداتهم، لسقطوا في الجهل والضلال.

وهذا التشويش من ابن العربي كان يتكرر عنده في كل قصة قرآنية يتناولها بتأويله الفاسد لتفسير حال كل قوم مع أنبيائهم، وقصة قوم نوح تغنينا عن سَوْقِ الباقي.

أما النموذج الثاني الذي يصور بوضوح مذهب محيي الدين الحاتمي الوجودي في تصحيح جميع الأديان والنحل، وتصويب جميع المعبودات، والمساواة بين الإيمان والكفر، ما ذكره في تصحيح إيمان فرعون بقوله: "ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف وإن جاز في العرف الناموسي لذلك قال ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ أي وإن كان الكل أربابا فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه وأقروا له بذلك فقالوا ﴿ فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾[3] فالدولة لك، فصح قوله ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ".[4]

---

(١) بعض الآية: ٢٣ من سورة نوح.

(٢) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٦٧).

(٣) الآية: ٧٢ من سورة طه.

(٤) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٣٢١).

وهكذا يحلو لابن العربي أن يتلاعب بتأويل النصوص القرآنية، ويتعسف بأسلوب سَمِجٍ لتقرير مذهبه الوجودي، فيقرر نجاة فرعون من النار، وأن الله قبضه طاهرا مطهرا، تكذيبا لله ورسوله، وافتياتا على الله تعالى، جريا على أصله في القول بوحدة الوجود.

ومن نصوص ابن العربي الواضحة في هذا الباب نظمه إذ يقول:

عقد الخلائق في الإله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[1]

لقد صار قلبي قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[2]

وعليه فابن العربي الحاتمي من المنظرين المتقدمين لفكرة وحدة الأديان، وتلك ليست بأولى سيئاته!!

• موقف ابن العربي من التأويل:

مسلك ابن العربي في التأويل غريب ومعقد وخطير في نفس الوقت، وقد نظر للصوفية الوجودية طريقة التلاعب بالنصوص، وتأويلها بكل ما يمكن أن ينقدح في نفوسهم من معان باطنية تؤيد مذهبهم.

واعتمد ابن العربي في موضوع التأويل على قضيتين كبيرتين كأساس لتنظيره الفلسفي: الأولى: التفريق بين الظاهر والباطن أو بين الحقيقة والشريعة، والثانية: استخدام الرمز والإشارة في لغته.

وسأعرض لهاتين القضيتين في عجالة لتصوير أصل التأويل عند محيي الدين، والذي استخدمه في التأصيل لمذهبه الوجودي، وفهم هذه القضايا كسبيل لتصور خصائص مذهبه في الوحدة.

التفريق بين الظاهر والباطن:

اعتمد الصوفية الوجودية أصولا باطنية في فلسفتهم الوجودية، فزعموا أن للنصوص ظاهرا يعرفه كل الناس، وهو المتبادر إلى الأفهام من ظاهر النص، وباطنا يختص بمعرفته أهل الحق، وهذا الباطن هو المراد من نزول الوحي، ولكن لا يُوَفَّق إلى معرفته سوى

---

(١) المصدر نفسه ص: (٣٤٤).

(٢) ديوان ترجمان الأشواق ص: (٤٣).

خواص الناس، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف هذا الأصل: "ويزعمون أن هذه النصوص لها تأويل، وباطن يخالف الظاهر المعلوم للمسلمين....وأما النصوص التي في المعاد وفي أسماء الله وصفاته وملائكته فدعواهم فيها أوسع وأكثر. وقد دخل في كثير من أقواله في العلوم، أو في العلوم والأعمال طائفة من المنتسبين إلى التصوف والكلام، وكلام ابن عربي، وابن سبعين، وأمثالهما من ملاحدة المتصوفة يرجع إلى قول هؤلاء".[١]

ومراد الصوفية الوجودية من التفريق بين الظاهر وبين الباطن أن يجعلوا تأويل النصوص طَوْعَ مرادهم، ومِلكَ تَصَرُّفِهم، يتلاعبون بالمعاني كما يحلو لهم التلاعب، وهذا التفريق هو الأساس التي بُنِي عليه التأويل، وعندما لم يجدوا في نصوص الشرع ما يؤيد مذهبهم، توجهوا إلى القول بباطن النصوص ليتمكنوا من الانفلات من جميع القيود اللغوية، والضوابط الشرعية.

ويزعم الصوفية الوجودية أن لكل آية وكلمة في القرآن معاني باطنية تختفي وراءها أسرار وأحوال، ولا تكشف هذه المعاني إلا لصفوة الخلق، وهم الخاصة من عباده الذين تشرق في قلوبهم المعارف عندما يحصل لهم وَجْدٌ وذَوْقٌ.

وهذا التلبيس منهم حتى يتمكنوا من الاستناد في كل قضية على دليل من القرآن أيا كانت تلك القضية، وعلى أي وجه خالفت فيه الأصول الشرعية، وهم في ذلك يدعون أنهم وارثون لعلم باطن اختصهم الله به دون عامة الناس.[٢]

فصار التأويل عند الصوفية الوجودية متنوعة أشكاله، متعددة صوره، حتى ولو أدى ذلك إلى التناقض في الشرائع، والتضارب في أصول الدين، حسب استعداد كل صوفي، وغدا لكل فرقة لون معين من التأويل، ومذهب محدد يختلف بحسب أحوال كل فرقة، ويتنوع وفقا لمواجيدها، وبهذا يسوغ لكل منهم أن ينفلت من شعائر الدين كما يحلو له، و يلتزم بما شاء منها ما دام الأمر مبنيا على الواردات الإلهية _ زعموا _ والتنزلات العطائية.[٣]

ويسلك القوم مسلك التستر والتغطية على طريق الباطنية، ويظهرون بعض المعاذير للتلبيس على ضعفاء العقول من الناس، والحيلولة دون فهم مرامي مصطلحاتهم وكلامهم،

---

(١) الصفدية لابن تيمية ٥٠٤/١.

(٢) اللمع للطوسي ص: (١٥٠) وما بعدها.

(٣) راجع في ذلك: في التصوف الإسلامي وتاريخه لنكلسون ص: (٧٦) وما بعدها.

وهو أمر واضح عند ابن العربي عندما يفتتح كتبه المشحونة بالتصوف الوجودي، ويدعي أن ما بها من أفكار إنما هي من فيض الفتوحات الإلهية، ومن ذلك صنيعه في مقدمة الفتوحات المكية له عندما يقول: "وسميتها رسالة الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، إذ كان الأغلب فيما أودعته هذه الرسالة ما فتح الله به علي عند طوافي ببيته المكرم، أو قعودي مراقبا له بحرمه الشريف المعظم".(١)

ويتكرر هذا الأمر عنده في فصوص الحكم عندما يزعم بأن تصنيفه كان بأمر من النبي ﷺ له في رؤية منامية، فيقول: "أما بعد، فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أديتها في العشر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ورسوله وأولي الأمر منا".(٢)

وهذا الزعم من ابن العربي حتى يطبع كتابيه بنوع من الغطاء الصوفي، فيدفع عنه هجوم العلماء والحكام، ومن جهة أخرى ليعطي نصوصه نوعا من التقدير والتبجيل، فيلجأ إلى الادعاء بأن كتبه من الخصائص الإلهية التي اختصه الرب بها.

ويفرق ابن العربي في منهجه في التأويل بين جانبين في القرآن؛ باطن كلي وهو الذي نزل على قلب النبي ﷺ، ولا يزال يتجدد على قلوب العارفين، وجانب ظاهر يتعلق بتلاوته باللسان، وهو تقسيم يجعل من السهل عليه تأويل ما شاء من القرآن. (٣)

ويكثر محيي الدين من غمز من يحلو له أن يسميهم علماء الظاهر، وهم علماء السنة المستمسكون بأصول الشرع، البعيدون عن تقسيمه إلى ظاهر وباطن، وهم -كما يزعم- على مستوى من قلة الفهم، والبعد عن الإفادة من رحمة الله، ويعدم تقديرهم للذوق الكشفي". (٤)

وآفة علماء الظاهر عند ابن العربي أنهم لا يفطنون إلى ما تتضمنه الآيات من معانٍ باطنية هي جوهر مدلول النص، ويقفون عند ظاهر اللفظ والمعنى، بينما يرى أن الصوفية

---

(١) الفتوحات المكية ١/٧٢-٧٣ (نشرة: عثمان يحيى).

(٢) فصوص الحكم بشرح القاشاني ص: (٩).

(٣) فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي د.نصر أبو زيد ص: (٢٦٤).

(٤) راجع تقريره لهذا المعنى في كتابه التجليات له ص: (٧).

الوجودية اختصهم الله ﷺ بمنحة تجعلهم يطلعون على ما في الآيات من أسرار، وهو السبب الداعي إلى اعتمادهم التفسير الإشاري".[1]

ويتهم محيي الدين أهل الظاهر بكرههم للصوفية، وسبب هذا الكره في رأيه حرصهم على حطام الدنيا، وجمع نعيمها توسعا فيه، ويتقربون في سبيل ذلك إلى أهل الجاه والمال والسلطان بكل وسيلة وطريقة، في حين يذهب الصوفية ضحية هذا التقرب.[2]

جانب الرمز واللغز:

يعد جانب اللغز والتعمية بالألفاظ أصلا في منهج التأويل عند ابن العربي، وهو أمر ظاهر للعيان في نصوصه، يفتح به باب الادعاء والتَّخَرص في تأويل القرآن، وتغيير مراد الله من آياته، وتفسيرها بما يوافق المذهب، وفهمها بما يتفق مع الأذواق والخواطر، فللذوق الصوفي عند دعاة الوحدة سلطة على معاني النصوص؛ بل هي القنطرة التي تجتاز أفكارُ الصوفية ومواجيدُهم من فوقها.

لغة الرمز والإشارة عند الصوفية الوجودية هي أساس تأويل النصوص، فبها يفهمون النص القرآني والنبوي، ويربطون بين العبارة والإشارة في الرمز، وبين الظاهر والباطن في التأويل، فظاهر العبارة ما تدل عليه من حيث وضع اللغة، والإشارة هي باطن اللغة، ويصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يسرون خلفها معاني كشفية، اتقاء لسوء فهم أهل الظاهر ــ وهم علماء السنة ــ وحتى يتمكنوا من التواصل مع بعضهم.

والمصطلح الصوفي لا يدركه عندهم إلا المريد بطريق الكشف والذوق، بخلاف المصطلح العلمي الذي يؤخذ عن الأستاذ، وبهذا يبلغ اللغز عند ابن العربي إلى درجة من التعقيد، مستغلا تمكنه من اللغة والعبارة، فهو كاتب السلطان في بداية حياته،[3] واصطلاحات الصوفية حاضرة عنده كالفناء والاستغراق، والاستهلاك،[4] وغيرها من

---

(١) وللمزيد عن مذهب ابن العربي في التفسير الإشاري د.محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون ٤١١/٢ وما بعدها.

(٢) موقف ابن عربي من أهل الظاهر والفلاسفة د.محمود قاسم ص: (٥٣) وما بعدها.

(٣) ينظر مبحث نشأته وطلبه العلم ص: (١٣٤-١٣٦) .

(٤) ينظر كتاب اصطلاح الصوفية لابن العربي.

مصطلحات الصوفية، فالدارس لمذهب ابن العربي يجد نفسه بحاجة إلى الإحاطة بلغة الصوفية المتقدمين، إذ ستعرض له أثناء مطالعة مذهبه.[1]

ومن مظاهر اللغز عند ابن العربي تعقيد العبارة، وضرب الأمثال، والصور الشعرية المركبة لقوله:

ومِن عَجَب الأشياء ظَبْيٌ مُبَرقَعٌ يَميسُ بِعُنَّاب ويُومي بأَجْفَان
ومَرعَاهُ ما بين التَّرائِبِ والحَشَا فيا عَجَباً مِن رَوضَة وَسْطَ نِيران[2]

ويقول:

تَثَلَّث مَحبُوبي وقد كان وَاحِدا كما صَيَّروا الأقْنَامَ بِالذَّات أَقنُما
فلا تُنْكِرَن يا صَاحِ قَولي غَزَالَة تُضِيءُ لِغِزلان يَطُفنَ على الدُّمَى
فَلِلظَّبْيِ أَجيَاداً ولِلشَّمسِ أَوجُهاً ولِلدُّمْيَةِ البَيضاء صَدراً ومِعصَمَا[3]

ويرى الصوفية الوجودية أن القرآن خال من الإشارات عندهم، لما يملكونه من قدرة على فهم نصوصه، والغوص في معانيه، يقول ابن العربي: "إن الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها، وإنما هي مرادة لما رمزت له، ولما ألغز فيها، ومواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلها".[4]

ويذهب محيي الدين إلى أن العارف لا بد له لتأويل أي نص أن يبدأ بفهم ظاهره من خلال أصول اللغة، وأسباب النزول، وهو المستوى الذي يقف عنده مَن يطلق عليهم ابن العربي علماء الظاهر من الفقهاء والأصوليين، ثم ينتقل الصوفي في رحلته مع النص بالنفوذ إلى معانيه الباطنية، والغموض في إشاراتها، وهذا ما يجعله يتلقى المعاني على قلبه كما تلقاها الرسول على قلبه، وبذلك يصير الصوفي الوجودي بمنزلة النبي في تلقي الوحي مباشرة وبدون واسطة، وفي هذا المعنى يقول: "انظر في القرآن بما أنزل على محمد، لا تنظر فيه بما أنزل على العرب فتخيب عن إدراك معانيه....فإذا تكلمت في القرآن بما هو به

---

(١) وللمزيد عن هذه القضية راجع إن شئت: الصلة بين التصوف والتشيع د.كامل مصطفى الشيبي ٤٤٥/١ وما بعدها، ابن عربي ومولد لغة جديدة د.سعاد حكيم ص: (٤٣) وما بعدها، فلسفة التأويل لنصر حامد ص: (٢٦٨-٢٧٠)، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية د.محمد لوح ص: (٤٨٩) وما بعدها.

(٢) ديوان ترجمان الأشواق ص: (٤٢-٤٣).

(٣) المصدر نفسه ص: (٤٦).

(٤) الفتوحات المكية ١٨٩/١ (نشرة دار صادر).

محمد ﷺ متكلم نزلت عن ذلك الفهم إلى فهم السامع من النبي ﷺ فإن الخطاب على قدر السامع، لا على قدر المتكلم، وليس سمع النبي ﷺ وفهمه فيه فهم السامع من أمته فيه إذا تلاه عليه، وهذه نكتة ما سمعتها قبل هذا عن أحد قبلي، وهي غريبة وفيها غموض".[١]

فتأمل جيدا هذا التشويش والإغراب من مقدم الصوفية الوجودية الأكبر، وكيف يتعمد الغموض والتعقيد في العبارة والمعنى، وهو في كامل وعيه، وتمام عقله عندما ينظر إلى الوحدة في الوجود، وإلى تفسيره لحال نزول الوحي بما لم يرد عند أحد قبله بدءا بالنبي ﷺ الذي نزل عليه الوحي، فواعجبا من هذا التأويل الباطني!!

وهذه الفكرة عند ابن العربي تفتح باب الوحي من جديد على الأمة للعارفين الصوفية، وهي قريبة من فكرة بعض الطوائف من النصارى القائلين باستمرار نزول الوحي الإلهي على قلوب رؤساء الكنيسة ممن يصفون أنفسهم بالعصمة والقدسية.[٢]

وقد استقبل لفيف من الصوفية هذا الأصل في التأويل، واعتمدوه كطريق للانفلات من النصوص، وبناء ما يتوهمونه من معان عليها، بينما مذهبهم الوجودي غني عن التعسف بالاستدلال له بالقرآن والسنة، فقد أصلوا أفكاره وأصوله في كتبهم، وفق قواعدهم وأسسهم، ولم يكونوا بحاجة إلى هذا التلاعب بتأويل النص القرآني، ولكنه الدهاء والذكاء من شيخ سَخَّر أفكاره وطاقته لخدمة مذهبه، ودفع الاعتراض عليه، بالتلبيس على عقول الناس.

وتلقى جمهرة من أصحاب الفكر العلماني هذا المنهج في تأويل النصوص بصدر رَحْبٍ، واستخدموه لخدمة فكرهم، واستعملوه كذريعة ووقاية، ولم يروا فيه تعارضا بين التفسير الذي يتفق مع سياق النص وبين التأويل الذي يتعارض معه، أو إن شئت فقل بين الظاهر والباطن بلغة أخرى، يتحاشون بذلك رَدَّ أهل الإسلام على تأويلاتهم البعيدة للنصوص، وعلى تقرير أصول فكرهم، وعمدتهم في ذلك الرمز والإشارة، وكان لهذا المنهج أيضا تداعيات أخرى خطيرة[٣] والله المستعان.

---

(١) المصدر نفسه ٤/٤٢٧.

(٢) انظر في التشابه الحاصل بين نظام الأديرة النصرانية، ونظام الصوفية الوجودية د.محمود قاسم في موقف ابن عربي من أهل الظاهر ص: (٥٥)، وبلاثيوس في ابن عربي حياته ومذهبه ص: (١١٧، ١٢٢-١٢٨).

(٣) تراجع فتنة د.نصر حامد أبو زيدبمنهج ابن العربي الحاتمي في التأويل في دراسته فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي ص: (٢٧٠) وما بعدها.

يولي الصوفية عموما والوجودية منهم خصوصا أهمية لقضية الولاية والأولياء، لما يبنونه عليها من أحكام، فالولي هو الذي يملك القدرة على التأويل، والوصول إلى المعاني الباطنة للنصوص. ولا تقل أهمية الولاية عند الصوفية عن قدر العصمة عند الشيعة، فقد بدأ التصوف الاعتماد على العنصر الشيعي في خصائصه وأصوله وأسسه منذ فترة مبكرة جدا، وإن كان قد استقل بنفسه بعد ذلك، وأخذ طريقا خاصا، ولكن لم يغب ذلك الارتباط الوثيق بين معتقد الصوفية في الولاية، ونظرة الشيعة للإمامة.[١]

وابن العربي نادى بنبوة الأولياء التي نادى بها غلاة الشيعة، وجمع بين فكرة النور وبين وحدة آل محمد الروحية والعملية، وأسبغها على السالكين الذين لم يبلغوا مقام الولاية السامي، ونَظَّم محيي الدين دولة للأولياء تقوم على الأقطاب والأبدال والأوتاد، وغيرهم أخذاً عن الإسماعيلية كما سبق بيانه عند مبحث الجذور العقدية.

وقبل الحديث عن الولاية عند محيي الدين نُعَرج على موقفه من النبوة، و نبين كيف أنها لم تسلم من فلسفته، وتصويره الخيالي الغريب كعادته في جميع القضايا التي يتكلم عنها.

يذهب ابن العربي إلى اعتبار منصب الولاية أفضل من مرتبة النبوة، فالأولياء عنده يتلقون معارفهم بدون واسطة، وإنما بالكشف والذوق والخطاب الشفهي، وغير ذلك من المصادر الصوفية في التلقي بدون حجاب بخلاف النبي ﷺ . ومن ذلك قوله: "فالمرسلون مع كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف مَن دونهم من الأولياء، وإن كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى".[٢]

والنبوة عند ابن العربي قسمان:

١/ نبوة التشريع: وهي التي يوحي الملك فيها إلى النبي بالتشريع، وقد انقطعت بالنبوة المحمدية، وهنا يُقِر بأن الولي تابع للنبي في هذه النبوة، ولا يعني هذا أن النبي ﷺ أفضل من

---

(١) وانظر أهميةً في دراسة العناصر الشيعية في الولاية الصوفية: د.كامل مصطفى الشيبي في الصلة بين التصوف والتشيع ٤٠٩/١ وما بعدها.

(٢) الفصوص بشرح القاشاني ص: (٤٢).

الولي من كل وجه. يؤكد ذلك قوله: "وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبي بعده، يعني مشرعا أو مشرعا له، ولا رسول وهو المشرع".[1]

٢/ النبوة العامة: وهي نبوة لا تشريع فيها يشترك فيها الولي والنبي؛ بل مقام النبي ﷺ فيها حال كونه وليا أتم وأكمل من مقامه من حيث كونه رسولا ذا تشريع.

ويصح عند محيي الدين بهذا الاعتبار أن نقول إن الولي أفضل من النبي والرسول، فهذا النوع من النبوة، وإن شئت فقل الولاية لا تنقطع عنده أبدا، وهي باقية أبدا. ويقرر ذلك بقوله: "فإذا سمعت أحدا من أهل الله يقول، أو ينقل إليك عنه أنه قال: الولاية أعلى من النبوة....أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول فإنه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي ورسول....وذلك أنك تعلم أن الشرع تكلف بأعمال مخصوصة، أو نهى عن أفعال مخصوصة ومحلها هذه الدار فهي منقطعة، والولاية ليست كذلك".[2]

ولئن كان ابن العربي قد أقر بختم النبوة المحمدية التشريعية، فإنه بدهائه وتلاعبه استطاع أن يفتح للصوفية الوجودية بعده باب ادعاء النبوة من جهة أخرى، كما حصل مع القاديانية وغيرها من الفرق.

ونرجع إلى مذهب ابن العربي في ختم الولاية، وهو مصطلح حادث ظهر مع الحكيم الترمذي الذي يعتبر أول من نادى به وذلك في ضوء نظرية الحقيقة المحمدية، ذلك أن خاتم الأولياء له نفس خصائص خاتم الأنبياء عند الصوفية الوجودية في العلم والشفاعة، ويعتبر خاتم الأولياء في أعلى درجات الولاية الصوفية، حتى إنه ينفرد بالوحدانية ومناجاة الله في مجالس قربه، وبِمُقامه دائما على خزائن المنن الإلهية، ويأخذ من نفس المعدن الذي يأخذ منه الأنبياء العلم والمعرفة، وهو حجة على جميع الأولياء لأنه قد حقق جميع خصائص الولاية صدقا وعلما.[3]

وقد أخذ شيخ الصوفية الأكبر فكرة خاتم الأولياء من الموروث الصوفي المتقدم وطورها ووسعها، وتكلم عن أصناف ختم الولاية وهي:

ختم الولاية المطلقة: وهي مكانة تكون لخاتم الأولياء يختم الله تعالى به الولاية المحمدية،

---

(١) المصدر نفسه ص: (٢٠٣).

(٢) المصدر نفسه ص: (٢٠٤).

(٣) ينظر للمزيد ختم الولاية للحكيم الترمذي ص: (٣٦٧) وما بعدها

ويختم به الولاية المطلقة للأنبياء والرسل، وهذا المقام في ختم الولاية لا يكون إلا لعيسى عليه السلام وفي ذلك يقول: "وإن عيسى عليه السلام إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ وهو خاتم الأولياء فإنه من شرف محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمته، والولاية المطلقة بنبي رسول مكرم ختم به مقام الولاية".(١)

ختم الولاية الخاصة: وهي الولاية المحمدية وتكون لشخص أقامه الحق في تَجلٍّ من التجليات جامع لأسرار وعلوم الولاية. (٢)

وقد زعم ابن العربي لنفسه هذا المنصب، وصرح بأنه خاتم الأولياء، وذلك بالتصريح أحيانا وبالتعمية والتلاعب بالألفاظ أحيانا أخرى، فصرح بأنه تلقى خطابا إلهيا يفيد بأنه خاتم الولاية المحمدية في زمانة بمدينة فاس،(٣) ومن ذلك نظمه:

أنا ختم الولاية دون شك لورثي الهاشمي مع المسيح(٤)

وشبه نفسه في رؤيا منامية ذكرها لنفسه في الفتوحات(٥) بالنبي ﷺ عندما ذكر أنه رأى نفسه موضع اللبنة من الحائط، فهو خاتم النبيين، ولا رسول بعده، ويقول إنه رأى الكعبة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، وبناؤها في غاية الحسن، فإذا بموضع بين الركن اليماني والشامي تنقصه لبنتين من ذهب وفضة، ورأى نفسه قد انطبع في موضع تينك اللبنتين، وأنها عين ذاته، فاستيقظ وشكر الله وتمنى أن يكون تأويل هذه القصة أنه خاتم الأولياء.

فانظر إلى هذه الجرأة من محيي الدين على مقام النبوة، وكيف شبه نفسه برؤيا النبيﷺ، بينما رؤيا الأنبياء وحي كما لا يخفى، فأنى لابن العربي ذلك، وقد فتح على الصوفية بعده هذا الباب في ادعاء ختم الولاية المحمدية.

ولا يتردد تلاميذ محيي الدين وأتباعه في الجزم بكونه خاتم الولاية المحمدية، ويتناقلونه ويثبتونه في مصنفاتهم عن قناعة وإيمان بهذه الفكرة. (٦)

---

(١) الفتوحات المكية ١/١٥٠ (نشرة صادر).

(٢) قارن الفتوحات المكية ١/١٥٠، ٤/٧٧.

(٣) الفتوحات المكية ١٢/١٢١ (نشرة: عثمان يحيى).

(٤) المصدر نفسه ٤/٧١.

(٥) المصدر نفسه ٥/٦٨.

(٦) راجع عن ذلك: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر لعلي شودكيفيتش ص: (١٣٠)، وانتصار الأمير عبد القادر الجزائري لمحبه وشيخه ابن العربي في كتابه المواقف ص: (٧٤٢، ٨٢٦، ٨٦١، ٨٧٢، ١٢٧٧، ١٢٨٥) نقلا عن الولاية والنبوة لعلي شودكيفيتش.

وأخيرا فإن ابن العربي يعتبر مقام الولاية أفضل من النبوة، لأن النبي ﷺ يأخذ عن الله بواسطة وهو المعدن الذي تؤخذ منه العلوم، والولي يستقي علومه من الله مباشرة في شكل الكشوف والفيوض والأذواق، وأنهم أولى بشرحها، بل مقام النبوة عنده أقل من منصب الولاية المحمدية التي لا تنقطع، وهذا ما يفسر ادعاء ابن العربي أن كتبه وآراءه التي خرج بها إلى الناس فيوضات ربانية لا مجال فيها للتكذيب لأنه يأخذ من المصدر الذي يأخذ منه الملك المُبَلِّغ إلى الرسول.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قضية الولاية الصوفية: "ففي هذا الكلام من أنواع الإلحاد والكفر، وتنقيص الأنبياء والرسل ما لا تقوله لا اليهود ولا النصارى. وما أشبهه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل فخر عليهم السقف من تحتهم إن هذا لا عقل ولا قرآن، وكذلك ما ذكره من أن الأنبياء والرسل تستفيد من خاتم الأولياء الذي بعدهم، هو مخالف للعقل، فإن المتقدم لا يستفيد من المتأخر، ومخالف للشرع، فإنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا. وقد يزعم أن هذا العلم الذي هو عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق وهو تعطيل الصانع حقيقة وجحده، وهو القول الذي يظهره فرعون، فلم يكفه زعمه أن هذا حق، حتى زعم أنه أعلا العلم، و لم يكفه ذلك حتى زعم أن الرسل إنما يرونه من مشكاة خاتم الأولياء....". [1]

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: (٥٨)، وانظر للمزيد عن نقد قضية الولاية عند ابن العربي ابن تيمية في الرد على المنطقيين ص: (٤٨٦-٤٨٩)، ومجموع الفتاوى ١١/٤٤٤، والشوكاني في الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد ص: (٥١)، ود.محمد السيد الجليند في "من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة" ص: (٢٢٤) وما بعدها، ود.أحمد سعد حمدان في ختم الولاية ص: (١٥٦) وما بعدها، وعبد الرحمن عبد الخالق في "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة" ص: (٣٩٤) وما بعدها.

المبحث الثالث:

موقف العلماء من ابن العربي الحاتمي

بلغ خلاف العلماء في حال ابن العربي الحاتمي مبلغا، لا يوجد مثيله في أحد من الشخصيات في الإسلام، فبينما رفعه البعض إلى درجة الصديقين، أنزله الآخرون إلى درك المتزندقين. أما الذين رفعوا شأنه ورفضوا الكلام في شيء من نصوصه الكفرية متأولين له فهم المحبون له.

والقسم الثاني من العلماء الذين رفضوا مذهبه الوجودي، وجزموا بأنه كفر وزندقة، وأنه لا مجال لتأويل صريح كلامه في الوحدة، وإلا فتح باب تأويل كل كلام يتضمن الكفر، ولم يعد في الدنيا كفر.

وتحت كل قسم من هذين القسمين تفصيلات لمواقف العلماء لا تنبغي الغفلة عنها في تفسير مجموعة من المواقف، التي تبدو لمن يقف عليها لأول وهلة غريبة متضمنة لمدح ابن العربي وطريقته، إذا أغفلنا الأسباب الداعية إلى مثل هذه المواقف، ولقائل أن يتساءل هل تصح هذه المواقف من هؤلاء العلماء لأن تكون حجة للثناء على مذهب ابن العربي؟

وقبل الحديث عن هذه القضايا المهمة أشير إلى أنني لا أعد بالإطالة في الكلام عنها، إذ كتاب شيخنا الحافظ السخاوي المنوط بالدراسة والتحقيق "القول المنبي عن ترجمة ابن العربي" قد درس هذا الموضوع أعني مواقف العلماء من ابن العربي بشكل لا مزيد عليه، فهو بحق موسوعة في هذا الباب، و قد رأيت أن تجنب الإطالة في هذا المبحث هو الصواب لحصول الوابل الصيب، والغيث الطيب، بالاطلاع على كتاب القول المنبي، وحتى لا نصادر على الكتاب، سيما وأن الكلام على مواقف العلماء من ابن العربي قد استغرق قرابة ثلثي الكتاب. وحسبي من هذا المبحث أن أقف على بعض القضايا المهمة، وفي ذلك الكفاية.

وقبل تفصيل الكلام عن القسمين السابقين من مواقف العلماء حُقَّ لنا أن نتساءل عن الأسباب الداعية إلى خلاف العلماء في حال ابن العربي، أو صدور كلمات ثناء مجملة من بعض العلماء الذين رفضوا مذهبه في الوحدة، وهل يعد ثناؤهم المجمل عليه حجة أم لا؟

درس الحافظ السخاوي في كتابه الحافل القول المنبي هذه المسألة درسا عميقا، في الفصل الرابع من الكتاب، الذي خصصه للحديث عن حال الناس في ابن العربي ومع كتبه، وقسمهم إلى عدة أقسام:

القسم الأول: المعتقدون لمذهب ابن العربي، والمتعلقون بمذهبه، وهم طائفة بَلَغَتهم كتبه وقرؤوها، وفهموا المراد من الوحدة الإلهية، وآمنوا بهذا المذهب، وتابعوا شيخهم الأكبر، وهؤلاء كما ذكر السخاوي لا يُرجى فلاحهم، ولا يُطمع في رجوعهم، لما أُشرِبَته قلوبهم من حب طريقته،[1] ومنهم الصدر القونوي، وسار على طريقته عبد الغني النابلسي، وبهاء الدين العاملي،[2] والأمير عبد القادر الجزائري[3] ناشر كتاب الفتوحات المكية لأول مرة، وزعيم الثورة الإيرانية الشيعي الرافضي الخميني،[4] وغيرهم كثير.

القسم الثاني: قرؤوا مذهبه وفهموه، وقالوا بولايته، و لكنهم يزعمون أن لكلامه ونصوصه تأويلا يصرف كلامه المشكل عن ظاهره، ويجيبون عن المنكرين لمذهبه بأنهم ظاهرية لم يفهموا مذهبه ولغته، وأنهم حملوها على محامل غير صحيحة، فحكموا على مُقَدَّمِهم في وحدة الوجود بالكفر.[5]

وأوردوا لذلك مثالا يزعمون به صحة مذهبهم في تأويل كلامه بيتين من شعره قالهما فأشكلا على من سمعهما يقول فيهما:

يا مَن يَرَانِي ولا أَرَاه　　　كَم ذَا أَرَاهُ ولا يَرَانِي

فقال له بعض من سمع الأبيات كيف تقول: إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال مرتجلا:

يَا مَن يَرَانِي مُذنِبًا　　　ولا أَرَاه آخِذًا
كَم ذَا أَرَاه مُنعِمًا　　　ولا يَرَانِي لائِذًا[6]

---

(١) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٧٦).

(٢) هو: محمد بن حسين بن عبد الصمد بهاء الدين الحارثي الهمذاني العاملي ولد سنة ٩٥٣هـ، أديب شاعر، من علماء الإمامية، له عدة كتب منها "المخلاة" وغيرها مات عام ١٠٣١هـ.
ترجمته في: خلاصة الأثر للمحبي ٣/٤٤٠، الأعلام ٦/١٠٢.

(٣) هو: عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني أمير مجاهد شاعر ولد سنة ١٢٢٢هـ، بايعه الجزائريون على الجهاد ضد الفرنسيين، وأخباره في ذلك معهم كثيرة، وتوفي بدمشق عام ١٣٠٠هـ.
ترجمته في: الأعلام ٤/٤٦.

(٤) أصول مذهب الشيعة د.ناصر القفاري ٣/١١٥١.

(٥) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٧٦).

(٦) نفح الطيب ٢/١٦٨.

وقد رد الحافظ السخاوي هذا المسلك ببيان المواطن التي قرر علماء الإسلام التأويل فيها، وحدود هذا التأويل، وهل يستساغ في كل كلام صادر؟[1]

القسم الثالث: قرؤوا مذهبه وكتبه، والتمسوا التأويل لنصوصه؛ ولكنهم نهوا الناس عن قراءة كتبه لما فيها من اصطلاحات ومعانٍ، تسبب لمن اطلع عليها من غير العارف بمصطلحاته الوقوع في تكفير ابن العربي.

وبين السخاوي أن هذا المذهب مُطَّرح لما يتضمنه من تزكية مذهب ابن العربي.

القسم الرابع: حملتهم المداراة لأصحاب الحكم من الصوفية الوجودية في بعض البلاد على الثناء على مذهب ابن العربي، وساق أمثلة على ذلك، وقرر بطلان هذا الثناء. [2]

القسم الخامس: اطلعوا على مذهب ابن العربي وفهموه، وحذروا من الاطلاع عليه وقراءته لكل واحد من الناس سواء فهمه أم لم يفهم معانيه حسما للمادة، وقال بعضهم نأخذ الحسن من كلامه، ونترك القبيح لما فيه من أمور مخلة باعتقاد المسلم، وقد رد الحافظ السخاوي هذا الرأي أيضا، وبين أن الحسن الذي يوجد في كلامه أغني عنه ما يوجد عند غيره من علماء الإسلام من كلام حسن،[3] وذلك حتى لا يتشوش القلب بغيره من الكلام القبيح.

القسم السادس: اطلعوا على مذهب ابن العربي ورأوا كلامه واصطلاحاته، ولإشكالها عليهم لم يفهموها وأحسنوا الظن به، وحملوا مذهبه في الوحدة على أنه يريد به أن الوجود هو الله تعظيما له تعالى، وتحقيرا لمن دونه، وأن كل شيء يتلاشى في جانب عظمته، حتى لا يعتقد أحد في قول ابن العربي الوجودُ الله غير ذلك.

وبين السخاوي أن هذه الطائفة معذورون بجهلهم لمذهبه، وعدم فهمهم لمرامي كلامه، مع وجوب تنبيههم، وبيان مراد الرجل من مذهبه، وبهذا يعتذر في رأي السخاوي عن مجموعة من العلماء الذين صدر عنهم ثناء مجمل على شخص ابن العربي دون مذهبه. [4]

القسم السابع: هؤلاء لم يسمعوا كلامه ولم يقرؤوا كتبه، وإنما بلغهم طعن الطاعنين في مذهبه، وثناء المثنين عليه، فآثروا التوقف في حاله وعدم الكلام فيه.

---

(١) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٧٦-٨٣).

(٢) المصدر نفسه ص: (٨١).

(٣) المصدر نفسه ص: (٨٣).

(٤) المصدر نفسه ص: (٨٦).

وقد رد السخاوي هذا المسلك، وبيّن أنه ينبغي عليهم الوقوف على مذهبه في كتبه وبخاصة الفصوص، وأن هذا القول لا يصح، ما دُمْنا لا نعرف شيئا عن كتبه، ونجهل أصل مذهبه، أما والحال أن مذهبه مشهور ومعروف عند الناس فلا يستقيم موقفهم. (١)

وتكلم الحافظ السخاوي عن طائفة من العلماء صدر عنهم ثناء على ابن العربي، وأوضح أن ذلك لا يستقيم أن يكون حجة على صحة مذهب ابن العربي، أو على عدم جواز الكلام فيه نقدا، فإن مجموعة منهم لم تصلهم كتب الرجل لعدم شهرتها عند كل واحد ولا في كل البلاد، ولهذا فإنهم لا يدركون حقيقة مذهبه، ويغترون بما يصلهم عنه من كثرة العبادة والزهد في متاع الدنيا. وقرر السخاوي رحمه الله أن ثناء هؤلاء لا ينبغي الاعتماد عليه لمعارضته لما ورد عن علماء الإسلام من الطعن في مذهبه. (٢)

ثم ختم الحافظ السخاوي هذا المبحث بقاعدة علماء الحديث الذهبية **الجرح مقدم على التعديل** وبخاصة إذا كان مع الجرح شاهد كونه مفسرا.

ونحن أيضا نختم هذا المبحث في موقف العلماء من ابن العربي بقضية مهمة لا نقف عندها طويلا؛ ويتعلق الأمر ببعض النصوص المشكلة التي وردت عند ابن العربي في مواضع من كتبه وفيها عدم القول بالوحدة الإلهية، وكون المخلوق عين الخالق، والتي فرح بها أصحاب الشيخ الأكبر من الصوفية الوجودية!! وأخذوا يستدلون بها على ما يدعونه من أن ابن العربي قد دُسَّت عليه في مذهبه أمور هو بريء منها، في جميع كتبه وبخاصة الفتوحات المكية، وأن الأصل في اعتقاده ما ثبت عنه من نصوص تُبَين التفريق بين الخالق والمخلوق، وما صح من كلامه في الوحدة ينبغي تفسيره بالنصوص الأخرى الواردة في التفريق بين الذوات وذلك حتى يبعدوا العلماء عن نقد مذهبه، ويجلبوا بسطاء الناس إلى أقواله وآرائه. (٣)

---

(١) المصدر نفسه ص: (٨٧).

(٢) العقد الثمين للفاسي ٢/١٩٧، المصدر نفسه ص: (٨٨).

(٣) انتصر لهذه الدعوى من المتقدمين الشعراني في اليواقيت والجواهر ١/٣، ومن المعاصرين محمود غراب في شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي ص: (٤٢١-٤٢٢)، وطه عبد الباقي سرور في محيي الدين بن عربي ص: (١٧٣) وما بعدها، ود.عبد الحليم محمود في بحث له حول التصوف (ضمن كتاب المنقذ من الضلال للغزالي) ص: (٢٩٥) وما بعدها، وعبد الرحمن حس محمود في محيي الدين بن عربي من أئمة الموحدين ص: (٢٠) وما بعدها.

هذه النصوص المشكلة عند ابن العربي في مخالفة المشهور من مذهبه في الوحدة الإلهية، إذا نظرنا إليها نظرة تأمل نجد أنها مقصودة من ابن العربي،[1] لا سيما إذا عدنا إلى ما سبق من تفصيل مذهبه الوجودي، وأنه لا ينكر وجود العالم المحسوس، ولا يعتبر الله تعالى موجودا وحيدا مفترقا عن العالم؛ وإنما ينظرون إلى وجود هذه المخلوقات كلها، والكثرة فيها على أنه وجود الله.

ويفسرون الكثرة في الخلق في مذهبهم على أنها نسب واعتبارات لا حقيقة لها، يتجلى فيها الحق، وهي بالنسبة للذات الإلهية وهم وخيال، وهذه النسب والاعتبارات أمور عدمية لا توجب تكثر الوجود، ولا تكثر الحقيقة المحمدية أو الإنسان.

وعليه فإن التفريق الوارد في بعض النصوص عند ابن العربي، والتي يخالف ظاهرها مذهبه في الوحدة، إنما هي نسب واعتبارات، وليست تفريقا للذوات بأي حال، بل هي ذات واحدة لا وجود لغيرها في العالم.

وهي بحق صورة من صور دهاء محيي الدين الحاتمي في إخفاء اعتقاده، والتلبيس بالألغاز، وتعقيد المصطلحات كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هروبا من هجوم العلماء عليه، واتقاء لصواعقهم المرسلة على طائفته الصوفية الوجودية، وهذا الاضطراب في مذهبه، وعدم الثبات على الاتحاد قد لاحظه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "....ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره؛ بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى، والله أعلم بما مات عليه".[2]

ويمكن القول بأن مذهب ابن العربي هو بحق فن من فنون الجنون كحال من يفر من المطر إلى مترل الصاعقة، ففي الوقت الذي لا يجيزون فيه وجود الموجودات بإيجاد الله لها احترازا من كونها إشراكا مع الله في وجوده، ويجعلون هذه الموجودات عين الله، يصرح ابن العربي بأن النصارى إنما أشركوا لأنهم خصصوا وحصروا الألوهية في المسيح ابن مريم عليه السلام.

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عن مذهب ابن العربي: "وغايته أنه بلغ من غروره بما حذقه من الثرثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية أن حاول إقناع قراء فصوصه بأنه رب العالمين من حيث إنه أكمل مظهر للخلق الذي هو عين الحق، وما الرب

---

(١) قارن هذه المواضع من الفتوحات ٣/٣٧٦، ٤/٣٧٢، ٣٧٩ وغيرها، وروح القدس له.

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص: (٦) (نشرة: السيد محمد رشيد رضا).

عنده إلا نسبة إضافية بين ما يسمى حقا، وما يسمى خلقا وهما في نفس الأمـــر شـــيء واحد".[1]

ونختم بموقف د.علي سامي النشار من شيخ الصوفية الأكبر محيي الدين بقوله: "ومحيـــي الدين بن عربي ليس على الإطلاق في تصوفه الفلسفي صوفيا مســـلما، إنمـــا يشـــبه في التصوف ابن سينا في الفلسفة، فابن سينا _ فيلسوف الإسلام كما يدعي هـــو امتـــداد للفلسفة اليونانية _ كذلك محيي الدين بن عربي إنما هو فيلسوف متصوف لا يمثل الإسلام السني أو الشيعي في شيء. إن تصوفه ينتهي بسرعة خطيرة إلى مذهب فلسفي يضعـــه في نسق الفلسفة العام.....هو فيلسوف غنوصي صناعي ممتاز، مُجَمِّعٌ موفق مُتَّسق".[2]

---

(١) مِنْ تَعلِيقٍ له على رسالة مذهب الاتحاديين ص: (٥٤).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٣/٣١.

الباب الثالث:

دراسة الكتاب

❖ وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: عنوان الكتاب.
- المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف.
- المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية.
- المبحث الرابع: الكتب المصنفة في موضوع الكتاب.
- المبحث الخامس: التعريف بالنسخ الخطية.
- المبحث السادس: بيان منهجي في تحقيق الكتاب.

المبحث الأول:

عنـــــوان الكتـــــاب

اتفقت كلمة جميع النسخ الخطية للكتاب على تسميته **القول المنبــي عن ترجمة ابــن العربي** سوى نسخة المكتبة الآصفية التي سقطت ورقة غلاف الكتاب منها، والتي يـــدون عليها في العادة عنوان الكتاب، وقد تصرف مفهرسو نسخة برلين، ونسخة شستربتي في العنوان المثبت على غلاف الكتاب في النسختين، عندما نَكَّروا اسم ابن العـــــربي بقولهم **كتاب القول المنبــي عن ترجمة ابن عربي**، خلافا للصواب الذي ذكره المؤلـــف لاسم ابن العربي معرفا، وذلك مبني على دليلين مهمين:

١/ ورد اسم الكتاب في نص النسختين معرفا، في صلب الكتاب بنص المؤلف نفسه على عنوان الكتاب بقوله: "وسميته القول المنبــي عن ترجمة ابن العربي".[١]

٢/ ورد في آخر نسخة برلين (ل/٢٣٧ب) قول مُبَيض الكتاب: "آخر ما وجدتـــه مـــن كتاب القول المنبــي عن ترجمة ابن العربي".

. ومُبَيض الكتاب المذكور هو الحافظ ابن فهد الهاشمي المكي صاحب المؤلف وتلميـــذه، وأحد الحفاظ المتقنين في وقته بالحجاز، وهو بلا شك عمدة في ضبط مصنفات شـــيخه الحافظ السخاوي، وهو أيضا ناسخ ضابط عارف بكتب أستاذه السخاوي.

وفي نسخة شستربتي جاء في نهايتها (ل/١٦٧ب) قول الناسخ: "قال في الأم ما لفظه: آخر ما وجدته من كتاب القول المنبــي عن ترجمة ابن العربي".

وقد اعتبرت ما ذكرته من أدلة دافعا لي لاعتبار العنوان الصحيح للكتاب هو **القـــول المنبــي عن ترجمة ابن العربي**، وما ورد من مغايرة في عنوان الكتاب من ذكر اسم ابــن العربي منكرا تصرفًا من المفهرسين لا علاقة للمؤلف به، ولعلهم استندوا في ذلك إلى مـــا جاء في بعض المصادر التي ترجمت للسخاوي كما سأنبه عليه في موضعه، والعمدة عنـــدي ما جاء في أصل الكتاب في النسخ الجيدة المعتمدة عندي والله أعلم.

---

(١) نسخة برلين (ل ٣/ب)، نسخة شستربتي (ل/ ٢ب).

وورد ذكر اسم الكتاب عند المؤلف في بعض كتبه منها ذيل رفع الإصر ص: (٦٢) بقوله "القول المنبي عن ترجمة ابن العربي"، وفي الكفاية في طريق الهداية له (مخطوط ل/٣ب)، وفي كل من إرشاد الغاوي (مخطوط ل/٧٩ب)، الضوء اللامع ١٧/٨، ١٣٥/١٠ وجيز الكلام ٩٤١/٣، ورد ذكر اسمه بقريب من ذلك، وفي بعض كتبه الأخرى ذكر اسم الكتاب بالمعنى، وأحيانا يكتفي السخاوي بالتنبيه على موضوعه دون ذكر اسمه كما في الإعلان بالتوبيخ ص: (٢٤٤)، وفي الجواهر والدرر ١٢٧٤/٣.

أما المصادر التي ترجمت للمؤلف فقد ذكرت اسم الكتاب بعناوين مختلفة، ولكنها تؤدي إلى معنى واحد، من ذلك ما جاء عند الشوكاني في البدر الطالع ١٨٥/٢، والكتاني في فهرس الفهارس ٩٩١/٢، و البغدادي في هدية العارفين ٢٢١/٢.

المبحث الثاني:

توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

لا يتطرق أدنى شك إلى صحة نسبة كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن العربي للحافظ السخاوي لأدلة قوية متينة ملخصها الآتي:

١/ جاء ذكر عنوان الكتاب على غلاف جميع النسخ الخطية التي توفرت لدينا عدا النسخة الآصفية فقد سقطت منها ورقة الغلاف.

٢/ نص المؤلف نفسه على نسبة الكتاب إليه في بعض مؤلفات ومن ذلك:

_ ذكر اسم الكتاب كاملا في بعض مصنفاته، منها إرشاد الغاوي وهي ترجمة ذاتية مبسوطة له (مخطوط ل/٧٩ب)، والضوء اللامع ١٧/٨، ١٣٥/١٠عند ترجمته لنفسه، وذيل رفع الإصر ص: (٦٢)، ووجيز الكلام ٩٤١/٣، والكفاية في طريق الهداية (مخطوط ل/٣ب). ونبه على الكتاب في الإعلان بالتوبيخ ص: (٢٤٤)، والجواهر والدرر ١٢٧٤/٣.

٣/ نص المؤلف على عنوان الكتاب في مقدمته بذكر اسمه كاملا.

٤/ أحال المؤلف في صلب كتاب القول المنبي على بعض كتبه ومنها:

_ كتاب "الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل".[1]

_ وجزء له في الرد على المجد اللغوي بسبب رده على ابن الخياط؛[2] وهي مصنفات صحيحة النسبة للسخاوي.

٥/ نسب العلماء الذين ترجموا للسخاوي كتاب القول المنبي له، كما نبهت على ذلك عند الكلام عن عنوان الكتاب.

٦/ انتخب الحافظ ابن فهد الهاشمي من كتاب القول المنبي منتخبا، وجزم فيه بصحة نسبة الكتاب للسخاوي.[3]

---

(١) منتخب القول المنبي لابن فهد الهاشمي (مخطوط) يقع في ١٣٥ق منه نسخة في مكتبة الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان الكويتي من مقتنيات وزارة الأوقاف الكويتية، أفادني بنسخة منها أخي الودود الأستاذ البحاثة ناصر العجمي الكويتي.

(٢) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٥١).

(٣) المصدر نفسه ص: (٣٤).

٧/ صرح بنقله عن أستاذه وشيخه الذي عرف بملازمته له طويلا الحافظ ابـــن حجـــر، فذكره بعبارة "شيخنا" المأثورة عن السخاوي،وأنه إذا أطلقها إنما يريده بها، ولا يطلقـــها على غيره البتة.

٨/ أسلوب السخاوي وطريقته في التأليف، وتنوع المصادر التي ينقل عنها، وطريقتـــه في النقد، كل تلك السمات التي عُرفت عن الحافظ السخاوي، كانت نَفَساً حاضرا في كتابه القول المنبـــي.

المبحث الثالث:

قيمة الكتاب العلمية

❖ وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: الباعث على تأليف الكتاب.
- المطلب الثاني: موضوع الكتاب وبيان موجز لمضمونه.
- المطلب الثالث: مصادر الكتاب.
- المطلب الرابع: المآخذ على الكتاب.

المطلب الأول:

الباعث على تأليف الكتاب

لعل الناظر العَجِل في عنوان الكتاب القول المنبـــي عن ترجمة ابن العربي لا يـــهتدي في بداية الأمر إلى هدف السخاوي رحمه الله من تأليف؛ فقد عُلِم عند المتقدمين أن عنـــوان الكتاب هو لسانه الناطق بمحتواه ومضمونه، وبالفعل انتقى السخاوي عبارات عنـــوان الكتاب بكل دقة، وليس ذلك غريبا فقد عهدنا منه هذه الدقة في انتقاء عنـــاوين كتبـــه. والكتاب هو مجلد ضخم يُنبـــي مَن يطالعه ويدرسه عن حال ابن العربي الحاتمي، ولفـــظ الترجمة المذكور هو على غير ظاهره عند الحافظ، لأنه لم يهتم بذكر ما يكون عـــادة في الترجمة من اسم ولقب وتاريخ ولادة وشيوخ وتلاميذ ونحو ذلك من مبـــادئ الترجمـــة للشخصيات، فهي ترجمة من نوع آخر إن صح التعبير.

بيَّن الحافظ السخاوي سبب تأليف كتاب القول المنبـــي بقوله في فاتحته: "فهذا كتـــاب مرشد إن شاء الله إلى الصواب، جمعت فيه الألفاظ والنصوص المنتقد بها على صـــاحب الفتوحات والفصوص، وسُقتُها على وفيات قائلها الأول فالأول، ليعلم أنهم في كل وقـــت وبكل قطرٍ هُمُ الذين عليهم فيه المعول، رجاء انقطاع التمادي في النـــزاع، والموافقة لمـــا انعقد عليه الإجماع من علماء المذهب والفنون، المزيلين للشبه الفاسدة وأوهام الظنـــون، والإقبال على ما اتفق على قبوله مما لا مخالفة فيه لكتاب الله وسنة رسوله من كلام القـــوم الذي لا اعتراض فيه ولا لوم".[1]

بهذه العبارات الرفيعة يبين الحافظ السخاوي صنيعه في كتاب القول المنبـــي وهو جمـــع فتاوى العلماء ونصوصهم في نقد مذهب ابن العربي الحاتمي المبثوت في كتابيه الفتوحـــات المكية، وفصوص الحكم، وفي ذلك إشارة من المؤلف إلى أن النقد سيكون مُوَجَّها لهذيـــن الكتابين، وهو منهج سديد؛ فإن لهذين المصنفين أهمية كبيرة في فهم مذهب ابن العربي لمـــا بَثَّه فيهما من نتيجة فكره وآرائه، والدارس لكتاب القول المنبـــي يجد أن السخاوي يركـــز

(١) القول المنبـــي ص: (٣).

اهتمامه في نقد مذهب ابن العربي الوجودي على هذين الكتابين مما يدلك على أن السخاوي كان على دراية بمذهب محيي الدين واطلاع عليه، إذ تمكن من تمييز الكتب التي ينبغي أن يكون التركيز عليها لفهم مذهبه، و توجيه لنقده.

ثم شرع المؤلف بعد ذلك في بيان أسباب تصنيف كتاب القول المنبي وهي:

١/ اضطلع السخاوي بجمع فتاوى العلماء ونصوصهم في نقد ابن العربي لتأكيد كون الحفاظ والعلماء بمختلف مذاهبهم، وبجميع فنونهم، وفي كل الأقطار والبلاد مغربا وشاما، ويمنا ومصرا وحجازا، اتفقوا على كلمة واحدة؛ وهي رَدُّ مذهب محيي الدين الحاتمي في الوحدة الإلهية، وحتى يتمكن الدَّارِس من تمييز مذهب متقدمي الصوفية ـــ أعني بهم طبقة الجنيد والمحاسبي ونحوهم ـــ القريب من زهد الصحابة والتابعين، مع ما فيه من اصطلاحات دخيلة، من مذهب القائلين بالوحدة الإلهية.

٢/ قصد أداء واجب النصيحة للأمة، وبيان الحق وفاء بالميثاق الذي أخذه الله على العلماء بالبيان، ثم إحياء سنة التصنيف في نقد مذهب ابن العربي، التي درج عليها العلماء قاطبة مغاربة ومشارقة، وحتى يحصل تزييف مذهب الوجودية القبيح في جميع ما يحمله بين طياته من انتقاص لعلم الأنبياء، ورفع من مقام الأولياء على منزلة النبوة، وتأويل النصوص القرآنية بما يوافق المذهب، بتعسف شديد في حق هذه النصوص لم يسبقه إليه أحد، وتسخير الأصول الفلسفية في صياغة مذهب معقد بعيد عن نظر القرآن والسنة الذي نزل به الوحي على رسله الكرام.

المطلب الثاني:

موضوع الكتاب وبيان موجز لمضمونه

كتاب القول المنبي للحافظ السخاوي عِلْقٌ نَفِيس، ومصدر تراثي زاخر بالعلوم والفوائد والمسائل، فهو وإن كان قد ربطه المؤلف بشخصية ابن العربي الحاتمي، إلا أنك واجدٌ فيه لا محالة أثناء تقليب ناظريك بين ثناياه علما غزيرا، وفوائد متناثرة جمة، ينقلك فيها بين العلوم، وأنواع الفنون، ويوقفك على مسائل من الغرر المفيدة، واللطائف الشاردة، في الحديث والتراجم، والتاريخ والعقائد، والفقه ونحوه. هذا إلى جانب ما يُجنى من فوائد بالوقوف على موقف العلماء من ابن العربي الحاتمي بما لا مثيل له في مصنف آخر في الباب.

وأنتقل الآن إلى عرض أهم القضايا التي جاءت في الكتاب، متجنبا الاستطراد والتفصيل في وصف مضمونه، الذي يجده الدارس للكتاب بوقوفه عليه مستغنيا.

قسم الحافظ السخاوي كتابه إلى مقدمة وثمانية فصول:

أما **المقدمة** فذكر فيها بعد خطبة الكتاب أسماء جمع من العلماء تقدموه بالتصنيف في ابن العربي الحاتمي من مختلف المذاهب والفنون، وهو صنيع قديم للعلماء، فيفتتحون ديباجة كتبهم بذكر جهود مَن سبقهم بالتصنيف في الموضوع الذي يكتبون فيه، وفي ذلك من الفوائد لمطالع الكتاب بتمكينه مِن معرفة مَن سبق بالتصنيف في الموضوع.(١) ثم انتقل المؤلف إلى ذكر بعض العلماء الكبار من ذوي المقالات والفتاوى في ابن العربي.(٢)

وانتقل إلى سرد أسماء فصول الكتاب وهي ثمانية فصول، وشرع في بيان منهجه في الكتاب، وبخاصة في الفصل الثامن الذي يشكل أكبر فصوله، وتوضيح طريقة سرد فتاوى العلماء ومقالاتهم، وأوضح أن تصنيفه لهذا الكتاب كان عند قيامه على بعض الوالجين لمسلك الصوفية الوجودية، بعد إيداعه المارستان، وادعائه الجنون على نفسه، هروبا من حكم القضاء عليه بسبب الكلمات التي صدرت عنه، ولم يعطنا السخاوي معلومات

---

(١) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٤).

(٢) المصدر نفسه ص: (٧).

كافية عن هذا الرجل. ثم نوه بخطبة بعض العلماء على منبر الجامع الأزهر بتجنب مطالعة كتب البدع، والتصريح بالفتوحات والفصوص.[1]

ثم شرع في الفصل الأول من الكتاب وخصصه لقضية التأويل عند الصوفية، وانتصر فيه إلى عدم جواز فتح باب التأويل على مصراعيه في كلام الصوفية الوجودية وبخاصة ابن العربي، وساق نصوص العلماء في عدم ارتضاء تأويل كلامه المنكر، وأوضح أن هذا المسلك نهجه بعض علماء الصوفية الذين رفضوا تأويل كلام محيي الدين، أو حمله على محامل صحيحة.

وبين المؤلف أن كلمة العلماء المحققين مجمعة على عدم جواز تأويل كلام الصوفية الوجودية المبثوث في كتبهم لما يتضمنه من مناكير وقبائح، وأجاد المؤلف بافتتاح الكتاب بقضية التأويل، ومناقشة الحدود التي يستساغ فيها، فإن كثيرا من الصوفية الوجودية يستندون على أصل التأويل للهروب من التهمة في ما يصدر عنهم من ألفاظ مخرجة من أصل الدين.

وتخلل هذا الفصل عند المؤلف مباحث أصولية وفقهية، وأخبار العلماء، ونقول مهمة عنهم في الباب. (٢)

كما نبه السخاوي في هذا الفصل على أن الذين أُوِّل كلامهم لإزالة الإشكال الحلصل فيه إنما حصل في كلمات قليلة صدرت منهم، ولم يعرف عنهم غيرها، ولا كان من ديدنهم صدور تلك القبائح، ثم هم علماء ثقاة لهم في الأمة لسان صدق.[3]

وأوضح المؤلف أن شريعة الله المترلة على نبيه الكريم ﷺ فيها الغنية لمن يريد معرفة صفات الرب ﷻ وتمييز ما يليق به مما لا يليق وصفه به.

وختم هذا الفصل ببيان أن الكلام الصادر من الصوفية الوجودية، المتضمن لما لا يليق وصف الرب ﷻ، ولا وصف أنبيائه ورسله به ينبغي تجنبه، وأن ارتكابه محظور ومحرم.[4]

وشرع المؤلف في الفصل الثاني ببيان صنيع الأئمة مع كتب البدع وبخاصة الفتوحات والفصوص، وأوضح أنها باتت مهجورة مخفية، لا يتطاول أحد بإبرازها، أو يتجرأ على إقرائها،

---

(١) المصدر نفسه ص: (٨-١٠).

(٢) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (١١-٢٨).

(٣) المصدر نفسه ص: (٢٣).

(٤) المصدر نفسه ص: (٢٨).

وتحدث عن واقع مصر وقلة هذين الكتابين بها، وأن القضاة كانوا يحكمون بإحراق الفصوص متى وُجدت عند أحد، وإذا ثبت عندهم أنه يعتقد ما فيها سعوا بالحكم عليه قتلا. وساق أخبار العلماء مع هذين الكتابين بتأديب مَن يتظاهر بإبراز هذه الكتب اقتناءً وإقراءً. (١)

وقرر بأن ولي الأمر يتعين عليه الحيلولة بين هذه الكتب وإشاعتها بين الناس تحقيقا للمصلحة العامة، ونقل تصريح العلماء بذلك، واعتبر كتاب الفصوص ككتب الفلسفة التي لا ينبغي إشاعتها بين الناس. (٢)

وتحدث عن حكم تحريق الكتب التي تتضمن أسماء الله تعالى، وفيها ما يخالف أصل الدين، والمفاضلة بين كل من الحرق والغسل والمحو، وأيهم كان عمل المتقدمين. وساق أحوال السلف في إحراق كتبهم ورعا، وخوفا من عدم تحقيق الإخلاص فيها، واتقاءً لما يمكن أن يكون فيها من خطأ يقلدهم فيه من يقف عليها، فيحملون وزره، وأوضح السخاوي رحمه الله بأن منشأ ذلك كله عند هؤلاء العلماء الكرام رحمهم الله هو وفور التدقيق والتحقيق. (٣)

وأشار المؤلف إلى شخص اشتهر في زمانه بكثرة اقتناء كتب ابن العربي، واستحضار أجزائها من كل مكان، وحرصه على إقرائها بين العوام خفية، وأنه نصحه بترك ذلك، ولكنه لم يُفِد من نصحه، وأنكر عليه إفراده ابن العربي بالترجمة لله انتصارا له،(٤) دون أن يفصح لنا عن اسم هذا الرجل الذي يظهر من كلامه عنه بأنه كان من علماء عصره، ولعله السيوطي فإنه صنف ترجمة في بداية أمره في الانتصار لمذهب ابن العربي تأويلا لمذهبه.

ونبه الحافظ السخاوي على بطلان ما يذكر من بعض مناقب ابن العربي التي قُصِد منها تعظيمه وإطراؤه، ولبس بها بعض المعظمين لابن العربي على عوام الناس من المسلمين، بقصد الوصول إلى تعظيم مذهبه، تناول كل ذلك ببحث دقيق، ونقد تاريخي نفيس يَعِز وجوده في كل موضع. (٥)

وذكر فضائح بعض المصنفين في مصنفاتهم، وتخبيطهم في المسائل والأحداث. وبَيَّن السخاوي أن البلاء مع أمثال هؤلاء قديم، وأخبار العلماء في الرد عليهم لا تحصى كثرة. (٦)

---

(١) المصدر نفسه ص: (٢٩-٣٢).

(٢) المصدر نفسه ص: (٣٣).

(٣) المصدر نفسه ص: (٣٦-٤٢).

(٤) المصدر نفسه ص: (٤٧-٤٩).

(٥) المصدر نفسه ص: (٥٩-٦١).

(٦) المصدر نفسه ص: (٥٨).

بعد ذلك شرع السخاوي في الفصل الثالث وخصه للحديث عن أحوال الناس مع كتب ابن العربي في مصر والشام، واليمن والحجاز، وذكر حادثة البقاعي مع بعض المشتغلين بكتب ابن العربي وقصائد ابن الفارض، وحكمه عليه بالكفر، وما أثاره ذلك عليه من إنكار بعض العلماء المعظمين لهذه الطائفة، وتَعَرُّض البقاعي للطرد والإهانة من قبل بعض صغار الطلبة، ومحاولة قتله بالهجوم عليه، وجفاء الأمير وأتباعه له. [1]

وأرخ الحافظ السخاوي لبداية اشتهار كتب ابن العربي وطائفته بالديار المصرية، وحال بلاد الروم بانتشار كتبه فيها، وعظم بلاء أهلها بها. أما بلاد اليمن فقد كانت خالية من كتبه مدة من الوقت، إلى أن دخلها المقدسي وبعض تلاميذه، فأقبل عليها غالب الأمراء والملوك فتنة بها وأنكر ذلك كبار الفقهاء، ووصف المؤلف حال ملوك اليمن مع صوفية ابن العربي، وتقريب أهل هذا الاعتقاد منهم، وما ترتب على ذلك من فتنة للفقهاء وبلاء لحقهم بسبب إنكار عليهم في ذلك. [2]

ثم وصف نشاط بعض الصوفية الاتحاديين بعد توليهم للحكم في اليمن، وإحيائهم لكتب ابن العربي بعد موتها باليمن، وأبرز السخاوي جهود العلماء والفقهاء الذين أبلوا البلاء الحسن في إنكار اعتقاد ابن العربي ونبذ مذهبه، وصبرهم على البلاء الذي لقوه بسبب ذلك، كل هذا في استرسال تاريخي متناسق الأحداث ينبي عن سبعة اطلاع المؤلف على التاريخ وأخبار الأمم، وتراجم العلماء والوجهاء. [3] وأشار السخاوي إلى حال بلاد الشام وما قاربها مع كتب ابن العربي إشارة خفية مفيدة.

ثم انتقل إلى الفصل الرابع وهو من الفصول المهمة في كتاب القول المنبي، وتأتي تلك الأهمية من دراسته لحال العلماء مع ابن العربي، وأقسامهم التي سبرها بعد تدقيق ومطالعة للنصوص والأحداث، فقد قسمهم إلى ما يقرب من سبعة أقسام، ودرس حالهم مع كتب ابن العربي، وبَيَّن معنى ثناء بعض الفضلاء والعلماء عليه، وهل يصح ذلك لأن يكون حجة لتصحيح مذهبه؟ وما سبب صدور هذا الثناء، وتوقف بعض العلماء عن الكلام فيه؟[4]

وقد أجاد السخاوي بِطَرْق هذه القضية في هذا الفصل من الكتاب، لما يستند عليه بعض الصوفية في نصرة ابن العربي من وجود نصوص عن بعض العلماء تصرح بالثناء عليه، أو

---

(١) المصدر نفسه ص: (٦٢-٦٤).

(٢) المصدر نفسه ص: (٦٤-٧٣).

(٣) المصدر نفسه ص: (٧٤).

(٤) المصدر نفسه ص: (٧٦-٩٤).

التوقف عن الخوض في الكلام في مذهبه، ويستدلون بهذه المواقف لبيان عدم إجماع العلماء على إنكار مذهبه، فجاء السخاوي لِيُجَلِّي الغشاوة عن هذه النصوص، ويبين سبب صدورها عنهم، ويحلل الدوافع التي دفعتهم إليها، ويبطل بذلك الاستدلال بها، أو اعتمادها.

ثم شرع المؤلف في الفصل الخامس وخصصه للحديث عن النصوص التي وردت في الفتوحات والفصوص في تقرير مذهب ابن العربي في الوجود والنبوة والولاية، وسائر كلامه في تأصيل مذهبه.

وانتقى السخاوي من هذه النصوص أصرحها، وقسمها حسب مواضيعها والسياق الذي وردت فيه، وكان يُتبعها بنقد العلماء الفحول لها، ويُعقب على مواضع منها بما يبين مخالفتها لعقيدة الإسلام. (١)

أما الفصل السادس فقد خصصه لتجريد أسماء مَن رُمِي باعتقاد الصوفية الوجودية، أو اشتغل بكتابة ونسخ مصنفات ابن العربي، أو أحبه ولازم الأخذ عنه، أو لازمه في مذهبه.

و لم يغفل السخاوي مَن كان مُحِبا في الطائفة الوجودية من الصوفية، حتى ولو لم يكن موافقا لهم في اعتقادهم، وجعل هذا الفصل بمثابة فهرسة لمن رُمي باعتقاد ابن العربي، أو أثنى عليه وأحبه دون اعتقاد مذهبه، والذين ورد ذكرهم في كتاب القول المنبي، دفعا لعناء استخلاصهم من الكتاب، مرتبين على حروف المعجم، وذكر عند كل علم ما قيل فيه من تَعَلُّقٍ بكتب ابن العربي نسخا أو إقراءً أو تدريسا.

وبَيَّن في هذه الفهرسة مَن شابه ابن العربي في اعتقاده من المغاربة والمشارقة، ويلاحظ انتقاؤه لهم بدقة، وذكرُه لبعض الأعلام الذين تقدموا ابن العربي زَمَناً، ولعل مراده من ذلك أنهم شابهوا محيي الدين في أصل اعتقاده ومذهبه كذكر الحلاج والجهم بن صفوان، والجعد بن درهم ونحوهم. (٢)

وفي الفصل السابع تكلم السخاوي عن الأعذار التي اعتذر بها للعلماء المعتمدين ممن صدر عنهم ثناء على ابن العربي، و لم يكونوا موافقين له في نحلته. (٣)

أما الفصل الثامن وهو أكبر فصول الكتاب وأهمها لكونه يُشَكل ثلثيه، وفيه سَرْدٌ لفتاوى العلماء والحفاظ من جميع المذاهب والفنون، وكتبهم التي صنفوها في نقد ابن العربي، وهم

---

(١) المصدر نفسه ص: (٩٥-١٠٤).

(٢) المصدر نفسه ص: (١٠٥-١٤١).

(٣) المصدر نفسه ص: (١٤٣-١٤٤).

كما سلف ذكره مرتبون في السرد حسب تواريخهم ووفياتهم، شملوا علماء المغرب والشـــام، واليمن ومصر، والحجاز في استقصاء تاريخي عجيب لكل ما قيل في ابن العربي من نقد تـاريخي تأليفا وتصنيفا، وإفتاء وتعليقا.

فكتاب القول المنبـــي كما بينته من قبل يعد موسوعة علمية لكل ما قيل في ابن العـربي، أو كتب فيه منذ ظهور مذهبه وإلى بداية القرن العاشر، وهو أيضا مصدر جيد في الوقوف علـــى مجموعة من النصوص التراثية التي كتب لها الضياع.

وقد قدم السخاوي لهذا الفصل بمقدمة علمية بين فيها غرضه من تصنيف الكتـــاب بـــالتعرض لمقالة محيي الدين ابن العربي، وبيان موقف العلماء منها من مختلف الفنون عبر التاريخ، بينمـا لم يشتغل بالحكم على عين ابن العربي، وهل يكفر أم لا؟[1]

وهذا الموقف من السخاوي رحمه الله لم يكن غريبا؛ فقد سبقه مجموعة من العلماء والحفـاظ أمثال ابن حجر والذهبي، والعراقي، والبلقينـــي، والتقي السبكي وغيرهم من الأئمة الأبطـال، فهم وإن كانوا يجزمون برد مذهب ابن العربي، والحكم بمعارضته لأصول الإسلام دون تردد أو توقف، فإنهم يتوقفون في الحكم على عينه بالكفر لعدم وجود ما يؤكد موتـــه علـــى مذهبـــه، واحتمال رجوعه عنه قبل موته.

وكأني بالحافظ السخاوي أراد أن يخاطب بهذا الكتاب الحافل جميع دارسي ابن العربي موافقـين ومعارضين، بالخروج عن مجرى كثير من المصنفين الذين قصروا تصنيفهم في ابن العربي حـــول حكمه هل يكفر أم لا؟ فالذين غلوا فيه عارضوا تكفيره بشدة، والذين عارضوا مذهبه انتصروا لتكفيره بشدة، بينما مراد الحافظ السخاوي هو نقد نصوصه، وبيان موقف الإســـلام منـــها، وموقف العلماء عبر التاريخ من هذه النصوص، وكيف اجتمعت كلمتهم على إنكار مذهبـــه، حتى من بعض علماء الصوفية الذين رفضوا التأويل لمذهبه، أو التماس العذر لنصوصه الموغلـــة في الوحدة الإلهية.

وقد تتبع الحافظ السخاوي في هذا الفصل نصوص العلماء في ابن العربي ابتداء من الحـــافظ ابن نقطة البغدادي (٦٢٩هـ) عصر ابن العربي، وإلى الشيخ شـــهاب الديـــن ابـــن الميلـــق (٧٤٩هـ) وهي دراسة تاريخية مهمة حفظت لدارسي هذه الشخصية الفلســـفية الصوفيـــة نصوصا بالغة الأهمية.

---

(١) المصدر نفسه ص: (١٤٥-١٤٨).

وختم السخاوي رحمه الله كتابه بقوله: "فهذا يا أخي مذهب المسلمين من المغاربة والمشارقة فاستعذ بالله من الطائفة المارقة المعتمدين الزنادقة، وكن منهم على حذر، واسأل الله أن لا يبقي منهم ولا يذر".[1]

وهي خاتمة تُنْبِيك عن حرص السخاوي رحمه الله على كشف حال هذه الطائفة من الصوفية الوجودية، وبيان مذهبهم واعتقادهم الفلسفي الذي يتستر بلباس الصوفية.

(١) المصدر نفسه (ل/ ٢٣٧أ-ب).

المطلب الثالث:

مصادر الكتاب

كتاب القول المنبي مصدر غني بالمصادر، ثري بالموارد، انتقاها السخاوي رحمه الله بكل دقة وعناية، ساعده على ذلك اطلاعه الواسع، ودرايته الواسعة بمصنفات العلماء، وكثرة مطالعته للأسفار، لذا نجده يتنقل بين كتب التراجم بمختلف أصنافها وطبقاتها وطرائقها، وكتب الفقه بشتى المذاهب، وكتب التاريخ بجميع أنواعها، وكتب التفسير واللغة والعقائد، والأجزاء والمشيخات، وكتب الصوفية وكتب السلوك.

وتجد في هذه المصادر التنوع التراثي فهناك المصادر المغربية والأندلسية، التي حرص السخاوي على انتقاء مادته العلمية منها، والمصادر اليمنية وله في ذلك دراية جيدة، ومصادر تاريخ الشام ومصر، يظهر لك كل ذلك في تنوع نقوله، وطرافة نصوصه.

وإذا كان الحافظ السخاوي قد اعتمد نصوصا كثيرة في كتابه القول المنبي على عادته في جميع مصنفاته، فإنه كما وصفه من ترجموا له ناقد بارع، لا يأخذ النصوص مادة مُسَلَّمة، بل يُخضِعها لمجهر البحث والدَّرس، فيُثبت ما تطمئن إليه نتائجه دون غضاضة، ويورد ما لا يوافق قواعد البحث العلمي، والنقد التراثي دون وَجَل ولا ريب.

ولن أتعب القارئ بسردها في هذا المبحث، لما سيجده مفصلا في فهرس خاص بالمصادر الوارد ذكرها في الكتاب عند الفهارس العامة، ويكفي أن أطلعه على نماذج وأمثلة منها في هذا المقام.

مصادر الحديث:

- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي.
- تاريخ دمشق لابن عساكر.
- سؤالات البغداديين للحاكم.
- صحيح مسلم.
- ذيل المشتبه لابن الصابوني.
- تكملة الإكمال لابن نقطة.
- المشتبه لأبي العلاء الفرضي.

مصادر التراجم:

ـــ صلة الصلة لابن الزبير.

ـــ التكملة لكتاب الصلة لابن عبد الملك.

ـــ عنوان الدراية للغبريني.

ـــ حلية الأولياء للأصبهاني.

ـــ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي.

ـــ مشيخة البرهان الحلبي.

مصادر الفقه وأصوله:

ـــ شرح جمع الجوامع للولي العراقي.

ـــ الفتاوى الظهيرية في فقه الأحناف.

ـــ المحلى لابن حزم.

ـــ شرح المحصول للشمس الأصبهاني.

ـــ شرح معاني الآثار للطحاوي.

مصادر الاعتقاد والتصوف:

ـــ عوارف المعارف للسهروردي.

ـــ قوت القلوب لأبي طالب المكي.

ـــ خلع النعلين لابن قسي.

ـــ عين اليقين لابن برجان.

ـــ عقيدة الطحاوي.

ـــ الفرقان لابن تيمية.

ـــ الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل.

ـــ ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل لابن الزبير.

ـــ إماطة الأذية الناشئة عن سباطة الشوذية لابن الدراج.

وغيرها من المصادر التراثية التي يغني عن سردها الفهرس الخاص بها، وقد كنت حريصا على إفادة القارئ عن هذه المصادر في الهامش مطبوعا أو مخطوطا.

المطلب الرابع:

المآخذ على الكتاب

لا يخلو عمل بشري من الخطأ والمؤاخذة، فقل ما يسلم من ذلك أحد من الأئمة والعلماء، فالعصمة لأنبياء الله، والكمال صفة لكتاب الله، وقد حصل للحافظ السخاوي رحمه الله وهم وتقصير في بعض المواضع من كتابه القول المنبي، وهي لا تقلل بحال من قيمة هذا الكتاب المُفيد، بَلْه قيمة مؤلفه العلمية، أو وزنه بين الحفاظ الكبار، وقديما قالوا: كفى المرء نبلا أن تعد معايبه.

وأنا إذ أذكر هذه المآخذ على كاب القول المنبي، لا أزعم لنفسي البتة مرتبة من العلم والتحصيل تؤهلني لبيان ملاحظ على كتابٍ لمثل هذا الحافظ الكبير؛ بل التقصير وصفي، وقلة المعرفة شأني، وأنَّى لطُوَيلب علم مثلي أن يُنَاطح قمم الجبال، أو يَدَّعيَ لنفسه ما ليس فيه، فسرعان ما تكذبه شواهد الامتحان. وإنما دفعني إلى ذلك الأمانة العلمية، والحرص على أداء واجب النصح الذي أوجبه الشرع الكريم، والرغبة الشديدة في بلوغ الحقيقة والصواب، وقد كان الحافظ السخاوي رحمه الله مثالا للنقد العلمي الهادف، وأسوة في البحث والدَّرس النقدي، ومن هذا الباب أنبه على أمور قد تكون غابت على المؤلف ساعة تسطيره لمسائل هذا الكتاب، أو يكون له توجيه غاب عن نظرنا، ولعلها مسائل لم تكن مما يعاب على العالم في وقته وزمانه.

ومن هذه المآخذ التي وجدت في الكتاب ما يأتي:

١/ استخدم الحافظ السخاوي رحمه الله بعض الاصطلاحات الصوفية في وصف بعض العلماء أو الزهاد كقطب الوقت وَصَف بها الشهاب السهروردي،[1] وقطب زمانه واصِفاً بها أبي زكريا النووي،[2] وغيرها من الألفاظ الصوفية التي وردت عنده، وهي ألفاظ ذات دلالات ومعاني مقصودة عند الفكر الصوفي، وكان يمكن الاستغناء عنها بالألفاظ

---

(١) القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص: (٣٤).

(٢) المصدر نفسه ص: (٣٩).

الشرعية، والأوصاف العلمية، دون لجوء إلى غيرها، خاصة وأن السخاوي من العلماء المحدثين الأثريين المتمسكين بالسنة والأثر، ولعل استخدام بعض عصرييه لهذه الاصطلاحات دفعه إلى ذلك، وفي ألفاظ الشرع السَّنية الغنية والكفاية.

٢/ موافقته لاعتقاد بعض علماء الأشعرية في بعض المسائل؛ من ذلك ما قرره من الأمر بتجنب ذكر أحاديث الصفات بحضرة العوام، في مَعرِض كلامه عن وجوب اتقاء الألغاز، والألفاظ الموهمة التي يفهم من ظاهرها مخالفة الشريعة.[1]

فقول السخاوي رحمه الله في هذه المسألة مخالف لاعتقاد السلف، في حرصهم على ذكر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة بحضرة جميع الناس، مع بيان معانيها، إذ لا يمكن لنص شرعي صحيح أن يخالف العقل السليم. ولا تزال نصوص الوحي الكريم تُقرأ على عوام الناس، وفيها كما لا يخفى ذكر أوصاف الرب ﷻ كالرحمة والنزول وغيرها من الصفات الإلهية، ولا يزال علماء السنة يقرؤون كتب السنة من الصحاح والمسانيد والسنن دون أن يُشَوِّش ذلك على أحد من ألوف عوام الناس.

٣/ حصل للسخاوي رحمه الله وَهْمٌ قليل في بعض المصادر والأعلام المغاربة؛ ومن ذلك ما جرى له مع كتاب **إماطة الأذية الناشئة عن سُباطة الشوذية** عندما نسبه مرة إلى الحافظ ابن رُشَيْد السبتي (٧٢١هـ)، وفي مناسبة أخرى إلى الحافظ ابن الدَّرَّاج السبتي (٦٩٣هـ) نقلا عن أبي حيان الغرناطي، وفي موضع آخر نسبه إلى ابن الدراج، وشكك في كون مؤلفه هو ابن رُشَيد.[2]

وواضح من هذا التردد أن السخاوي رحمه الله حصل له خلط بين العلمين، بين ابن الدراج وبين بَلَدِيِّه ابن رُشَيد مما دفعه للوقوع في خطأ نسبة الكتاب إلى ابن رشيد وذلك لا يصح، بل الصواب ما ذكره أبو حيان من صحة نسبة الكتاب إلى ابن الدراج.

كما كانت تغيب عنه أحيانا نسبة كتاب عنوان الدراية إلى الغبريني، وهو مصدر مغربي من مصادر التراجم المهمة في التأريخ لعلماء بجاية من المغرب الأوسط.

وهذا الأمر لم ينفرد به السخاوي وحده، بل كان يحصل لبعض كبار الحفاظ المشارقة كالذهبي وغيره، لعدم إلمامهم التام بتراث المغرب، والسبب في ذلك نُدرَة رحلتهم إلى بلاد

---

(١) المصدر نفسه ص: (١٧).

(٢) قارن المواضع التالية من القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ص:(١٣٠)، (٢٨٤)، (ل/٢٣٧أ).

المغرب للقاء أهل العلم بها، خلافا لعلماء المغرب الذين كانوا يقصدون المشرق للحج، ولقاء العلماء والاطلاع على مصنفاتهم، فهو أمر قديم حديث.

٤/ أدمج في معجمه الذي وضعه في الفصل السادس للعلماء الذين تأثروا بنحلة ابن العربي، بعض الأعلام الذين تقدموا ابن العربي، و لم يطلعوا على مذهبه لموتهم قبل ظهوره، وهذا الأمر وإن كان للسخاوي فيه وجهة نظر بَيَّنْتُها فيما سلف، ولكنه سَبَّب خَلطاً كان الأولى بالسخاوي أن يَتَّقِيه والله أعلم.

هذا وقد علقت على هذه القضايا عند مواضعها من النص المحقق.

المبحث الرابع:

الكتب المصنفة في موضوع الكتاب

إن تَتَبُّع المكتوب في محيي الدين ابن العربي الحاتمي دراسة ونقدا ودفاعا عنه أمر تفنى دونه الأيام والشهور، لكثرة ما كتب فيه قديما من تراجم ورسائل، وفتاوى وأحكام، سواء تعلق الأمر بنقده أو الدفاع عنه. بسبب ما أثاره من قضايا منذ ظهوره وإلى حين يومنا هذا، وللغرابة والتعقيد والتلاعب الذي اكتنف مذهبه كما سبق بيانه عند مباحث الدراسة، مما شغل العلماء بدراسة مذهبه زمنا، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الاعتقاد والتراجم والتصوف من الكلام عنه نقدا أو انتصارا تبعا لمسلك صاحبها.

ويمكن تصنيف مواطن دراسة ابن العربي الحاتمي خلا مؤلفاته إلى أصناف وهي:

١/ تراجم العلماء المتقدمين والحفاظ المؤرخين له.

٢/ الكتب والرسائل القديمة الموضوعة في ابن العربي نقدا وانتصارا.

٣/ فتاوى العلماء وأحكامهم في ابن العربي.

٤/ المراجع العربية الحديثة.

٥/ دراسات المستعربين الإفرنج لابن العربي.

والإحاطة بإحصاء هذه الأصناف تحتاج إلى بحث دراسي مفرد، ولا يسعه هذا المبحث، وقد قمت ببعض ذلك فيما سبق، فذكرت مصادر ترجمة المتقدمين والمحدثين له، وبعض دراسات المستعربين له، وتتبعت مواطن أغلبها في بداية دراسة ابن العربي ونَبَّهت عليها في الحاشية.

أما الصنف الثالث وهو فتاوى العلماء وأحكامهم فقد انفرد السخاوي رحمه الله بما لا مزيد عليه، وبما لا يوجد في مكان آخر مجتمعا، لا سيما وأن أكثرها عُـدَّت في عداد المفقود، وزاد الأمرَ أهمية بنقله نصوص هذه الفتاوى والأحكام من العلماء والقضاة في ابن العربي، ومن هنا تأتي قيمة كتابه القول المنبي كما نبهت عليه في أكثرَ مِن مناسبة؛ كونه حفظ لنا نصوصا مفقودة للعلماء عن ابن العربي الحاتمي تعطينا صورة جيدة عن حاله عند العلماء، وهي في محلها من الكتاب لمن أراد الوقوف عليها.

وسأقتصر في هذا المبحث على الصنف الثاني وبالتحديد على ذكر ما كتب من رسائل وكتب قديمة في نقد ابن العربي، مستبعدا ما صنف فيه دفاعا وانتصارا، لمناسبة كتاب القول المنبي المؤلَّف في نقده، محاولا ذكر بيانات عنها من حيث كونها مطبوعة أو مخطوطة، أو الاكتفاء بتوثيقها، وقد اعتمدت كثيرا على ما ذكره الحافظ السخاوي في القول المنبي لأهمية ما أثبته رحمه الله في هذا الكتاب الحافل في ابن العربي.

الدراسات النقدية القديمة في ابن العربي:

١/ رسالة في ذم ابن العربي. [١]

لمحمد بن عمر بن علي الكاملي الدمشقي (ت ٦٥٢هـ).

٢/ كتاب الارتباط. [٢]

لمحمد بن أحمد بن علي القسطلاني المالكي (ت ٦٨٦هـ).

٣/ نصيحة صريحة من قريحة صحيحة في المنع من الدعوى والشطح. [٣] للقسطلاني أيضا.

٤/ البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد. [٤]

٥/ لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد. [٥]

٦/ أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص. [٦]

ثلاثتها لأحمد بن إبراهيم عماد الدين الواسطي المعروف بابن شيخ الحَزَّامِيين.

٧/ لوازم الأحكام لمن تمسك بشريعة الإسلام. [٧]

لعبد اللطيف بن عبد الله السعودي (ت ٧٣٦هـ).

---

(١) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: ٨١٦ مجاميع طلعت.

(٢) ذكره في القول المنبي ص: (١٦٤).

(٣) المصدر نفسه ص: (١٦٤).

(٤) المصدر نفسه ص: (١٧٧).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) منه نسخة خطية في مكتبة شستربتي برقم: ٢/٤٧٣٣ (ق٤٨-٦٣)، وأخرى في لاله لي برقم: (٣٦٧٩)، وأخرى مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم: ١٩٣ تصوف، وأخرى بشهيد علي برقم: (٢٧٣٤).

(٧) المصدر نفسه ص: (٢٦٢). وهو جزء للسيف السعودي في الرد على طائفة ابن العربي.

٨/ بيان حكم ما في الفصوص من الاعتقادت المفسودة والأقوال الباطلة المردودة. [١]

للسيف السعودي أيضا.

٩/ رسالة في الرد على مواضع من الفصوص. [٢]

لمسعود بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩٢هـ).

١٠/ تسورات النصوص على تهورات الفصوص. [٣]

لمحمد بن محمد العيزري الغزي (ت ٨٠٨هـ).

١١/ كشف الظلمة عن هذه الأمة. [٤]

لمحمد بن علي ابن نور الدين الخطيب (ت ٨٢٥هـ).

١٢/ تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي. [٥]

لمحمد بن أحمد تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ).

١٣/ حواشي على الفصوص. [٦]

ليحيى بن يوسف الصيرمي الحنفي (ت ٨٣٣هـ).

١٤/ النصيحة. [٧]

لإسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المُقري اليمني (ت ٨٣٧هـ).

١٥/ الذريعة إلى نصرة الشريعة. [٨]

١٦/ الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة. [٩]

---

(١) ذكره في القول المنبي ص: (٢٢٩).

(٢) منه نسخة في الأزهرية برقم: (٧٧٥ مجاميع) ٣٤٨٢٢ حليم تصوف ضمن مجموع (ق٦٩-٩٦)، وأخرى في برلين برقم: ١٨٩١ ضمن مجموع (ق١-٢٦)، وأخرى في إستامبول برقم: ٣٤٦٢ عربي، ونسخ أخرى.

(٣) ذكره في القول المنبي ص: (٥).

(٤) المصدر نفسه ص: (٩٧)، (ل/١٦٤أ).

(٥) المصدر نفسه ص: (٢٣٢).

(٦) المصدر نفسه (مخطوط ل/١٧٣ب).

(٧) المصدر نفسه (ل/١٨٥ب).

(٨) المصدر نفسه (ل/١٦١ب).

(٩) المصدر نفسه (ل/١٧٨ أ). وهي قصيدة في الرد على طائفة ابن العربي.

كلاهما لابن المقري أيضا.

١٧/ فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين. (١)

لمحمد بن محمد علاء الدين البخاري (ت ٨٤١هـ).

١٨/ فتح النبي في الرد على ابن سبعين وابن عربي. (٢)

لمحمد بن أحمد بن عثمان الشوباطي (ت ٨٤٢هـ).

١٩/ كشف الغطاء عن حقيقة التوحيد. (٣)

للحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل (ت ٨٥٥هـ).

٢٠/ حجة السفرة البررة على المبتدعة الفجرة الكفرة. (٤)

لمنصور عماد الدين الكازروني (ت ٨٦٠هـ).

٢١/ تنبيه الغبي على تكفير ابن العربي.

٢٢/ تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد. (٥)

٢٣/ كتاب صواب الجواب. (٦)

٢٤/ تهديم الأركان. (٧)

كلها لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ).

٢٤/ القول المنبي عن ترجمة ابن العربي. (٨)

لمحمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ).

---

(١) المصدر نفسه ص: (٣١٥)، ومنه عدة نسخ خطية في خزائن المخطوطات، وقد قام الباحث عبد الله العوضي بتحقيقه لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(٢) المصدر نفسه (مخطوط ل/٢٠٧ ب).

(٣) نشره أحمد بكير معتمدا على نسخة واحدة.

(٤) القول المنبي (مخطوط ل/٢٢١ب).

(٥) طبع الكتابان للبقاعي بتعليق عبد الرحمن الوكيل، وللكتاب عدة نسخ خطية تستدعي إعادة تحقيقه مرة أخرى.

(٦) منه نسخة بالمكتبة المركزية الجامعة الإسلامية برقم: ٤٥٦٤.

(٧) منه نسخة بالأزهر ١٨٨ مجاميع ٤٥٢٦ (ناقص من أوله).

(٨) وهو الكتاب المناط بالتحقيق والدراسة.

٢٥/ حياة القلوب. [١]

لعبد الباري بن طورخان بن طرموش (ت ٩٣٦هـ).

٢٦/ تسفيه الغبي في تكفير ابن العربي. [٢]

لإبراهيم بن محمد الحلبي (٩٥٦هـ).

٢٧/ نعمة الذريعة في نصرة الشريعة. [٣]

٢٨/ درة الموحدين وردة الملحدين. [٤]

كلاهما للحلبي أيضا.

٢٩/ تنزيه الكون عن اعتقاد إسلام فرعون. [٥]

لمحمد بن محمد الغمري المعروف بسبط المرصفي (ت ٩٧٠هـ).

٣٠/ مرتبة الوجود ومنزلة الشهود. [٦]

لعلي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ).

٣١/ فر العون من مدعي إيمان فرعون. [٧]

٣٢/ حقيقة التوحيد في الرد على ابن العربي. [٨]

لعبد الله بن عمر بامخرمة (ت ٩٧٢هـ).

٣٣/ الكامل المتدارك في بيان مذهب المتصوف الهالك. [٩]

---

(١) منه نسخة في فينا برقم: ١٩١٨.

(٢) منه نسخة في برلين برقم: ٢٨٥٥، والأزهرية برقم: ٧٧٥ مجاميع حليم ٣٤٨٢٢.

(٣) منه نسخة في يني جامع برقم: ٧٢٨ وأخرى بفاتح برقم: ٢٨٨٠، وفي بايزيد برقم: ٣٧٥٩ و نسخ أخرى في غيرها، وقد طبع الكتاب عن دار المسير بتحقيق الباحث علي رضا بن عبد الله بن علي رضا عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٤) منه نسخة بمكتبة كوبرلو برقم: ٧٢٠.

(٥) منه نسخة في برلين برقم: ٢٨٥٥، وأخرى بالأزهرية برقم: ٢٧٢٩ حليم.

(٦) قام بتحقيقه د.عبد الله الملا لنيل درجة الماجستير بجامعة أم القرى بقسم العقيدة.

(٧) له عدة نسخ خطية منه في أسعد أفندي برقم: ١١٨٦، وفي غيرها، وقد طبع الكتاب في إستامبول عام ١٢٩٤.

(٨) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي ص: (٣٢٠).

(٩) منه نسخة في الفاتيكان برقم: ١٠٨٣.

لأحمد بن صلاح بن محمد الدوَّاري (ت ١٠١٨هـ).

٣٤/ الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة.[١]

لمحمد بن صفي الدين الحنفي.

٣٥/ نتيجة التوفيق والعون في الرد على القائلين بصحة إيمان فرعون.[٢]

لبدران بن أحمد الخالدي (القرن الحادي عشر للهجرة).

هذا وقد صنف مجموعة من السالكين لمذهب ابن العربي الحاتمي رسائل وكتبا في الانتصار له وتأويل نصوصه، ولمَّا رأيت مقام الكتاب المنوط بالدارسة والتحقيق لا يناسب ذكرها، لكون موضوعه في نقد مذهب ابن العربي اقتصرت على ما وقفت عليه من المؤلفات في نقد مذهبه.[٣]

---

(١) طبع بتحقيق عبد الرحمن دمشقية عن دار عالم الكتب الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) منه نسخة بالأزهرية برقم: ٧٧٥ مجاميع (حليم) ٤٣٨٢٢.

(٣) ولمن يرغب في الوقوف على المزيد من ذلك ينظر مقدمة كوركيس عواد لفهرست مؤلفات ابن العربي ص: (١٦٤-١٦٩)، ومقدمة د. صلاح الدين المنجد لمناقب ابن عربي للقاري البغدادي ص: (١١)، ود. عثمان يحيى في مؤلفات ابن عربي ص: (١٣٩-١٤٤).

المبحث الخامس:

التعريف بالنسخ الخطية

تحصل لي بحمد الله تعالى وفضله من نسخ كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن العربي ثلاث نسخ خطية وهي:

١ـ نسخة المكتبة الملكية ببرلين بألمانيا الغربية (سابقا) تحت رقم: ٢٨٤٩ ورمزت لها بحرف « ب ».

٢ـ نسخة مكتبة شستربتي بدبلن بأيرلندا تحت رقم: ٦/ ٤٨٧٨ ورمزت لها بحرف «ش ».

٣ـ نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد بالهند ومنها مصورة بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت رقم: ١٠٧٠ وقد رمزت لها بحرف «ص ».

وللكتاب نسخة أخرى بمكتبة الملك الفهد الوطنية بالرياض بالسعودية تحت رقم: ٨٥ من أصل مكتبة وزارة المعارف السعودية، حرصت حرصا بالغا على الحصول عليها، وشددت الرحلة إلى الرياض في سبيلها، وزُرتُ مكتبة الملك الفهد الوطنية، وتأكدت من صحة الرقم الموجود عندي والمحفوظة به في فهرسها، ولكنهم لم يعثروا عليها بسبب ضياعها كما ذكر لي الموظف المسؤول فالله أعلم بحالها.

كما نمى إلى علمي وجود نسخة أخرى بمكتبة أسعد أفندي بتركيا، واجتهدت في الحصول عليها، ولكن الموظف المسؤول في المكتبة نفسها أفادني بعدم صحة المعلومات الموجودة عندي، وبعدم وجود نسخة من الكتاب في أسعد أفندي.

وصف المخطوطة: « ب »

مكتوبة بخط نسخ مشرقي معتاد جيد وبارز، وواضح في غالبه مع وجود بعض العبارات المشوشة، وهي خِلْوٌ من التمليك والسماع.

- مجهولة اسم الناسخ وتاريخ النسخ.
- تقع في ٢٣٨ لوحة، كل لوحة تتكون من صفحتين.
- عدد الأسطر بكل صفحة (١٩).

- عدد الكلمات بكل سطر (١١) و(١٥) كلمة تقريبا.

- ومقاس الصفحة: (٢٧×١٨).

- نسخة كاملة، قليلة الأخطاء بالمقارنة مع باقي النسخ، وعلى هوامشها تعليقات كُتِبت بنفس خط الناسخ.

- ورد في آخر النسخة ما يفيد بأن هذه النسخة منقولة من نسخة أخرى بخط الحافظ المتقن ابن فهد الهاشمي تلميذ وصاحب المؤلف، كما يتبين من آخر هذه النسخة من قول الناسخ: "قال المبيض رحمه الله وهو الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي الشافعي رحمة الله تعالى عليه وعلى أسلافه: آخر ما وجدته من كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن العربي تصنيف شيخنا العلامة الفريد الحجة المجيد شيخ السنة والجماعة خاتمة الحفاظ أبي الخير محمد شمس الدين بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد أبي بكر السخاوي القاهري نزيل الحرمين الشريفين..." (ل/ ٢٣٧ب).

ومن هذه العبارة يفهم بأن الناسخ نقل هذه النسخة من نسخة أخرى بخط ابن فهد الهاشمي، لا سيما إذا علمت بأن هذه النسخة تضمنت كثيرا من الأخطاء النحوية، وبخاصة في الأبيات الشعرية بما لا يتلاءم إطلاقا ومكانة الحافظ ابن فهد العلمية، ما وصف به من ضبط وإتقان بَالِغَين في الفنون، ومنها علوم اللغة والنحو، وسماعه عددا من كتب النحو على علماء عصره، بل أذن له شيوخه بتدريس النحو مع باقي الفنون.[1]

- **وقد جعلت هذه النسخة أصلا مُعتَمَدا في التحقيق بناء على عدة أمور:**

١_ أن هذه النسخة هي أوثق النسخ فهي منقولة من النسخة الأم؛ أعني نسخة ابن فهد الهاشمي أخص تلاميذه في الحرمين الشريفين، وعليها تعليقات وهوامش تدل على الاهتمام بها.

٢_ أنها نسخة كاملة كتبت بخط ناسخ واحد بخلاف باقي النسخ، مع كونها لا تخلو من أخطاء وتصحيف، بل وسَقْطٍ أحيانا في بعض الكلمات، وذلك بسبب قلة ضبط الناسخ، ولكنها رغم ذلك تبقى أقل النسخ أخطاء وتصحيفا وسقطا.

---

(١) راجع ترجمته في الضوء اللامع ٤/٢٢٤-٢٢٦.

٣_ يوجد بها بعض البياض الذي تركه المؤلف رجاء إكماله فيما بعد، وقد علق الناسخ في الهامش بأنه وجده في النسخة الأم، وكان ينقل أحيانا كلام ابن فهد من النسخة الأم، مما يدلك على عظيم العناية بهذه النسخة.

وصف المخطوطة: «ش»

- كتبت بخط مشرقي رديء في معظمه يختلف من موضع إلى آخر، يدل على أنها نسخت بخطوط أكثر من ناسخ؛ وسبب ذلك إما أن يكون الاختلاف في أجر النساخ مما جعلهم يترددون على نسخها، أو أن بعض أوراقها ضاعت فاحتاج ذلك إلى إكمال الناقص منها من نسخ أخرى، وأياًّ كان السبب فقد توارد أكثر من ناسخ على نسخها، مما جعل أمر قراءتها بشكل سليم متعذرا أحيانا.
- مجهولة الناسخ.
- تاريخ النسخ: نهار الثلاثاء ١٨ شوال ١١٨٦هـ.
- عدد أوراقها ١٦٨ لوحة كل لوحة تضم صفحتين.
- عدد أسطر كل صفحة: بين (٣٢ و٢٥) سطر حسب تنوع خط النساخ.
- عدد الكلمات: بين (٢١ و١٢) سطر حسب اختلاف خط النساخ.
- وهي نسخة تامة تضم بعض الزيادات على النسخ الأخرى، وبخاصة في آخرها، إذ ورد بها معجم لجماعة من العلماء ممن اشتمل عليهم كتابه مرتبين على وفياتهم، ذكر الناسخ أنه نقلها من النسخة الأم التي يظهر أنها نفس النسخة التي نقلت منها نسخة «ب» أعني نسخة ابن فهد الهاشمي لتشابه ما ورد في آخرهما.

وذكر أن هذه الزيادة التي أثبتها وردت في النسخة الأم، ونُقلت من خط المؤلف.

ولم تسلم هذه النسخة من الأخطاء والتصحيف والسقط في عدة أماكن، وبهامشها بعض التعليقات.

- وُجِد على غلاف هذه النسخة تملك الشيخ المسند صالح بن محمد الفُلاني العمري،[1] ثم آلت بالشراء إلى إبراهيم خبان بن السيد محمد خبان الحسيني المدني.

ولا يستبعد كون التعليقات القليلة التي وردت على هامش هذه النسخة من قلم الشيخ الفلاني ، كما كُتِبت قبل غلاف العنوان بعض الأبيات الشعرية.

- ولا يوجد فرق بين العنوان المثبت على هذه النسخة وسابقتها، وبين مقدمة الكتاب وخاتمته.

وصف المخطوطة: ((ص))

- كُتِبت هذه النسخة بخط فارسي رديء جدا، صعب القراءة، وهي نسخة مبتورة من الأول وناقصة الأخير، وفيها سقط كبير يصل أحيانا إلى عدة ورقات تؤثر على قيمة النسخة العلمية بالمقارنة مع باقي النسخ، كما أن غلاف العنوان ساقط من هذه النسخة.

- تقع في ١٣٦ لوحة، كل لوحة تضم صفحتين.

- عدد الأسطر: (١٩) تقريبا.

- عدد الكلمات: حوالي (١٤) كلمة.

- مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ.

- ونظرا لما اكتنف هذه النسخة من أخطاء وسقط كثير، وتصحيف وسوء في الخط، كنت أستبعدها في كثير من الأحيان لضعف قيمتها العلمية، دون أن أتجاهلها فهي ذات إضافة جيدة في بعض الأحيان، وبخاصة عندما تتفق النسخ على الخطأ، وإن كان ذلك لا يحصل دائما.

---

(١) هو: صالح بن محمد بن نوح العُمري المعروف بالفلاني ولد سنة ١١٦٦هـ، عالم بالحديث من فقهاء المالكية بالمدينة في وقته، مات عام ١٢١٨هـ، من آثاره "قطف الثمر في أسانيد المصنفات في الفنون والأثر" وغيرها.

ترجمته في: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات للمراكشي ٨٢/٥، فهرس الفهارس٢/٩٠١-٩٠٦، الأعلام ١٩٥/٣.

المبحث السادس:

بيان منهجي في تحقيق الكتاب

يتلخص عملي في ضبط نص الكتاب، ومنهجي في تحقيقه في النقاط التالية:

١ــ على مستوى ضبط النص ومقابلة النُسخ:

أ- حققت الكتاب على ثلاث نسخ خطية، وجعلت نسخة برلين أصلا أعتمد عليه للاعتبارات السالفة الذكر عند مبحث وصف النسخ.

ب- استعنت بباقي النسخ في ضبط النص، ونبهت على الفروق بين النسخ في الحاشية، وإذا وجدت تصحيفا أو تحريفا أو سقطا في نص النسخة الأصل المعتمدة، وكان الصواب في نسخة أخرى فإنني لا أجمد على نص النسخة الأصل، بل أثبت ما أجده من صواب في النص من النسخ الأخرى، وأجعل النص الآخر مرجوحا عندي، وأنبه على كل ذلك في الحاشية.

ج- إذا وجدت سقطا في النسخة الأصل، وكان موجودا في النسخ الأخرى فإنني أثبت النص الساقط في الأصل بجعله بين علامتين هكذا // // وأنبه على ذلك في الحاشية.

ح- حرصت على عدم التدخل في نص المؤلف، والحفاظ عليه مهما كان الإشكال فيه ما دامت النسخ لم يرد فيها ما يرجح الصواب، إلا في النادر القليل عندما يتأكد لي الخطأ في جميع النسخ، كأن يكون علما محرفا في جميع النسخ، أو تكون العبارة خطأ فيها جميعا، فإنني أثبت ما اتفقت عليه المصادر في النص بجعله بين علامة هكذا [ ]، وأنبه على ذلك في الحاشية بذكر الموجود في النسخ، وهذا لا يحصل إلا نادرا لحرصي على عدم إقحام نفسي في النص، والاكتفاء بمجال الحاشية في التنبيه على ما أريده.

وقد اقتنعت في ذلك بمنهج الخطيب البغدادي في تصحيح النص إذا تبين الخطأ، وخالف فيه المؤلف المتفق عليه في جميع المصادر، ولم يكن له وجه آخر، خلافا للقاضي عياض، وهي كما لا يخفى على المشتغلين بنصوص التراث قضية خلافية بين المتقدمين، ولا ضير على الباحث إذا سلك أحد هذين المسلكين لواحد من العلماء المتقدمين المعتبرين، والإثم كل الإثم في إحداث منهج جديد غير مسبوق.

د– لا أنبه على الفروق بين النسخ في الأخطاء الإملائية اليسيرة في ضبط الكلمة، وأكتفي بتصحيحها في النص دون التنبيه عليها في الحاشية، تجنبا للإطالة في الحواشي، أو تكديسها بكل فرق، ومن أمثلة ذلك:

كتابة ابن بدون ألف، كتابة الألف مقصورة وحقها أن تكون ممدودة، الكتاب الله والصواب كتاب الله، إذ والصواب إذا، السمعيل والصواب إسماعيل، المراد ان والصواب المردان، الإسلام كافرهم وصوابه إسلام كافرهم.

ر– لا أعتبر اختلاف النسخ في نحو ﷻ أو سبحانه مع اسم الجلالة فرقا، وكذا نحو ﷺ مع زيادة الآل أو حذفها، وإنما أثبته دون تنبيه على غيره في الحاشية للاتفاق في المعنى.

ز– راعيت ضبط النص وفقا للتنقيط المشرقي المتعارف عليه اليوم، والقواعد الإملائية المشهورة في عصرنا، فعنيت بوضع علامات الاستفهام، والتعجب، والفواصل، والأقواس وعلامات التنصيص ونحوها مما هو معلوم في العصر الحديث. (١)

س– أشرت إلى بداية اللوحة من النسخة الأصل المعتمدة عندي بخط مائل هكذا (/) بكتابة رقم اللوحة ووجهها (أ) أو (ب)، عند الكلمة الأولى من بداية كل صفحة، في الهامش.

ش– رقمت فتاوى العلماء وأحكامهم التي ذكرها المؤلف في الفصل الثامن تسهيلا على القارئ، وفعلت مثل ذلك مع الأعلام الذين رتبهم المؤلف على حروف المعجم في الفصل السادس، حتى لا يكون اجتماعهم حشرا دون ترقيم.

٢_ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وجعلتها بين قوسين زهراوين.

٣_ خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب والباب، ولا ألتزم بذكر رقم الجزء والصفحة، مع بيان درجة الحديث وحكم العلماء على الإسناد تصحيحا أو تضعيفا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما في الغالب، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين توسعت قدر الإمكان بذكر مصادر تخريجه

---

(١) معروف عند النساخ قديما أنهم كانوا يسهلون الهمزة المكسورة ياء نحو (كتايب)، ويغفلون كتابة الهمزة المتطرفة بعد الألف نحو (أهوا، وأسما)، وقد يسقطون ألف المد من بعض الكلمات نحو (إسمعيل) بدلا من (إسماعيل).

وحكم العلماء عليه، وسلكت في تخريج الآثار مسلك الاختصار دون نقل حكم العلماء عليها.

٤_ ترجمت الأعلام[1] المذكورين في نص الكتاب عند أول ذكر العلم في الغالب، وأعرضت عن الترجمة للمشهورين من الأعلام، واقتصرت على تعريف المغمورين منهم بذكر الاسم والكنية واللقب وتاريخ الولادة والوفاة وما عرف به من علم ومؤلف، وانتقيت أثناء الإحالة على مصادر الترجمة. وضابط الشهرة عندي في الأعلام مَن لا يجهل أحدٌ من أهل العلم موطن ترجمتهم في كتب التراجم؛ فالخلفاء الراشدون، والصحابة المكثرون من الرواية، والأئمة الأربعة الفقهاء المُتَّبَعون، والشيخان البخاري ومسلم وأصحاب الكتب الستة، هؤلاء شهرتهم أغنت عن الترجمة لهم.

والقضية كما هو معلوم خلافية بين شيوخ البحث، وضبط النصوص التراثية، فلا حرج عليَّ إن اخترت ما رأيته صوابا من مناهجهم في هذه القضية، ما دمت لم أستحدث منهجا جديدا.

٥_ عرفت بالبلدان والأماكن المغمورة، وتركت المشهورة منها، تبعا للأصل المعتمد عندي في التراجم.

٦_ عرفت بالفرق والمذاهب والطوائف والمدارس العلمية.

٧_ عزوت ما وقفت عليه من الأبيات الشعرية، والأمثال العربية إلى مصادرها، مع الاهتمام بضبطها بالحركات.

٨_ شرحت غريب اللغة من كتب اللغة، وبينت غريب الحديث، وشرحت الاصطلاحات الصوفية من مصادرها.

٩_ قمت بتحقيق المسائل العلمية بالإحالة على المصادر والمراجع المعتمدة، دون إغفال بيان مذهب السلف في مسائل الاعتقاد التي جانب المؤلفُ فيها الصوابَ.

١٠_ وثقت النصوص من مصادرها مطبوعة كانت أو مخطوطة، وعرفت بالمصادر التي لم أقف عليها مخطوطة.

---

(١) يصح أن يقال لغة قد ترجمه أي فسر كلامه. وانظر إن شئت: لسان العرب، وتاج العروس مادة [ترجم].

١١_ وضعت عناوين جانبية توضح الفكرة باختصار في الهامش، تسهيلا على القارئ لفهم مدلول النص.

١٢_ عرفت بالكتب الوارد ذكرها في النص المحقق، المطبوع منها والمخطوط حسب الإمكان.

١٣_ عزوت أبيات الصوفية التي يستدل بها المؤلف على مذهبهم لابن العربي وابن الفارض عند ورودها أول مرة، ولا أعزوها مرة أخرى لكثرة تكرار المؤلف لها ذكرا.

١٤_ اقتصرت في فهرس الأعلام، والكتب، والأماكن والبلدان، والمذاهب والفرق، والأشعار على فهرسة الكتاب المحقق دون الدراسة، لكون مطالع الكتاب إنما يحرص في العادة على الوقوف على كلام المؤلف في العلم؛ من حيث نقله عنه، أو تعقبه له، وكلامه فيه، وهكذا مع باقي مواد الكتاب العلمية، بينما لا يحصل ذلك مع مقدمة دراسة محقق الكتاب، ويكفيه من هذه الدراسة موضوعاتها، وعلى جميع الأحوال فهو منهج متبع في فهرسة الكتب المحققة عند بعض الباحثين، ولا ضير على من اختاره.

١٥_ قمت بصنع فهارس علمية تجعل مادة الكتاب في متناول مطالعه وهي كالآتي:

أ/ فهرس الآيات القرآنية.

ب/ فهرس الأحاديث النبوية.

ج/ فهرس الآثار.

ح/ فهرس الأعلام.

خ/ فهرس الكتب الواردة في الكتاب.

د/ فهرس المذاهب والفرق.

ذ/ فهرس الأماكن والبلدان والمدارس العلمية.

ر/ فهرس الأشعار مرتبة حسب القافية.

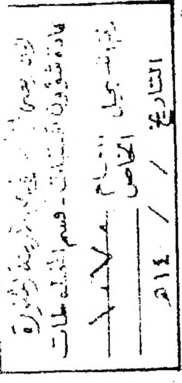
ز/ فهرس المصادر والمراجع.

ز/ فهرس موضوعات الدراسة.

ط/ فهرس موضوعات الكتاب المحقق.

صورة اللوحة الأولى من نسخة شستربتي

صورة اللوحة الأخيرة من نسخة شستربتي



صورة اللوحة الأولى من نسخة الآصفية

صورة اللوحة الأخيرة من نسخة الآصفية

صورة اللوحة الأولى من نسخة برلين